

مِصَالِهُ الْأَخْرَافُ فِي الْعُقُولِ كُلُّهُ

عِنْ دَارِ الصُّوفِيَّةِ
وَأَنْزَهَا السَّيِّدُ عَلَى الْأَمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

تألِيفُ
أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ
أَدْرِيسِ مُحَمَّدِ أَدْرِيسِ

المَجْلِدُ الثَّانِي

مَكَتبَةُ الرَّشِيدِ
تَأْثِيرُونَ

لهم انت علام
فلا يخفى على عينك
وكل مخلوق في السموات السبع
أنت أنت أنت أنت أنت
أنت أنت أنت أنت أنت أنت

مِظَاهِرُ الْأَخْلَافِ الْعَقْدِيَّةِ

عِنْدَ الصَّوْفِيَّةِ
وَأَنْهَا السِّيَرُ عَلَى الْأَفْلَامِ الْإِسْلَامِيَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها الباحث لنيل

درجة الماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين قسم

العقيدة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وقد نال

بها الباحث الدرجة العلمية الماجستير بتقدير ممتاز .

مِنْطَاهُ الْأَنْجَافِ إِلَى الْعُقْدِ الْمُرْتَبَةِ

عِنْ الصَّوْفِيَّةِ

وَأَنْهَا السَّيِّعُ عَلَى الْأَمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

تألِيفُ

أَبُو عَيْدَ الْعَزِيزِ
أَدْرِيسِ مُحَمَّدِ أَدْرِيسِ

المَجَلْدُ الثَّانِي

شَرْكَةُ الرِّيَاضُ
لِلنَّسْخَةِ وَالتَّوزِيعِ

مَكْتبَةُ الرَّشْدِ
الرِّيَاضُ

جميع الحقوق محفوظة الطبعة الثانية

١٤٢٦ - ٢٠٠٥

مكتبة الرشد ناشرون

المملكة العربية السعودية - الرياض - شارع الأمير عبدالله بن عبد الرحمن (طريق الحجاج)
ص. ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١ فاكس ٤٥٧٣٣٨١

Email: alrushd@alrushdryh.com

Website: WWW.rushd.com



* فرع طريق الملك فهد: الرياض - هاتف ٢٠٥١٥٠٠ فاكس ٢٠٥٢٣٠١

* فرع مكة المكرمة: هاتف ٥٥٨٥٤٠١ فاكس ٥٥٨٣٥٠٦

* فرع المدينة المنورة: شارع أبي ذر الغفارى - هاتف ٨٣٤٠٦٠٠ فاكس ٨٣٨٣٤٢٧

* فرع جدة: ميدان الطائرة - هاتف ٦٧٧٦٣٣١ فاكس ٦٧٧٦٣٥٤

* فرع القصيم: بريدة - طريق المدينة - هاتف ٣٢٤٢٢١٤ فاكس ٣٢٤١٣٥٨

* فرع أبها: شارع الملك فيصل - تلفاكس ٢٣١٧٣٠٧

* فرع الدمام: شارع الخزان - هاتف ٨١٥٠٥٦٦ فاكس ٨٤١٨٤٧٣

وكلاونا في الخارج

القاهرة: مكتبة الرشد - هاتف ٢٧٤٤٦٠٥

بيروت: دار ابن حزم - هاتف ٧٠١٩٧٤

الصغرى: الدار البيضاء - ورقة التوفيق - هاتف ٣٠٣١٦٢ فاكس ٣٠٣١٦٧

اليمن: صنعاء - دار الآثار - هاتف ٦٠٣٧٥٦

الأردن: عمان - الدار الأثرية - هاتف ٦٥٨٤٠٩٢ جوال ٧٩٦٨٤١٢٢١

البحرين : مكتبة الغرباء - هاتف ٩٥٧٨٣٣ - ٩٤٥٧٣٣

الإمارات: مكتبة دبي للتوزيع - هاتف ٤٣٣٢٩٩٩٨ فاكس ٤٣٣٣٧٨٠٠

سوريا: دار البشائر - هاتف ٢٣١٦٦٦٨

قطر: مكتبة ابن القيم - هاتف ٤٨٦٣٥٣٣

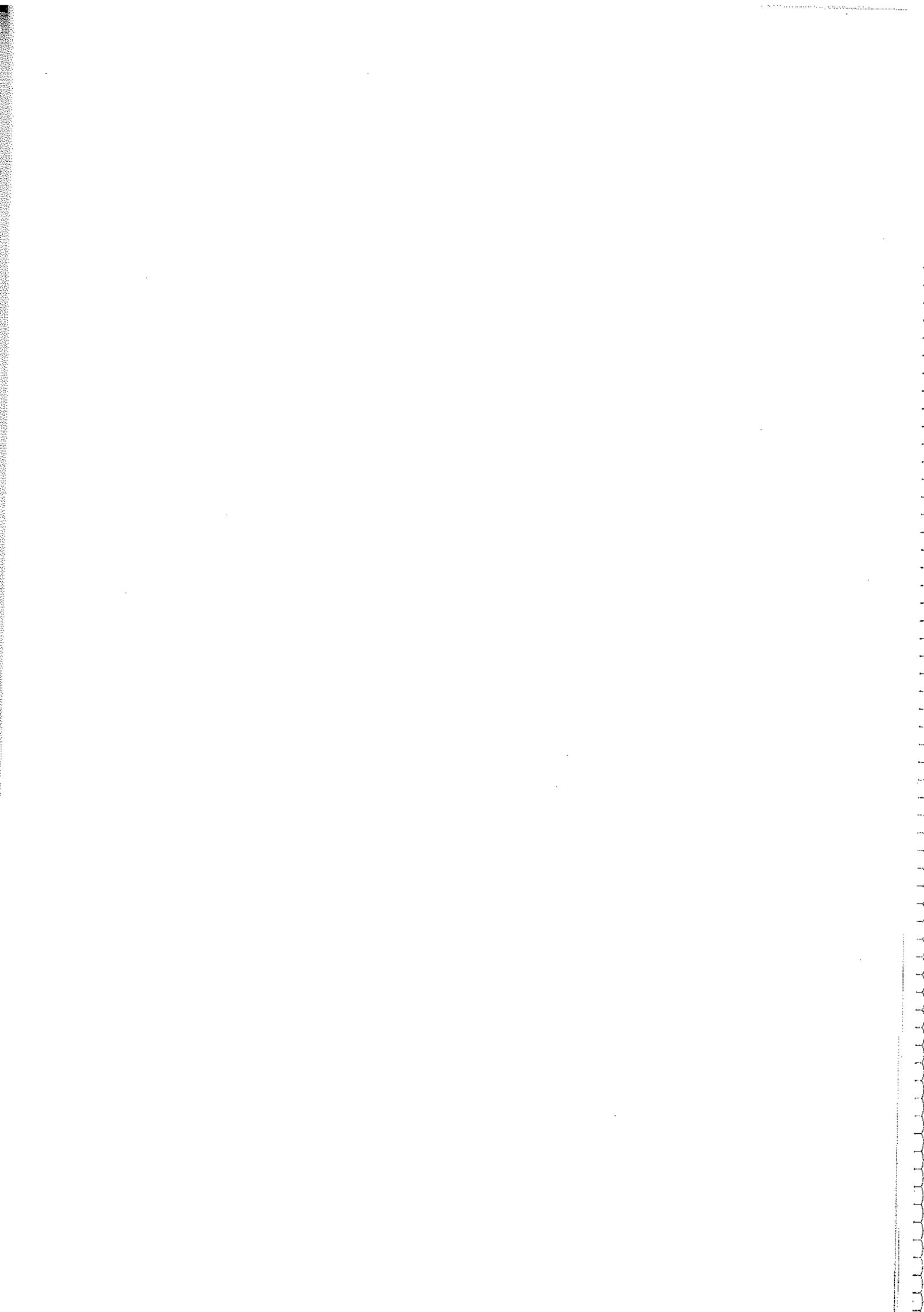
الفصل الثاني

انحرافاتهم في الخضر عليه السلام

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : اعتقادهم بأن الخضر ولد وليس
نبي وأن الولي أفضل من النبي
ومناقشتهم .

المبحث الثاني : اعتقادهم بأن الخضر حي يرزق
إلى يوم القيمة . (وتحته مطلبان)



**المبحث الأول : اعتقادهم بأن الخضر ولی وليسبني وأن الولي
أفضل من النبي .**

المبحث الثاني : اعتقادهم بأن الخضر حی يرزق إلى يوم القيمة.

لقد انحرف المتصوفة في اعتقادهم تجاه الخضر عليه السلام حيث أنهم يعتقدون بأن الخضر عليه السلام ولی من أولياء الله تعالى وليسبني وبينوا ذلك على أن الولي يجوز له الخروج عن الشريعة كما خرج الخضر عليه السلام عن شريعة موسى حسب زعمهم الباطل وأنه يمكن للولي أن يصل إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى بدون اتباع الرسول ﷺ .

وإلى جانب ذلك يعتقد المتصوفة أيضاً تجاه الخضر عليه السلام إلى أنه حی يرزق إلى الآن ويدعون أنهم يتلقون به ويتلقون عنه علمهم اللدني الذي هو خاص بالأولياء فقط ولا يمكن أن يعرفه غيرهم كائناً من كان حتى الأنبياء .

* * *

المبحث الأول

اعتقاد الصوفية وغيرهم بأن الخضر ولی وليس بنبی

وأنه يجوز الخروج عن الشريعة للولي

كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام

إن اعتقاد المتصوفة بأن الخضر عليه السلام ولی وليس بنبی واضح جداً وليس يخفي على أحد وذلك لأنهم يبنون على هذا الاعتقاد القول أن الولي أعلم من النبي وأنه يمكن أن يصل الولي إلى مرضاة الله ومحبته بدون متابعة النبي .

وكذلك اعتقاد المتصوفة بأنه يجوز الخروج عن الشريعة للولي كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام واضح أيضاً.

ومما يدل على أن المتصوفة يعتقدون بأن الخضر ولی وليس بنبی قول محبي الدين بن عربي حين قال في «الفتوحات المکیة» :

«اعلم أيها الولي الحميم أيدك الله أن هذا الوتد هو خضر صاحب موسى عليه السلام أطال الله عمره إلى الآن وقد رأينا من رأه واتفق لنا في شأنه أمر عجيب وذلك أن شيخنا أبا العباس العربي رحمه الله تعالى جرت بيدي وبيني مسألة في حق شخص كان قد بشر بظهوره رسول الله ﷺ فقال لي : هو فلان ابن فلان وسمى لي شخصاً أعرفه باسمه وما رأيته ولكن رأيت ابن عمته فربما توقفت فيه ولم آخذ بالقبول أعني قول شيخي العربي فيه

لكوني على بصيرة في أمره ولا شك أن الشيخ رجع سهمه عليه فتاذى في باطنه ولم أشعر بذلك فإني كنت في بداية أمري في الطريق «^(١)».

والذي يهمنا من إيراد هذه الحكاية عن ابن عربي هو أنه قال عن الخضر أنه وتد من الأوتاد وهذا الوصف يصف به المتصوفة من يصفونهم بالأولياء .

وبالإضافة إلى كلام ابن عربي فإنك لو سألت أي صوفي عن الخضر عليه السلام سيجيبك بأن الخضر ولبي من أولياء الله وليس بنبي وهم يقولون بهذا لأنهم بنوا عليه عقائد فاسدة كما مستضح لنا الآن في هذا الفصل إن شاء الله أثناء دراستنا لمعتقد الصوفية تجاه الخضر .

ونحن نرد على هذا فنقول أن النصوص تدل على أن الخضر عليه السلامنبي من أنبياء الله وليس بولي فقط كما يزعم المتصوفة ومن سار على نهجهم من بعض العلماء الذين يقولون بأن الخضر ولبي وليس بنبي .

قال الفخر الرازى في معرض حديثه عن الخضر عليه السلام وهل هونبي أو ولبي : والأكثرون أن ذلك العبد كاننبياً واحتجوا عليه بوجوه :

الحججة الأولى : أنه تعالى قال : ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عَنْدِنَا﴾^(٢) والرحمة هي النبوة بدليل قوله تعالى : ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ﴾^(٤) .

(١) «الفتوحات المكية»، لابن عربي (١٨٠ / ٢).

(٢) الكهف : (٦٥).

(٣) الزخرف : (٣٢).

(٤) القصص : (٨٦).

والمراد من هذه الرحمة النبوة .

الحججة الثانية : قوله تعالى : ﴿ وَعَلِمْنَا مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ وهذا يقتضي أنه تعالى علمه بلا واسطة تعليم معلم ولا إرشاد مرشد وكل من علمه الله لا بواسطة البشر وجب أن يكون نبياً يعلم الأمور بالوحي من الله .

الحججة الثالثة : إن موسى عليه السلام قال : ﴿ أَتَبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾^(١) والنبي لا يتبع النبي في التعليم .

الحججة الرابعة : إن ذلك العبد أظهر الترفع على موسى حيث قال : ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحْطِبْ بِهِ خُبْرًا ﴾^(٢) .

وأما موسى فإنه أظهر التواضع حيث قال : ﴿ وَلَا أَغْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾^(٣) . وكل ذلك يدل على أن ذلك العالم كان فوق موسى ومن لا يكوننبياً لا يكون فوق النبي .

الحججة الخامسة : احتج الأصم على نبوته بقوله في أثناء القصة : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ ومعناه فعلته بوحي الله وهو يدل على النبوة .

الحججة السادسة : ما روى أن موسى عليه السلام لما وصل إليه قال : السلام عليك . فقال : وعليك السلام يانبي بنى إسرائيل . فقال موسى عليه السلام : من عرفك هذا ؟ قال : الذي بعثك إليّ .

(١) الكهف : (٦٦) .

(٢) الكهف : (٦٨) .

(٣) الكهف : (٦٩) .

قالوا وهذا يدل على أنه عرف ذلك بالوحي والوحي لا يكون إلا مع النبوة^(١).

قلت : وهذه الحجج أراها حجج قوية لإثبات بأن الخضر عليه السلامنبي وليس ولیاً فقط كما يدعى المتصوفة ومن سار على طريقتهم .

واستدل الشيخ محمد الأمين على نبوة الخضر بقوله تعالى : ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ فقال :

« ومن أظهر الأدلة في أن الرحمة والعلم الذين امتن الله بهما على عبده الخضر عن طريق النبوة والوحي قوله تعالى : ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ أي وإنما فعلته عن أمر الله جل جلاله وأمر الله إنما يتحقق عن طريق الوحي إذ لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه إلا الوحي من الله جل وعلا ولا سيما قتل النفس البريئة في ظاهر الأمر وتعييب سفن الناس بخرقها لأن العداون على سفن الناس وأموالهم لا يصح إلا عن طريق الوحي من الله تعالى وقد حصر تعالى طريق الإنذار في الوحي في قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنذِرْكُمْ بِالْوَحْيِ﴾^(٢) وإنما صيغة حصر فإن قيل قد يكون ذلك عن طريق الإلهام فالجواب أن المقرر في الأصول أن الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شيء لعدم العصمة وعدم الدليل على الاستدلال به ولو وجود الدليل على عدم الاستدلال به .

وما يزعمه بعض المتصوفة من جواز العمل بالإلهام في حق الملهم دون غيره وما يزعمه بعض الجبرية أيضاً من الاحتجاج بالإلهام في حق

(١) « التفسير الكبير » للإمام الفخر الرازي (١٤٨/٢٢).

(٢) الأنبياء : (٤٥).

الملهم وغيره جاعلين الإلهام كالوحى المسموم مستدلين بظاهر قوله تعالى : ﴿فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَام﴾^(١) وبخبر : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله »^(٢) كله باطل لا يعول عليه لعدم اعتضاده بدليل وغير المعصوم لا ثقة بخواطره لأنه لا يأمن من دسيسة الشيطان وقد ضمنت الهدایة في اتباع الشرع ولم تضمن في اتباع الخواطر والإلهامات ، والإلهام في الاصطلاح إيقاع شيء في القلب يثليج له الصدر من غير استدلال بوحى ولا نظر في حجة عقلية يختص الله به من يشاء من خلقه ، أما ما يلهمه الأنبياء مما يلقى الله في قلوبهم فليس بإلهام غيرهم لأنهم معصومون بخلاف غيرهم .

وبالجملة فلا يخفى على من له إلمام بمعرفة دين الإسلام أنه لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه وما يتقرب إليه به من فعل وترك إلا عن طريق الوحي فمن ادعى أنه غني عنه في الوصول إلى ما يرضي ربه عن الرسل وما جاءوا به ولو في مسألة واحدة فلا شك في زندقته .

والأيات والأحاديث الدالة على هذا لا تحصر قال الله تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٤) ولم يقل حتى نلقي إلهاماً في القلوب .. وبذلك تعلم أن ما يدعوه كثير من الجهلة المدعين للتتصوف من أن لهم ولأشياخهم طريقة باطلة توافق الحق عند الله تعالى ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى زندقة وذريعة

(١) الأنبياء : (٤٥) .

(٢) الأنعام : (١٢٥) .

(٣) « مسند الشهاب » (٣٨٧/١) وقال عنه المحقق : ضعيف .

(٤) الإسراء : (١٥) .

إلى الانحلال بالكلية من دين الإسلام بدعوى أن الحق في أمور باطنه تخالف ظاهره^(١).

ومما يدل على أن الخضر عليه السلام نبي من أنبياء الله وليس ولیاً فحسب قوله لموسى عليه السلام : « يا موسى إني على علم من علم الله علمتني الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمك »

وقوله لموسى أيضاً : « ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر »^(٢).

ويقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق :

« ولا شك أن ما فعله الخضر فعله عن وحي حقيقي من الله وليس عن مجرد خيال أو إلهام لأن قتل النفس لا يجوز بمجرد الظن ولذلك قال الخضر : وما فعلته عن أمري ... فلم يفعل إلا عن أمر الله الصادق ووحيه القطعي ومثل هذا الأمر والوحي القطعي قد انقطع بوفاة النبي ﷺ فلا وحي بعده ومن ادعى شيئاً من ذلك فقد كفر لأنه بذلك خالف القرآن الذي يقول الله فيه : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٣).

والخلاصة من خلال الأدلة القرآنية والحديثية التي ذكرناها وأقوال العلماء يتضح لنا أن الراجح من الأقوال هو القول بأن الخضر عليه السلامنبي من أنبياء الله وليس ولیاً فقط كما يزعم المتصوفة ومن سار على نهجهم

(١) « أضواء البيان » (٤/١٧٣ - ١٧٤).

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح قصة موسى والخضر (٦/٤٣٢).

(٣) الأحزاب : (٤٠)، والموضوع انظر له « الفكر الصوفي » لعبد الرحمن عبد الخالق (ص ١٣٢).

وبهذا يبطل دعوى الصوفية بأن الولي أعلم من النبي بناءً على قصة الخضر مع موسى حيث يدعون أن الأولياء يعلمون علم الحقيقة الذي لا يعلمه الأنبياء ويستدللون بهذه القصة .

استنتاج المتصوفة من قصة الخضر وموسى على أنه يجوز للولي أن يخرج عن الشريعة وأنه يستطيع أن يصل إلى مرضاه اللهم من غير طريق النبي :

بناءً على اعتقاد المتصوفة نحو الخضر عليه السلام من أنه ولد من أولياء الله وليس بنبي فقد قالوا : إن الأولياء يجوز لهم الخروج عن الأحكام الشرعية التي جاء بها الرسول من عند الله عز وجل كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام في الظاهر .

وقد ذكر احتجاجهم هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال : « وأما احتجاجهم بقصة موسى والخضر فيحتاجون بها على وجهين : أحدهما : أن يقولوا : إن الخضر كان مشاهداً الإرادة الربانية الشاملة والمشيئة الإلهية العامة وهي الحقيقة الكونية فلذلك سقط عنه الملام فيما خالف فيه الأمر والنهي الشرعي وهو من عظيم الجهل والضلال بل من أعظم النفاق والكفر فإن مضمون هذا الكلام أن من آمن بالقدر وشهد أن الله رب كل شيء لم يكن عليه أمر ولا نهي وهذا كفر بجميع كتب الله ورسله وما جاءوا به من الأمر والنهي ... وهؤلاء هم القدرية الشركية الذين يحتاجون بالقدر على دفع الأمر والنهي هم من شر القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة الذين روى فيهم « إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم » لأن هؤلاء يقررون بالأمر والنهي والثواب والعقاب لكن أنكروا عموم الإرادة والقدرة والخلق وربما أنكروا ساق العلم .

وأما القدرة الشركية فإنهم ينكرون الأمر والنهي والثواب والعقاب لكن وإن لم ينكروا عموم الإرادة والقدرة والخلق فإنهم ينكرون الأمر والنهي والوعيد ويُكفرون بجميع الرسل والكتب فإن الله إنما أرسل الرسل مبشرين من أطاعهم بالثواب ومنذرين من عصاهم بالعقاب.

وأيضاً فإن موسى عليه السلام كان مؤمناً بالقدر عالماً به بل أتباعه من بني إسرائيل كانوا أيضاً مؤمنين بالقدر فهل يظن من له أدنى عقل أن موسى طلب أن يتعلم من الخضر الإيمان بالقدر وأن ذلك يدفع الملام مع أن موسى أعلم بالقدر من الخضر بل عموم أصحاب موسى يعلمون ذلك .

وأيضاً فلو كان هذا هو السر في قصة الخضر لبين ذلك لموسى وقال : «إني كنت شاهداً للإرادة والقدر» وليس الأمر كذلك بل بين له أسباباً شرعية تبيح له ما فعل .

وأما الوجه الثاني : فإن من هؤلاء من يظن أن من الأولياء من يسوغ له الخروج عن الشريعة النبوية كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسى وأنه قد يكون للولي في المكافحة والمخاطبة ما يستغني به عن متابعة الرسول في عموم حالاته أو بعضها وكثير منهم يفضل الولي في زعمه إما مطلقاً وإما من بعض الوجوه على النبي زاعمين أن في قصة الخضر حجة لهم وكل هذه مقالات من أعظم الجهالات والضلالات بل من أعظم أنواع النفاق والإلحاد والكفر فإنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن رسالة محمد بن عبد الله عليه السلام وسلم لجميع الناس عربهم وعجمهم وملوكهم وزهادهم وعلمائهم وعامتهم وأنها باقية دائمة إلى يوم القيمة بل عامة الثقلين الجن والإنس وأنه ليس لأحد من الخلق الخروج من متابعته وطاعته وملازمة ما يشرعه لأمته من الدين وما سنه لهم من فعل المأمورات وترك المحظورات بل لو كان

الأنبياء المتقدمون قبله أحياءً لوجب عليهم متابعته وطاعته . . . وما يبين
 الغلط الذي وقع لهم في الاحتجاج بقصة موسى والخضر على مخالفة
 الشريعة أن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ولا أوجب الله
 على الخضر متابعته وطاعته بل قد ثبت في الصحيح أن الخضر قال له : « يا
 موسى إني على علم من علم الله علمني الله لا تعمله وأنت على علم من علم الله
 علمنك الله لا أعلم » وذلك أن دعوة موسى كانت خاصة وقد ثبت في
 الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال فيما فضل الله به على الأنبياء قال : « كان
 النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة »^(١) فدعوة محمد ﷺ شاملة
 لجميع العباد وليس لأحد الخروج عن متابعته وطاعته ولا استغناء عن
 رسالته كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسى وطاعته مستغنياً عنه بما
 علمه الله وليس لأحد من أدركه الإسلام أن يقول لمحمد : إني على علم
 من علم الله علمنيه لا تعلمه ، ومن سوغ هذا أو اعتقاد أن أحداً من الخلق
 الزهاد والعباد أو غيرهم له الخروج عن دعوة محمد ﷺ ومتابعته فهو كافر
 باتفاق المسلمين . . . وقصة الخضر ليس فيها خروج عن الشريعة ولهذا لما
 بين الخضر لموسى الأسباب التي فعل لأجلها ما فعل وافقه موسى ولم
 يختلفا حينئذ ولو كان ما فعله الخضر مخالفًا لشريعة موسى لما وافقه^(٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مكان آخر راداً على المتصوفة الذي
 يحتاجون بقصة الخضر مع موسى على أن الأولياء يسوغ لهم الخروج عن
 الشريعة كما خرج الخضر عن شريعة موسى وفعل أموراً محرمة في شريعة
 موسى ، قال :

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (٤٣٦/١) .

(٢) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (١١/٤٢٠ - ٤٢٦) باختصار .

« ومثل احتجاج بعضهم بقصة الخضر وموسى عليه السلام على أن من الأولياء من يستغني عن محمد ﷺ كما استغنى الخضر ومثل قول بعضهم أن خاتم الأولياء له طريق إلى الله يستغني به عن خاتم الأنبياء وأمثال هذه الأمور التي كثرت في كثير من المتسبين إلى الزهد والفقر والتصوف والكلام والفلسف وكفر هؤلاء قد يكون من جنس كفر اليهود والنصارى وقد يكون أعظم وقد يكون أخف بحسب أحوالهم »^(١) .

وقال الإمام ابن القيم مستنكرةً على احتجاج المتصوفة بقصة الخضر مع موسى على جواز خروج الأولياء عن الشريعة الإسلامية .

قال : « فمن ادعى أنه مع محمد ﷺ كالخضر مع موسى أو جوز ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه وليشهد شهادة الحق فإنه بذلك مفارق للدين الإسلام بالكلية فضلاً عن أن يكون من خاصة أولياء الله وإنما هو من أولياء الشيطان وخلفائه ونوابه وهذا الموضع مقطع ومفرق بين زنادقة القوم وبين أهل الاستقامة منهم فحرك تره »^(٢) .

وقال القرطبي رحمه الله في تفسيره ما نصه نقاً عن شيخ الإسلام :

« ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق لا تلزم منه هذه الأحكام الشرعية فقالوا هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأنبياء والعامّة وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص بل إنما يراد فهم ما يقع في قلوبهم .

ويحكم عليهم بما يغلب من خواطرهم وقالوا لصفاء قلوبهم عن

(١) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (٢٤/٣٣٩) .

(٢) « مدارج السالكين » لابن القيم (٢/٧٤٦) .

الأفكار وخلوها عن الأغيار فتتجلى لهم العلوم الإلهية والحقائق الربانية فيقرون على أسرار الكائنات ويعلمون أحكام الجزيئات فيستغنوون بها عن أحكام الشرائع الكليات كما اتفق للحضر فإنه استغنى بما تجلى له من العلوم مما كان عند موسى من تلك الفهوم .

وهذا القول زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب لأنه إنكار ما علم من الشرائع فإن الله تعالى قد أجرى سنته ونفذ كلمته بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسالته السفراء بينه وبين خلقه وهم المبلغون عنه رسالته وكلامه المبينون شرائعه وأحكامه اختيارهم الله لذلك وخصهم ... وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي واليقين الضروري واجتماع السلف والخلف على أن لا طريق لمعرفة أحكام الله تعالى التي هي راجعة إلى أمره ونفيه ولا يعرف شيء منها إلا من جهة الرسل فمن قال إن هناك طريقاً آخر يعرف بها أمره ونفيه غير الرسل حيث يستغني عن الرسل فهو كافر يقتل ولا يستتاب ولا يحتاج معه إلى سؤال وجواب ثم هو قول بآيات أنبياء بعد نبينا عليه السلام الذي قد جعله الله خاتم أنبيائه ورسله فلانبي بعده ولا رسول وبيان ذلك أن من قال يأخذ عن قلبه وأن ما يقع فيه حكم الله تعالى وأنه يعمل بمقتضاه وأنه لا يحتاج مع ذلك إلى كتاب ولا سنة فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة فإن هذا كفر ما قاله عليه السلام : « إن روح القدس نفت في روعي » ^(١)

ويقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق :

« إن وجود الحضر عليه السلام على دين وشريعة غير شريعة موسى كان أمراً سائغاً وسنة من سنن الله قبلبعثة محمد عليه السلام لأن النبي كان يبعث

(١) « تفسير القرطبي » (٤٠ / ١) .

إلى قومه خاصة ولذلك كان موسى رسولاً إلى بني إسرائيل فقط ولم يكن رسولاً للعالمين ولذلك لما سلم موسى عليه السلام على الخضر قال الخضر وأني بأرضك السلام . قال له موسى : أنا موسى . قال الخضر موسىنبي إسرائيل ؟ ! قال : نعم . . . أي أنت مبعوث إلى بني إسرائيل ومنهم .

ولذلك لم تكن شريعة موسى لازمة للخضر ولجميع الناس في زمانه وأما بعد بعثة محمد ﷺ فإنه لا يجوز شرعاً أن يكون هناك من هو خارج عن شريعته لأن الرسول ﷺ رسول العالمين لا يسع الخضر ولا غيره أن يتخلّف عن الإيمان به واتباعه ولذلك لا وجود بتاتاً للخضر أو أمثاله بعد بعثة الرسول محمد ﷺ ^(١) .

والخلاصة أن احتجاج المتصوفة بقصة الخضر مع موسى عليه السلام بجواز خروج الأولياء على الشريعة الإسلامية وإقادتهم على فعل شيء محرم في الشريعة الإسلامية كما خرج الخضر في الظاهر على شريعة موسى مع أنه بعد أن شرح الخضر لموسى سبب إقادمه على قتل الغلام وخرق السفينه ورفع الجدار لم ينكر عليه موسى وإنما أقره عليها لأنها غير مخالفة للشريعة ولكن الله سبحانه وتعالى أعلم الخضر أمراً لم يعلمه لموسى عليه السلام رغم أنهما كلاهما نبيان من أنبياء الله فلما علم موسى حقيقة الأمر لم ينكر على الخضر فعله هذا .

ثم إن الخضر لم يكن من قوم موسى ولذا فهو غير ملزم باتباع شريعة موسى لأن موسى كان مبعوثاً إلى بني إسرائيل فقط لا غير والخضر لم يكن من بني إسرائيل وعلى هذا نقول ليس للمتصوفة أي حجة تكون دليلاً لهم

(١) « الفكر الصوفي » لعبد الرحمن عبد الخالق (ص ١٣٢) .

للخروج والتمرد على الأحكام الشرعية بحجة أنهم أولياء الله وذلك للأمور الآتية .

أولاً : من المعلوم ضرورة أن الرسول مبعوث إلى جميع من في هذا الكون من إنس وجن وليس لأحد كائناً من كان أن يدعى بأن الرسول لم يبعث إليه وعلى هذا فلا يجوز لأحد الخروج عن هذه الشريعة احتجاجاً بقصة الخضر ومن اعتبر نفسه أنه مع الرسول ﷺ كالخضر مع موسى فقد أدعى لنفسه النبوة لأن الخضر كاننبياً أعلم الله بتلك الأشياء التي أقدم عليها ومن زعم هذا الزعم فقد كفر يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قطع عنقه .

ثانياً : أن الوحي قد انقطع بعد الرسول ﷺ نهائياً وليس هناك أي طريق للتلقي عن الله سبحانه وتعالى فكيف يدعى المتصوفة إمكانية الوصول إلى مرضاه من غير الطريق المشروع الا وهو اتباع الرسول ﷺ .

* * *

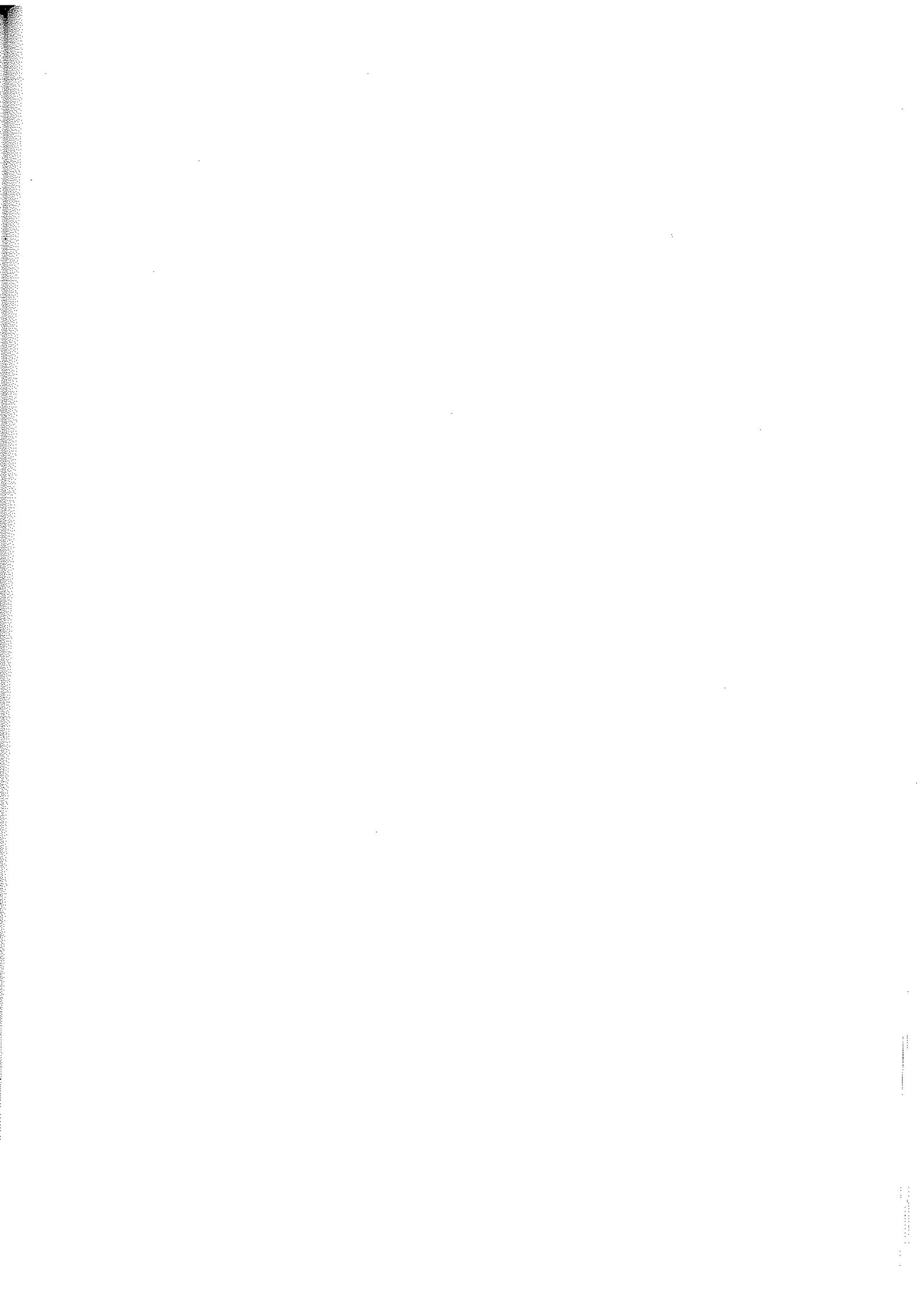
المبحث الثاني

اعتقادهم بأن الخضر حي يرزق إلى
يوم القيمة

وتحت مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تدل
على أنهم يعتقدون بأن الخضر
حي يرزق.

المطلب الثاني : بيان بطلان هذا المعتقد وأن
الصحيح وفاته .



المطلب الأول

ذكر النصوص عنهم التي تدل على أنهم يعتقدون

بأن الخضر حي يرزق

من الانحرافات التي وقع فيها المتصوفة تجاه الخضر هو زعمهم بأنه حي يرزق إلى الآن والادعاء بأنهم يتلقون به دائمًا ويتلقوه منه أذكارهم التي يتلونها ليلاً ونهاراً.

يقول أحمد بن إدريس الشاذلي :

«اجتمعت بالنبي ﷺ اجتماعاً صورياً ومعه الخضر عليه السلام فأمر النبي ﷺ الخضر أن يلقتني أذكار الطريقة الشاذلية فلقتني إياها بحضرته» ويستطرد قائلاً : «ثم قال ﷺ للخضر عليه السلام يا خضر لقنه ما كان جاماً لسائر الأذكار والصلوات والاستغفار »^(١).

فالحكاية السابقة التي أورتها عن أحمد بن إدريس الشاذلي تدل على أن الصوفية يعتقدون بأن الخضر حي وأنهم يتلقون منه أذكارهم .

ومما يدل على أن المتصوفة يعتقدون بحياة الخضر إلى الآن والتلقائهم به في مناسبات عديدة قول محيي الدين بن عربي :

«اعلم أيديك الله أيها الولي الحميم أن هذا الوتد هو خضر صاحب

(١) « مفاتيح كنوز السماوات والارض » لصالح محمد الجعفري (ص ٨) نقاً عن « الفكر الصوفي » لعبد الرحمن عبد الخالق (ص ١٣٩).

موسى عليه السلام أطال الله عمره إلى الآن وقد رأينا من رأه واتفق لنا في شأنه أمر عجيب وذلك أن شيخنا أبو العباس العربي رحمه الله تعالى جرت بيدي وبينه مسألة في حق شخص كان قد بشر بظهوره رسول الله ﷺ فقال لي هو فلان ابن فلان وسمى لي شخصاً أعرفه باسمه وما رأيته ولكن رأيت ابن عمته فربما توقفت منه ولم آخذ بالقبول أعني قول الشيخ العربي فيه لكوني على بصيرة في أمره ولا شك أن الشيخ رجع سهمه عليه فتأذى في باطنه ولمأشعر بذلك فإني كنت في بادية الطريق .

فانصرفت عنه إلى منزلي فنمت في الطريق فلقيني شخص لا أعرفه فسلم علي ابتداء سلام محب مشفق وقال لي : يا محمد صدق الشيخ أبو العباس فيما ذكره لك عن فلان وسمى لنا الشخص الذي ذكره أبو العباس العربي فقلت : نعم وعلمت ما أراد ورجعت من حيني إلى الشيخ لأعرفه بما جرى فعندما دخلت عليه قال : لي يا عبد الله احتاج معك إذا ذكرت لك مسألة يقف خاطرك عن قبولها إلى الخضر يتعرض إليك يقول لك صدق فلاناً فيما ذكره لك .

ومن أين يتفق لك هذا في كل مسألة تسمعها مني فتوقفت فقلت إن باب التوبة مفتوح فقال : وقبول التوبة واقع فعلمت أن ذلك الرجل كان الخضر ولا شك أنني استفهمت الشيخ عنه فهو هو ؟ قال : نعم ، هو الخضر »^(١) .

ففي هذه الحكاية التي أوردتها عن ابن عربي الصوفي الكبير زعم بأنه التقى بالخضر وادعى أنه حي ودعا الله أن يطيل في عمر الخضر .
وقال في مكان آخر وهو يحكى لقاءه بالخضر عليه السلام :

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (١٨٠ / ٣).

« ثم اتفق لي مرة أخرى أني كنت بمرسى تونس بالحفرة في مركب في البحر فأخذني وجعل في بطني وأهل المركب قد ناموا فقمت إلى جانب السفينة وتطلعت إلى البحر فإذا ب شخصاً على بعد في ضوء القمر وكانت ليلة البدر وهو يأتي على وجه الماء حتى وصل إليّ فوقه معي ورفع قدمه الواحدة واعتمد على الآخرة فكانت كذلك ثم تكلم معي بكلام كان عنده ثم سلم وانصرف يطلب المنارة محرساً على شاطئ البحر على تل بيننا وبينه مسافة تزيد على ميلين فقط ت ذلك المسافة في خطوتين أو ثلاثة فسمعت صوته وهو على ظهر المنارة يسبح الله تعالى وربما مشى إلى شيخنا جراح ابن خميس الكناني وكان من سادات القوم مرابطًا بمرسى عيدون وكنت جئت عنده بالأمس من ليالي تلك فلما جئت المدينة لقيت رجلاً صالحًا فقال لي : كيف كانت لياليك البارحة في المركب مع الخضر ؟ ما قال لك وما قلت له ؟ فلما كان بعد ذلك التاريخ خرجت إلى السياحة بساحل البحر المتوسط ومعي رجل ينكر خرق العادة للصالحين فدخلت مسجداً خراباً منقطعاً لأصلي فيه أنا وصاحبي صلاة الظهر فإذا بجامعة من السائحين المنقطعين دخلوا علينا يريدون ما نريد من الصلاة في ذلك المسجد وفيهم ذلك الرجل الذي كلامي على البحر الذي قيل لي أنه الخضر وفيهم رجل كبير القدر أكبر منه منزلة وكان بيبي وبين ذلك الرجل اجتماع قبل ذلك موعدة فقمت فسلمت عليه فسلم علي وخرج بي وتقى بنا يصلى فلما فرغنا من الصلاة خرج الإمام وخرجت خلفه وهو يريد باب المسجد وكان الباب في الجانب الغربي يشرف على البحر المتوسط بموضع يسمى بكة فقمت أتحدث معه على باب المسجد وإذا بذلك الرجل الذي قلت إنه الخضر قد أخذ حصيراً فان في محراب المسجد فبسطه في الهواء على قدر علو سبعة أذرع من الأرض ووقف على

الحصير في الهواء يتنفل فقلت لصاحبِي : أما تنظر إلى هذا وما فعل ؟ فقال لي : سر إليه واسأله فتركَت صاحبِي واقفًا وجئت إليه فلما فرغ من صلاته سلمت عليه «^(١)».

ونكتفي بهاتين الحكايتين لإثبات بأن المتصوفة يعتقدون بأن الخضر حي يرزق ويدعون بأنهم يتلقون به ويتلقون عنه أذكارهم ففيهما الكفاية ولأن هذا أمر معلوم ومحض معرفة لدى الأوساط الصوفية حيث يعتقدون كلهم حتى العوام منهم بأن الخضر حي وأنه يتلقى منه المتصوفة أذكارهم ولا يمكن أن ينكر لك هذا نهائياً.

يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق حاكياً عن مزاعم الصوفية فيه :

« باختصار لقد تحول الخضر إلى قصة خرافية كبيرة أشبه بقصة ما يسمونه بالسوبر مان الذي يطير في كل مكان ويلتقي بالأصدقاء والخلان في كل البلدان ويسرع للناس ما شاء من عبادات وقربان ويلقن الأذكار وينشئ الطرق الصوفية ويعدم الأولياء والأقطاب ويولي من يشاء ويعزل من يشاء وما عليك إذا أردت لقاء الخضر إلا أن تذكر مجموعة من الأذكار فیأتيك الخضر في الحال ويسشرك بما تشاء من البشارات و يجعلك ولیاً من الأولياء ويعطيك علوماً لدنية لم يعلمهها الرسل أنفسهم ولا خطرت لهم على بال »^(٢)

* * *

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (١٨٢/٣) وانظر « عقود الجوادر » لفوري علي (ص ٧) وكذلك « التشرف إلى رجال التصوف » لأبي يعقوب (ص ٣١).

(٢) « الفكر الصوفي » لعبد الرحمن عبد الخالق (ص ١٣٤).

المطلب الثاني

بيان بطلان معتقد الصوفية بحياة الخضر والتلقي عنه

لقد بینا في المطلب الأول من هذا المبحث بأن الصوفية يعتقدون أن الخضر حي يرزق إلى الآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وادعاؤهم تلقي أذكارهم عنه^(١).

وفي هذا المطلب نريد أن نبين بطلان هذا المعتقد ومخالفته للمعتقد الصحيح الواجب بالنسبة لحياة الخضر وموته.

فنقول إن الصحيح من أقوال العلماء هو أن الخضر عليه السلام ليس بحی إلى الآن وإنما هو قد مات كما مات غيره وهذا هو الذي تؤيده الأدلة الصحيحة بخلاف القائلين بحياة الخضر عليه السلام فإن الأدلة لا تؤيدهم نهائياً وما أوردوه من أدلة فهي أدلة ضعيفة لا تصلح أن يعتمد عليها لإثبات مثل هذا الأمر العقدي.

* فمن العلماء الذين قالوا بموت الخضر عليه السلام وعدم تعميره إلى الآن أو في زمن الرسول عليه السلام الإمام المفسر الكبير أبو حيأن قال رحمة الله :

(والجمهور على أن الخضر قد مات و Mohammad ibn al-Fadl Al-Mursi فقد قال : أما خضر موسى بن عمران فليس بحی لأنه لو كان حي للزمه المجيء إلى النبي ، والإيمان به واتباعه وقد روی عنه عليه السلام أنه قال : « لو كان موسى

(١) انظر (ص ٥٢٢ - ٥١٩).

وعيسى حين لم يسعهما إلا اتباعي »^(١) .

ومن العلماء الذين قالوا بموت الخضر وعدم تعميره القاضي أبو يعلى فقد قال :

« وكيف يعقل وجود الخضر ولا يصلی مع الرسول ﷺ الجمعة والجماعة ولا يشهد معه الجهاد مع قوله عليه الصلاة والسلام : « والذي نفسي بيده لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني »^(٢) .

وقوله تعالى : « وَإِذَا أَخْدَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لِمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ »^(٣) .

وثبوت أن عيسى عليه السلام إذا نزل إلى الأرض يصلی خلف إمام هذه الأمة ولا يتقدم عليه في مبدأ الأمر وما أبعد فهم من يثبت وجود الخضر عليه السلام وينسى ما في إثباته من الإعراض عن هذه الشريعة . . . ثم قال بعد أن ذكر وجوهًا من الأدلة العقلية على عدم حياة الخضر :

الخامس : أن القول بحياة الخضر قول على الله بغير علم وهو حرام بنص القرآن .

أما المقدمة الثانية ظاهرة والأولى فلأن حياته لو كانت ثابتة لدل عليها القرآن أو السنة أو الإجماع فهذا كتاب الله فأين حياة الخضر وهذه سنة رسول الله فأين فيها ما يدل على ذلك بوجه وهؤلاء علماء الأمة فمتى أجمعوا على حياته .

(١) « البحار المحيط » لأبي حيان (١٤٧/٦) .

(٢) « مسند أحمد » مع اختلاف في بعض الانفاظ (٣٣٨/٣) ط . دار الفكر العربي .

(٣) آل عمران : (٨١) .

السادس : أن غاية ما يتمسك به في حياته حكايات منقولة يخبر الرجل بها أنه رأى الخضر فيالله تعالى العجب فهل للخضر علامه يعرفه بها من رأه وكثير من زاعمي رؤيته يفتر بقوله أنا الخضر ومعلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله فمن أين للرائي أن المخبر له صادق ولا يكذب.

السابع : أن الخضر فارق موسى بن عمران كليم الرحمن ولم يصاحبه وقال : ﴿هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ فكيف يرضى لنفسه بمفارقة مثل موسى عليه السلام ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة الذين لا يحضرون جماعة ولا جماعة ولا مجلس علم وكل منهم يقول قال لي الخضر أو صاني الخضر فيا عجبا له يفارق الكليم موسى ويدور على صحبه مغفل لا يصحبه إلا شيطان رجيم سبحانه هذا بهتان عظيم .

الثامن : أن الأمة مجمعة على أن الذي يقول أنا الخضر لو قال سمعت رسول الله يقول كذا وكذا لم يلتفت إلى قوله ولم يحتاج به في الدين ولا مخلص القائل ب حياته عن ذلك إلا أن يقول إنه لم يأت إلى الرسول ولا بايعه أو يقول إنه لم يرسل إليه وفي هذا من الكفر ما فيه .

التاسع : أنه لو كان حيّا لكان جهاده الكفار ورباطه في سبيل الله ومقامه في الصف ساعة وحضوره الجمعة والجماعة وإرشاد جهله الأمة أفضل بكثير من سياحته بين الوحش في القفار والفلوات إلى غير ذلك «^(١)».

ورغم أن الألوسي من الذين يقولون بحياة الخضر عليه السلام إلا أنه

(١) «تفسير روح المعانى» للألوسي (١٥ / ٣٢٠ - ٣٢١).

أكَدَ بِأَنَّ الْأَدْلَةَ الصَّحِيحَةَ تُؤَيِّدُ الْقَاتِلِينَ بِمَوْتِ الْخَضْرِ وَهَذَا نَصُّ كَلَامِهِ فَقَدْ
قَالَ :

« ثُمَّ أَعْلَمُ بَعْدَ كُلِّ حِسَابٍ أَنَّ الْأَخْبَارَ الصَّحِيحَةَ النَّبُوَيَّةَ وَالْمُقَدَّمَاتِ
الرَّاجِحَةِ الْعُقْلِيَّةَ تُساعِدُ الْقَاتِلِينَ بِوَفَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيِّ مُسَاعَدَةً وَتَعَاصِدَهُمْ
عَلَى دُعَواهُمْ أَيِّ مُعَاصِدَةً وَلَا مُقتَضَى لِلْعَدُولِ عَنْ ظَواهِرِ تِلْكَ الْأَخْبَارِ إِلَّا
مِرَاعَاةُ ظَواهِرِ الْحَكَائِيَّاتِ الْمَرْوِيَّةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصَحَّتِهَا عَنْ بَعْضِ الصَّالِحِينِ
الْأَخْيَارِ وَحْسَنِ الظُّنُونِ بِبَعْضِ الصَّوْفِيَّةِ فَإِنَّهُمْ قَالُوا بِوْجُودِهِ إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ عَلَى
وَجْهِ لَا يَقْبِلُ التَّأْوِيلَ السَّابِقِ » .

وَقُولُ الْأَلْوَسِيِّ : هَذَا دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَى أَنَّ الْحَقَّ مَعَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ
يَقُولُونَ بِمَوْتِ الْخَضْرِ وَغَيْرِهِ تَعْمِيرَهُ حَيْثُ أَنَّ الْأَلْوَسِيَّ مِنَ الْقَاتِلِينَ بِحَيَاةِ
الْخَضْرِ تَقْليِدًا لِمَشَائِخِ الْصَّوْفِيَّةِ حَيْثُ أَنَّهُ مُتَأْثِرٌ بِهِمْ جَدًّا وَيُلَاحِظُ هَذَا كُلُّ مَنْ
يَقْرَأُ فِي تَفْسِيرِهِ « رُوحُ الْمَعْانِي » .

وَمَعَ هَذَا فَإِنَّهُ أَقَرَّ بِأَنَّ الْأَدْلَةَ تُؤَيِّدُ الْقَاتِلِينَ بِمَوْتِهِ وَيَكْفِيُ هَذَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
فَالْحَقُّ هُوَ مَا شَهَدَ بِهِ الْخُصُوصُ .

* وَمِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ قَالُوا بِمَوْتِ الْخَضْرِ وَغَيْرِهِ إِبْرَاهِيمُ الْحَرَبِيُّ
حَيْثُ قَالَ حِينَ سُئِلَ عَنْ بَقَاءِ الْخَضْرِ إِلَى الْآنِ :

« مَنْ أَحَالَ عَلَى غَايَةٍ لَمْ يَتَصَافَّ مِنْهُ وَمَا أَلْقَى هَذَا بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا
الشَّيْطَانُ » ^(۱) .

* وَمِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ قَالُوا بِمَوْتِ الْخَضْرِ وَغَيْرِهِ إِلَى الْآنِ الشَّيْخُ
مُحَمَّدُ الْأَمِينُ الشَّنَقِيَّيُّ مُسْتَدْلًا بِحَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ

(۱) « تَفْسِيرُ رُوحِ الْمَعْانِي » لِلْأَلْوَسِيِّ (۱۵ / ۳۲۰) .

قال قبل موته بشهر أو نحو ذلك : « ما من نفس منفوسه اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ » ^(١) .

قال الشيخ الأمين بعد ذكره لهذا الحديث :

« فهذا الذي رواه جابر فيه تصريح النبي ﷺ بأنه لا تبقى نفس منفوسة » .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لمن بعث محمد وهو حي ليؤمن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لمن بعث محمد ﷺ وهم أحياء ليؤمن به وينصرونه » .

فالخضر إن كاننبياً أو وليناً فقد دخل في هذا الميثاق ولو كان حياً في زمان رسول الله لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه يؤمن بما أنزل الله عليه وينصره أن يصله أحد من الأعداء إليه لأنه إن كان وليناً فالصديق أفضل منه وإن كاننبياً فموسى أفضل منه » ^(٢) .

* ومن العلماء الذين صرحوا بموت الخضر عليه السلام وأنه ليس بحبي شيخ الإسلام ابن تيمية فقد قال رحمه الله :

« والصواب الذي عليه المحققون أنه ميت وأنه لم يدرك الإسلام ولو كان موجوداً في زمان النبي ﷺ لوجب عليه أن يؤمن به ويجهاد معه كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره ولكن يكون في مكة والمدينة ولكن يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم على الدين أولى به من حضوره عند قوم كفار ليرفع لهم سفيتهم ولم يكن مختفياً عن خير أمة أخرجت

(١) « صحيح مسلم » مع شرح الترمذ (٩٠ / ١٦) .

(٢) « تاريخ ابن كثير البداية والنهاية » (٣٣٤ / ١) .

للناس وهو قد كان بين يدي المشركين ولم يحتجب عنهم ثم ليس للمسلمين به وأمثاله حاجة لا في دينهم ولا في دنياهم فإن دينهم أخذوه عن الرسول النبي الأمي ﷺ الذي علمهم الكتاب والحكمة . . . وإذا كان الخضر حيَا دائمًا فكيف لم يذكر النبي ذلك قط ولا أخبر به أمته ولا خلفاؤه الراشدون ، وقول القائل إنه نقيب الأولياء فيقال له : من ولاه النقابة وأفضل الأولياء أصحاب محمد وليس فيهم الخضر وعامة ما يحكي في هذا الباب من الحكايات بعضها كذب وبعضها مبني على ظن رجل : مثل شخص رأى رجلاً ظن أنه الخضر وقال : إنه الخضر كما أن الرافضة ترى شخصاً تظن أنه الإمام المنتظر المعصوم أو تدعي ذلك . وروى عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال وقد ذكر له الخضر : « من أحالك على غائب فما أنت بالغائب وما أنت بما على السنة الناس إلا الشيطان » ^(١) .

* ومن العلماء الذين قالوا بموت الخضر وعدم بقائه إلى الآن الإمام البخاري حيث إنه لما سُئل عن حياة الخضر أنكر ذلك واستدل على عدم حياته وتعميره بالحديث : « فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض من هو عليها أحد » ^(٢) .

وهذا الحديث هو عمدة من تمسك بأن الخضر قد مات وأنه ليس بياق في هذه الدنيا .

* ومن العلماء الذين قالوا بموت الخضر وعدم تعميره إلى الآن أبو الحسن بن المنادى حيث قال رحمه الله :

(١) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (١٧ / ١٠٢ - ١٠٠) باختصار.

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (١ / ٢٥٥).

« بحثت عن تعمير الخضر وهل هو باق أم لا فإذا أكثر المغفلين مفترون بأنه باق »^(١).

هذا وقد ضعف العلماء الأدلة التي استدل بها القائلون بحياة الخضر من المتصوفة وغيرهم وإليك نماذج من أقوالهم :

* فمن العلماء الذين ذهبوا إلى تضييق الأدلة التي استدل بها القائلون بحياة الخضر أبو الحسن بن المنادى حيث قال بعد أن نفى حياة الخضر وتعميره :

« والأحاديث المرفوعة في ذلك واهية والسد إلى أهل الكتاب ساقط لعدم ثقتهم وخبر مسيلمة بن مصقلة كالخرقة وخبر رياح كالرياح قال : وما عدا ذلك كله من الأخبار واهية الصدور والأعجاز لا يخلو حالها من أحد أمرين :

إما أن تكون أدخلت على الثقات استغفالاً أو يكون بعضهم تعمداً.
وقد قال تعالى : « **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنْ مِّتَ فَهُمُ الْخَالِدُونَ** »^(٢).

* ومن العلماء الذين قالوا بضعف الأدلة التي استدل بها القائلون بحياة الخضر وتعميره أبو الخطاب بن دحية وقد قال في هذا :

« جميع ما ورد في حياة الخضر لا يصح منها شيء باتفاق أهل النقل وإنما يذكر ذلك من روى الخبر ولا يذكر علته إما لكونه لا يعرفها وإما لوضوحها عند أهل الحديث ».

(١) « الزهر النضر في نبات الخضر » ضمن الرسائل المنيرية (ص ٢٠٦).

(٢) الآباء : (٣٤) والموضوع انظر له « الزهر النضر في نبات الخضر » ضمن الرسائل المنيرية .

ثم قال : « وأما ما جاء عن المشايخ فهو مما يتعجب منه كيف يجوز للعاقل أن يلقى شخصاً لا يعرفه فيقول له : أنا فلان . فيصدقه » .

ثم قال : « وأما حديث التعزية الذي رواه أبو عمر بن عبد البر فهو موضوع رواه عبد الله بن المحرز عن يزيد بن الأصم عن علي رضي الله عنه وابن محرز متزوك وهو الذي قال ابن المبارك في حقه كما أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه : لما رأيته كانت بعراة أحب إلى منه . ففضل رؤية النجاسة على رؤيته » ^(١) .

* ومن العلماء الذين ضعفوا أدلة القائلين بحياة الخضر الإمام ابن كثير رحمه الله حيث قال بعد أن ساق الأحاديث والحكایات التي استدل بها القائلون بحياته :

« وهذه الحکایات والروايات هي عمدة من ذهب إلى حياته اليوم وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا تقوم بمثلها حجة في الدين والحكایات لا يخلو أكثرها من ضعف في الإسناد وقصاراها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره لأنه يجوز عليه الخطأ والله أعلم . . . » إلى أن قال : « وقد تصدى الشيخ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله في كتابه « عجاله المنتظر في شرح حالة الخضر » للأحاديث الواردة في ذلك من المرفوعات وبين أنها موضوعات ومن الآثار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم وبين ضعف أسانيدها بيان أحوالها وجهالة رجالها وقد أجاد في ذلك وأحسن الانتقاد » ^(٢) .

(١) « الزهر النضر في نبأ الخضر » (٢٠٣/٢) .

(٢) « البداية والنهاية » لابن كثير (٣٤٤/١) .

وقد ناقش الإمام ابن حجر رحمه الله الأحاديث التي استدل بها القائلون بحياة الخضر فحكم على جميعها بالضعف ومعلوم أن الإمام ابن حجر يعتبر حجة في علوم الحديث فهو بحر لا ساحل له في هذا المجال ، والليك عبارة ابن حجر في آخر كتابه « الزهر النضر في نبأ الخضر » بعد أن ناقش الأحاديث الواردة في هذا المجال وفي مقدمتها حديث تعزية الخضر للصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ وحديث أنس الذي يتضمن أن الرسول أرسله إلى الخضر ليدعوه للرسول وغير ذلك من الأحاديث التي وردت في حياة الخضر .

قال ابن حجر :

« والذى تميل إليه النفس من حيث الأدلة القوية خلاف ما يعتقد العوام من استمرار حياته لكن ربما عرضت من جهة كثرة الناقلین للأخبار الدالة على استمراره فيقال هب أن أسانيدها واهية إذ كل طريق منها لا يسلم من سبب يقتضي تضعييفها فماذا يصنع في المجموع فإنه على هذه الصورة قد يتحقق بالتواتر المعنوي الذي مثلوا له بوجود حاتم فمن هنا مع احتمال للتأويل في أدلة القائلين بعدم بقائه كآية (وما جعلنا لبشرٍ مِّنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ) ول الحديث : « رأس مائة سنة » وغير ذلك مما تقدم بيانه .

وأقوى الأدلة على عدم بقائه عدم مجئه إلى رسول الله ﷺ وانفراده بالتعمير من بين أهل الأعصار المتقدمة بغير دليل شرعى والذى لا يتوقف فيه الجزم بنبوته ^(١) .

والخلاصة إن الراجح من الأقوال هو قول الذين يقولون بموت الخضر

(١) « الزهر النضر في نبأ الخضر » (٢٣٤/٢) .

وعدم تعميره إلى زمن الرسول ﷺ وإلى الآن وذلك لقوة أدتهم التي سبق ذكرها من آيات قرآنية وأحاديث نبوية .

وأما القائلون بحياة الخضر وتعميره فليس لهم أدلة صحيحة يعتمدون عليها وإنما كل ما يعتمدون عليه من أدلة لا يخلو من أحد أمرين :

إما أحاديث ضعيفة وموضوعة التي حكم عليها العلماء بالإجماع بالضعف وإما حكايات مشائخ التصوف وأمثالهم الذي يزعمون بأنهم التقوا بالخضر .

والأحاديث الضعيفة والموضوعة والحكايات المكذوبة لا تصلح أن تكون أدلة يعتمد عليها لإثبات مثل هذا الأمر وعلى هذا فالقول بحياة الخضر وتعميره يعتبر باطلًا وكذبًا وافتراءً على الله وعلى رسوله وذلك لأنه لم يرد في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله ﷺ ما يدل على تعمير الخضر نهائياً .

وبناء على هذا فحكايات الصوفية التي يزعمون فيها التقاؤهم بالخضر وتلقي الأذكار عنه تعتبر كذبًا وافتراءً محضًا على الله وعلى رسوله ﷺ لأن الخضر قد مات كما يموت غيره فكيف يمكن أن يتلقي بهم ويوزع عليهم الأذكار .

وعلى فرض حياته وإن كان هذا مرجوحًا فإنه لا يصح للخضر أن يقوم بتوزيع الأذكار على الناس بل يجب عليه هو أيضًا أن يتلزم بالأذكار الواردة في الكتاب والسنة ويتبع الرسول ﷺ في كل شئون حياته أما أن يتبدع أذكاراً جديدة على هذه الأمة فهذا يعتبر إفساداً في الأرض ومحادة لله ولرسوله .

وأخيراً أختتم هذا المبحث المتعلق بالخضر عليه السلام بنقل كلام

نفيس للإمام ابن كثير رحمه الله ختم به موضوع الخضر في كتابه « البداية والنهاية » فقال :

« ثم ما الحامل له - أي الخضر عليه السلام - على هذا الاختفاء وظهوره أعظم لأجره وأعلى في مرتبته وأظهر لمعجزته ثم لو كان باقياً بعده لكان تبليغه عن رسول الله ﷺ الأحاديث النبوية والآيات القرآنية وإنكاره لما وقع من الأحاديث المكذوبة والروايات المقلوبة والأراء البدعية والأهواء العصبية وقتاله مع المسلمين في غزواتهم وشهادتهم جمعهم وجماعاتهم ونفعه إياهم ودفعه الضرر عنهم ممن سواهم وتسلية العلماء والحكام وتقريره الأدلة والآحكام أفضل ما يقال عنه من كونه في الأمصار وجوبه الفيافي والأقطار واجتماعه بعباد لا يعرف أحوال كثير منهم وجعله لهم كالنقيب المترجم عنهم وهذا الذي ذكرناه لا يتوقف أحد فيه بعد التفهم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » ^(١) .

ونشي قول الإمام ابن كثير يقول الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد فقد قال حفظه الله وأطال في عمره بعد أن ناقش موضوع الخضر عليه السلام من جميع جوانبه :

« إذا اتضحت ذلك فاعلم أن القول بولاية الخضر والقول بأنه ما زال حياً قد جر هذان القولان من البلايا والمحن والدعوى الكاذبة والتلبس على العامة بل وعلى الخاصة ما لا يصدقه عقل ولا يقبله دين من دعوى فضل الولاية والأولياء على النبوة والأنبياء وإن فلاناً لقي الخضر عليه السلام واستلهمه كذا وكذا والقول بولايته وحياته أبد الدهر هما معتمد الصوفية في

(١) « البداية والنهاية » لابن كثير (٣٣٦/١) .

جعل الشريعة لها ظاهر وباطن وأن علماء الباطن ينكرون على علماء الظاهر
ولا عكس وبه قالوا بحجة الإلهام وأن الوليي أفضل وأعلم من النبي والدعاوى
الواسعة لقاء الخضر والأخذ عنه فمنهم من لقي الخضر يصلى على المذهب
الحنفي وأخرون رأوه يصلى على المذهب الشافعى ^(١).

* * *

(١) « التحذير من مختصرات الصابوني » لبكر أبو زيد (ص ٦٥).

الفصل الثالث

انحرافاتهم تجاه الأولياء

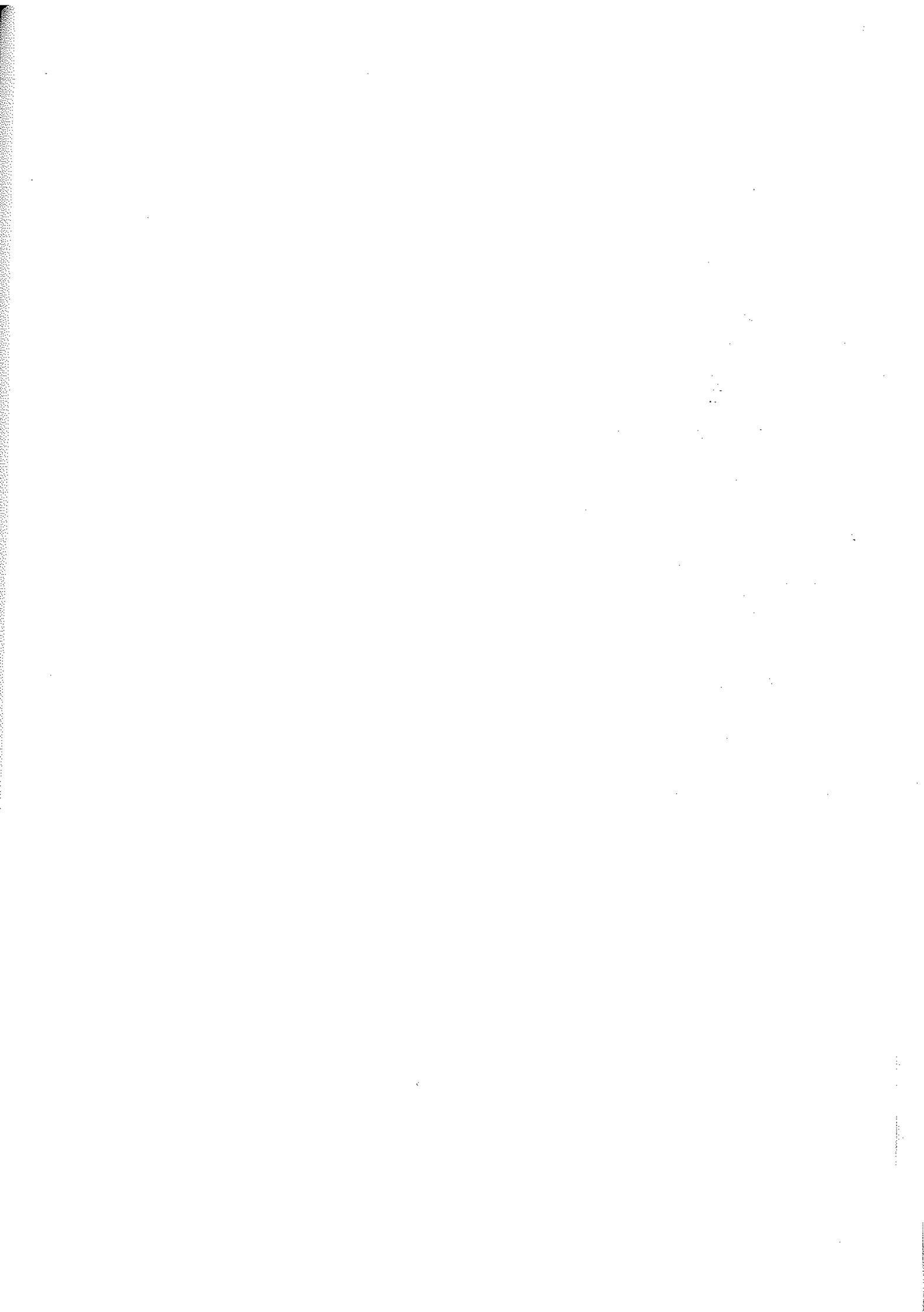
وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : ادعاء الصوفية التلقي عن الله
والعروج إليه وتفضيل الولاية
على النبوة. (وتحته مطلبان)

المبحث الثاني : اعتقادهم بأن هناك مجموعة من
الأولياء لهم ألقاب خاصة بهم
يتصرفون في هذا الكون
ويتحكمون فيه . (وتحته مطلبان)

المبحث الثالث : اعتقادهم بأن الأولياء يعلمون
الغيب . (وتحته مطلبان)

المبحث الرابع : توجّه الصوفية إلى الأولياء
بالدعاة والاستغاثة . (وتحته
مطلوبان)



المبحث الأول

تعريف الولي في اللغة والاصطلاح مع بيان المفهوم
الصحيح لولالية الله بإيجاز

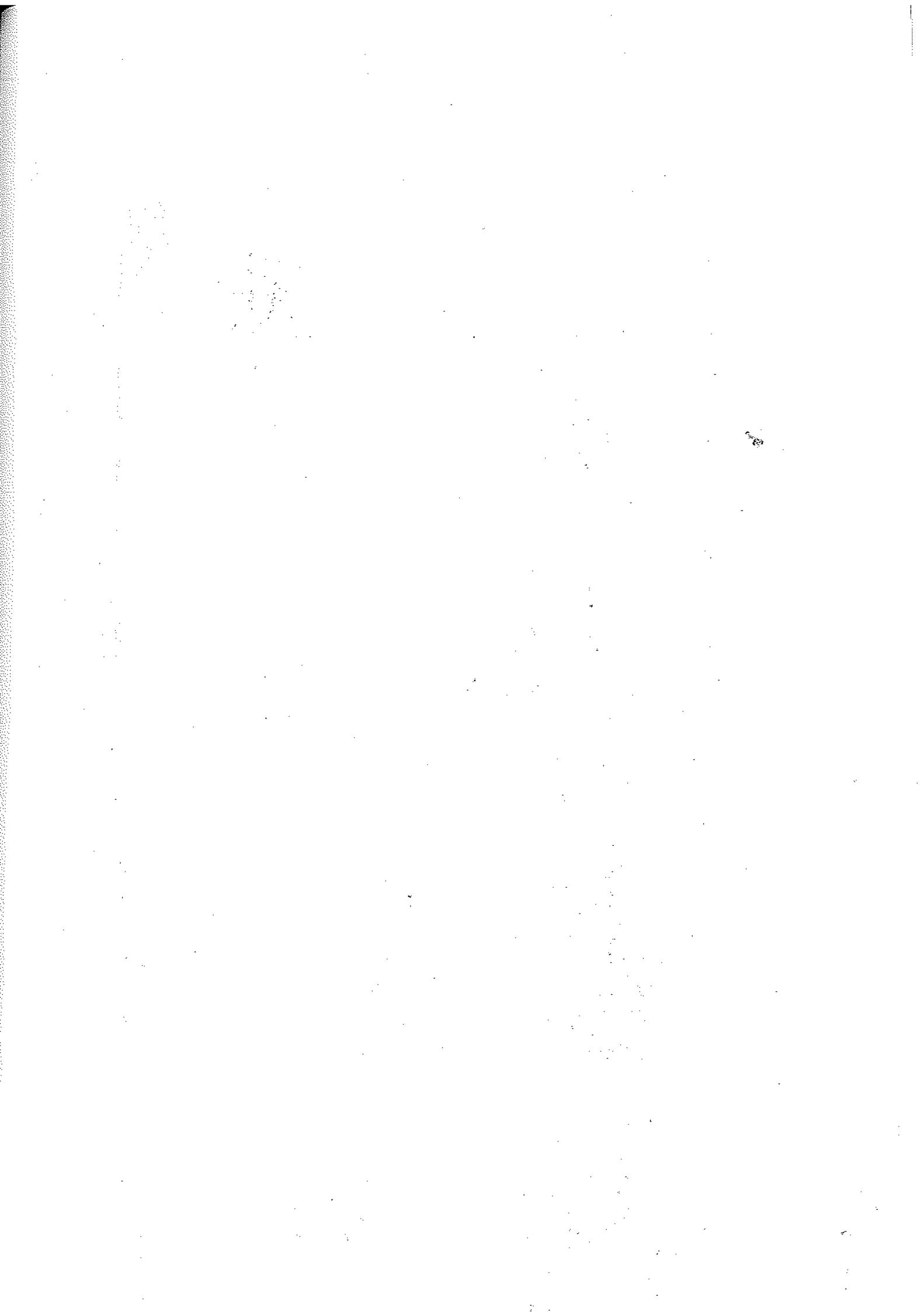
وادعاء الصوفية التلقي عن الله والعروج إليه وتفضيل
الولالية على النبوة

وتحت ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الولي في اللغة والاصطلاح مع
بيان المفهوم الصحيح لولالية بإيجاز.

المطلب الثاني : ذكر النصوص عنهم التي تثبت بأن
الصوفية يزعمون التلقي عن الله
والعروج إليه وأن الولالية أفضل من
النبوة.

المطلب الثالث : بيان بطلان هذا الادعاء وأنه لا وحي
بعد رسول الله ﷺ يتلقاه أحد عن الله
كائناً من كان.



تمهيد

لقد انحرف الصوفية في باب الولاية انحرافات خطيرة جداً وهذه الانحرافات تتمثل في الأمور الآتية وهي :

أولاً : زعم الصوفية أنهم يتلقون علومهم عن الله مشافهة وأنهم يرجعون إلى السماوات العلي ويتكلمون مع الرب سبحانه وتعالى وادعوا أيضاً بأن النبوة مستمرة غير منقطعة وأن الولاية أفضل من النبوة لأن النبوة قد انقطعت بينما الولاية لم تنقطع وعلى هذا فالوحي إلى الولي عن الله مستمر بل ادعى بعض غلاتهم بأن الأنبياء يوحى إليهم بواسطة الملك بينما الأولياء يأخذون علومهم عن الله بلا واسطة وأنهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه جبريل عليه السلام .

وادعى الصوفية أيضاً بأن الأولياء لهم المقدرة الكاملة للتصرف في هذا الكون وأن هذا الكون تسيره مجموعة ممن يسمونهم أولياء وأنه لا يمكن أن يقع شيء في هذا الكون إلا عن طريق أهل التصريف من دجاجلة الصوفية .

وادعوا أيضاً بأن الأولياء يعلمون كل الغيب وأنهم لا يخفى عليهم أمر من الأمور في هذا الكون مهما كان بعيداً أو دقيقاً .

وادعوا أيضاً بأن الأولياء يستطيعون أن يغيثوا كل من استغاث بهم في حياتهم وبعد مماتهم ولذا ترى الصوفية في العالم الإسلامي يلهجون بدعاء الأولياء وندائهم من دون الله سبحانه وتعالى .

وسأقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : سأبين فيه بأن المتصوفة ادعوا التلقي عن الله والعروج إليه وأن الولاية أفضل من النبوة مع تعريف الولي وبيان المفهوم الصحيح لولاية الله بإيجاز.

وأما المبحث الثاني : فسأبين فيه بأن الصوفية وضعوا مراتب وألقاباً للأولياء من عند أنفسهم وزعموا بأن الكون تسيره هذه المجموعة من البشر .

وأما المبحث الثالث : فسأبين فيه بأن الصوفية يجوزون التوجّه إلى الأولياء بالدعاء والاستغاثة .

المطلب الأول

تعريف الولي مع ذكر المفهوم الصحيح لولاية الله بإيجاز

تعريف الولي :

الولي في اللغة : القرب والدُّنْو والمطر بعد المطر .
والولي الاسم منه المحب والصديق والنصير والولاية الإمارة والسلطان
والمولى والمعتق والمعتق والصاحب والقريب والولي والرب والناصر
والمحب^(١) .

ويقول الإمام الشوكاني في تعريف الولاية :
« والولاية ضد العداوة وأصل الولاية المحبة والتقرب كما ذكره أهل
اللغة وأصل العداوة البغض والبعد »^(٢) .

(١) انظر « المعجم الوسيط » (٢/٥٨١).

(٢) « قطر الولي في حد شرح حديث الولي » للشوكاني (ص ٧) .

وأما تعريف الولي في الاصطلاح : فقد عرفه شيخ الإسلام ابن تيمية فقال :

« وقد قيل إن الولي سمي ولیاً من موالاته للطاعات أي متابعته لها ويعقابل الولي العدو على أساس من القرب والبعد »^(١)

وقال الإمام الشوكاني في تفسيره :

« والمراد بأولياء الله خلقه المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته وقد فسر سبحانه هؤلاء الأولياء بقوله : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾^(٢) أي يؤمنون بما يجب الإيمان به ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصي الله سبحانه »^(٣).

وقال الدكتور إبراهيم هلال :

« وهذا المعنى الذي يدور بين الحب والقرب هو الذي أراده القرآن الكريم من كلمة ولی ومشتقاتها في كل موضع أتى بها فيه سواء في جانب أولياء الله أو في جانب أولياء أعداء الله وأعداء الشيطان »^(٤).

وقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه وسنة رسوله ﷺ أن لله أولياء من الناس وللشيطان أولياء ففرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فقد قال تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلَيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^{٦٢} ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾^{٦٣} **لَهُمُ الْبُشِّرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ**

(١) « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » (ص ٦).

(٢) يونس : (٦٣).

(٣) « فتح القدير » (٤٥٧/٢).

(٤) « ولایة الله والطريق إليها » لإبراهيم هلال (ص ٧١).

ذلك هو الفوز العظيم ﴿١﴾

وقال تعالى : ﴿اللَّهُ وَلِيُ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢﴾

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمُ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٣﴾

وذكر أولياء الشيطان فقال تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ ﴿٤﴾

وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتَلُوا أُولَئِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ ﴿٥﴾

وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أُولَئِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُُتُّمُ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦﴾

وعلى هذا فالتقسيم الصحيح للناس في هذه الحياة الدنيا هو أنهم

(١) يومن : (٦٤ - ٦٦).

(٢) البقرة : (٢٥٧).

(٣) المائدة : (٥١).

(٤) النحل : (٩٨ - ١٠٠).

(٥) النساء : (٧٦).

(٦) آل عمران : (١٧٥).

ينقسمون إلى قسمين لا ثالث لهما وهو أن أي أحد من الإنس أو الجن في هذه الحياة إما أن يكون ولّا لله وإنما أن يكون عدوًّا لله وليس الولاية محصورة في أشخاص معينين كما يزعم الصوفية ذلك بل ما نعتقد هو أن أي مسلم يؤمن بالله وبرسوله وينفذ أوامر الله ويتجنب نواحيه فهو ولی من أولياء الله سبحانه وتعالى .

ثم إن من شرط ولایة الله سبحانه وتعالى هو أن يؤمن الإنسان بالله وبرسوله وأن يتبع الرسول في الظاهر والباطن وكل من يدعى محبة الله وولايته بدون متابعة الرسول ﷺ فهو كاذب مفتر دجال وليس من أولياء الله بل هو من أولياء الشيطان قال تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَأَتَبِعُونِي يُحِبِّيكُمُ اللَّهُ﴾^(١) .

قال الحسن البصري رحمه الله :

« ادعى قوم أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية محنـة لهم وقد بين الله فيها أن من اتبع الرسول فإن الله يحبه ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول ﷺ فليس من أولياء الله وإن كان كثير من الناس يظـنون في أنفسهم أو غيرهم أنهم من أولياء الله ولا يكونون من أولياء الله .

فاليهود والنصارى يدعون أنهم أولياء الله وأنه لا يدخل الجنة إلا من كان معهم بل يدعون أنهم أبناءه وأحبابه .

وكان مشركون العرب يدعون أنهم أهل الله لسكنائهم مكة ومجاورتهم البيت وكانوا يستكثرون على غيرهم »^(٢) .

(١) آل عمران : (٣١) .

(٢) « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » (ص ٩) .

ولكن الصوفية خصصوا لولاية الله سبحانه وتعالى أعداداً معينة في حدود الأربعين أو الثلاثمائة أو غيرها من الأعداد التي يذكرها المتصوفة لمن يتلقون عليهم أنهم أولياء الله وأصبحوا يصفونهم بأوصاف لا تليق إلا بالله سبحانه وتعالى حيث أدعوا بأن الأولياء يعلمون الغيب ويتصرون في الكون تصرفاً مطلقاً ويدعون ويستغاث بهم من دون الله وهذه كلها معتقدات فاسدة دخيلة على الإسلام جلبها المتصوفة من الطوائف الوثنية الضالة التي تبعد البشر من دون الله وهذا ما سنبينه إن شاء الله في هذا الفصل في المباحث الآتية^(١).

المطلب الثاني

ذكر النصوص التي ثبتت بأن الصوفية يزعمون التلقي عن الله والعروج إليه وأن الولاية أفضل من النبوة

لقد صرخ كبار الصوفية بأنهم بالفعل يتلقون علومهم عن الله وبما أن المتصوفة الذي قالوا بهذا كثيرون فساكتنفي إن شاء الله بذكر أقوال مشائخهم لأن المقصود هو إيراد أدلة عنهم لإثبات بأنهم بالفعل يعتقدون هذا المعتقد وإليك الآن نصوص من بطون كتبهم ومن أفواه مشائخهم .

* فمن مشائخ الصوفية الكبار الذين قالوا أنهم يتلقون علومهم عن الله محي الدين بن عربي وقد بالغ هذا الرجل في هذا الادعاء وتكلم عن كيفية وحيي الله إلى الأولياء ووضح وفصل في هذا الوحي المزعوم وإليك نماذج من كلامه :

(١) انظر (٥٣٤ - ٥٨٣).

فقد قال في «الفتوحات المكية» مبيناً كيفية تصنيف العارفين لكتبهم وأنهم كيف يضعون مواضع تحت باب لا يشملها عنوان الباب وعلل أن سبب ذلك هو أن العارفين قلوبهم عاكفة على الحضرة الإلهية تتلقى منه العلوم وإليك نص كلامه قال :

«اعلم أن العارفين رضي الله تعالى عنهم لا يتقيدون في تصانيفهم بالكلام فيما بوبوا عليه فقط ذلك لأن قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الإلهية مراقبة لما يبرز لهم منها فمهما بروز لهم كلام بادروا لإلقائه على حسب ما حد لهم فقد يلقون الشيء إلى ما ليس في جنسه امثلاً لأمر ربهم وهو تعالى يعلم حكمة ذلك » انتهى فهذه النقول تدل على أن كلام الكمل لا يقبل الخطأ من حيث هو والله أعلم^(١) .

فإذا نظرنا في النص السابق نجد ادعاء التلقي عن الله واضحاً فيه ويتبين لنا هذا في الكلمات الآتية من النص «اعلم أن العارفين رضي الله عنهم لا يتقيدون في تصانيفهم بالكلام فيما بوبوا عليه فقط ذلك لأن قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الإلهية مراقبة لما يبرز لهم منها إلى قوله امثلاً لأمر ربهم » .

ومعنى هذا الكلام أن الصوفية يتلقون علومهم عن الله وأنهم يضعون العلوم التي يتلقونها حسب ما حد لهم وأنهم يمثلون هذا الأمر ولا يخالفونه وتعليق الشعري على كلام ابن عربي في آخر النص يدل دلالة واضحة على القول بعصمة الأولياء وليس هذا بغرير لأن من ادعى التلقي عن الله فمن السهل جداً أن يدعي العصمة لأن التلقي عن الله هو ادعاء بنزول الوحي إلى

(١) «الاليقنت والجواهر في عقيدة الأكابر» للشعري (٢٤/٢ - ٢٥) .

الأولياء وما دام يعتقد الشعرايى بهذا مصدقاً كلام شيخه الضال فليس هذا بغريب عليه لأن العصمة صفة من صفات الرسل عليهم السلام ولذا ادعى الشعرايى هذه الدعوة وهي ليست بأكبر من الصفة التي وصف بها ابن عربي الأولياء حيث وصفهم بأنهم يتلقون عن الله علومهم وأحق الشعرايى الصفة الثانية وهي القول بعصمة الأولياء وكلا الصفتين من صفة رسول الله الذين أوحى الله إليهم .

وهذا نص آخر عن ابن عربي يثبت بأنه يقول بتلقي الأولياء علومهم عن الله وقد أجاب حينما سئل عن الإلهام هل خبر إلهي ؟

قال : « نعم إنه خبر إلهي إذ هو إخبار من الله تعالى للعبد على يد ملك مغيب عن الملهم ... » .

ثم قال الشعرايى :

« فإن قلت فهل يكون إلهام بلا واسطة أحد ؟ فالجواب نعم قد يلهم العبد من الوجه الخاص الذي بين كل إنسان وبين ربه عز وجل فلا يعلم به ملك الإلهام لكن علم هذا الوجه يتسرع الناس إلى إنكاره ومنه إنكار موسى على الخضر عليهم الصلاة والسلام وعذر موسى في إنكاره أن الأنبياء ما تعودواأخذ أحكام شرعهم إلا عن ملك لا يعرف شرعاً من غير هذا الطريق فعلم أن الرسول والنبي يشهدان الملك ويريانه رؤية بصر عندما يوحى إليهما وغير الرسول يحس بأثره ولا يراه في لهمه الله تعالى بواسطة ما شاء أن يلهمه أو يعطيه من الوحي الخاص بارتفاع الوسائل وهو أجل الإلقاء وأشرفه إذا حصل الحفظ لصاحبها ويجتمع في هذا الرسول والولي »^(١) .

(١) « اليقين والجواهر في عقيدة الأكابر » للشعرايى (٨٤/٢) .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن ابن عربى صرخ بأن الأولياء يحسنون بإنزال الملك المرسل بالوحى ولا يرون أثره وأن الوحى ينزل على الولي بدون واسطة ملك وأن هذه الطريقة في الإلقاء هي أشرف طريقة ويشترك في هذه الطريقة الرسول والولي ووجه دلالة النص على أن المتصوفة يقولون بتلقي علومهم من الله واضحة جداً حيث صرخ ابن عربى بأن الوحى يلقى في الولي كما يلقى في النبي وهنا بجانب ادعاء التلقي ادعى ابن عربى التسوية بين النبي والولي في طريقة تلقي الوحى عن الله .

وقد أجاب ابن عربى حينما سئل عن الصورة التي يتنزل بها الوحى على قلوب الأولياء فقال :

« صورته أن الحق تعالى إذا أراد أن يوحى إلى ولی من أوليائه بأمر ما تجلی إلى قلب ذلك الولي في صورة ذلك الأمر فيفهم من ذلك الولي التجلی وبمجرد مشاهدته ما يريد الحق تعالى أن يعلم بذلك الولي به من تفہیم معانی کلامه أو کلام نبیه ﷺ فی قلبه بالید الإلهیة كما یلیق بجلاله تعالى ثم إن من الأولياء من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر بل يقول وجدت كذا وكذا في خاطري ولا يعلم من أتاه به ولكن من عرفه فهو أتم لحفظه حيث أنه من الشیطان »^(۱) .

والشاهد من إيراد هذا النص واضح وهو أن ابن عربى صرخ بأن الله تعالى يوحى إلى الأولياء ومعنى هذا أن الأولياء يوحى إليهم ويتلقو علومهم عن الله حسب زعمه ولا ندرى أي علم الذي يبحث عنه المتصوفة تاركين علوم الكتاب والسنۃ النبوية المظہرة إلا أن يكونوا يبحثون عن علوم شیطانية

(۱) « الیواقت والجواهر في عقيدة الأکابر » للشعراني (۲/۸۴) .

يضلون بها عن الطريق السوي .

وقد صرخ ابن عربي بأن الوحي الذي ينزل على الأولياء ينزل مكتوباً كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة وأن ميزة هذه الورقة المكتوب فيها الوحي الصوفي تقرأ من جهتين وإليك نص كلامه .

قال ابن عربي متكلماً عن الوحي الصوفي :

« وقد يكون ذلك في كتابة ويقع هذا كثيراً للأولياء وبه كان يوحى لأبي عبد الله قضيب البان وغيره كبقية بن مخلد رضي الله عنه لكنه كان أضعف الجماعة في ذلك فكان لا يجده إلا بعد القيام من النوم مكتوباً في ورقة» انتهى والعلامة على أن الكتابة وحي قال ابن عربي :

« إنها تقرأ من كل ناحية على السواء لا تتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها » .

ثم قال الدجال ابن عربي :

« وقد رأيت ورقة نزلت على فقير في المطاف بعتقه من النار على هذه الصفة فلما رأها الناس علموا أنها ليست من كتابة المخلوقين فإن وجدت تلك العلامة فتلك الورقة من الله عز وجل .

ثم قال أيضاً : « وكذلك وقع للفقيرة من تلامذتنا أنها رأت في المنام أن الحق تعالى أعطاها ورقة فانطبقت كفها حين استيقظت فلم يقدر أحد على فتحها فألهمني الله تعالى أني قلت لها : انو بقلبك إنه إذا فتح الله كفك أن تتبعيها فنويت وقربت يدها إلى فمها فدخلت الورقة في فيها قهراً عليها فقال الولي بم عرفت ذلك ؟ فقلت ألهمت أن الله تعالى لم يرد منها أن يطلع عليها أحد وقد أطلعني الله على الفرق بين كتابة الله تعالى في اللوح المحفوظ وغيره وبين كتابة المخلوقين وهو علم

عجيب رأينا وشاهدناه »^(١)

والشاهد في النص واضح حيث إن ابن عربى قال : إن الوحي الذى ينزل على الأولياء ينزل عليهم مكتوبًا من اللوح المحفوظ وابن عربى شاهد هذا العلم بنفسه ورأى منه الكثير فكيف لا وهو الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر كما يصفه المتصوفة بهذا؟! والذى يهمنا نحن هنا هو الإثبات بأن المتصوفة يقولون بتنزيل الوحي عليهم من الله وهذا واضح في النص ولا يهمنا بعد ذلك كون وحيهم ينزل مكتوبًا أو غير مكتوب لأننا نعتقد اعتقاداً جازماً بأنه وحي شيطاني لا رباني لأن الله سبحانه وتعالى قد أخبر في كتابه العزيز بأنه قد ختم بباب النبوة وإنزال الوحي برسالة محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام .

ويقول ابن عربى متحدثاً عن كتابه « فصوص الحكم » وأنه أعطاه له الرسول ﷺ وأمره بأن يخرج به إلى الناس وأنه فعل ما أمره به الرسول ﷺ وهذا نص كلامه :

« أما بعد فإني رأيت رسول الله ﷺ في بشارة رأيتها في العشر الآخر من المحرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق وبيده ﷺ كتاب فقال لي : هذا كتاب « فصوص الحكم » خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به فقلت : السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أمر ... ثم قال : فحققت الأمانة وأخلصت النية وجردتقصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي الرسول ﷺ من غير زيادة ولا نقصان »^(٢) .

(١) « الياقوت والجواهر » للشعراني (٢/٨٣ - ٨٤) .

(٢) « فصوص الحكم » لابن عربى (ص ٤٧) .

وقال في مكان آخر من نفس الكتاب :

« فاقتصرت على ما ذكرته من هذا الحكم في هذا الكتاب على حد ما ثبت في أصل الكتاب فامثلت ما رسم لي ووقفت عند ما حد لي ولو رمت زيادة على ذلك ما استطعت فإن الحضرة تمنع من ذلك »^(١).

وقال أيضاً في نفس الكتاب في فصح حكمة علوية في كلمة موسوية :

« وأنا إن شاء الله أسرد منها في هذا الباب على قدر ما يقع به الأمر الإلهي في خاطري فكان هذا أول ما شوفهت به من هذا الباب ».

والشاهد في هذه النصوص السابقة أن الرجل أولاًً ادعى بأن هذا الكتاب أمره الرسول ﷺ أن يخرج به إلى الناس لكي يتذمروا به ونحن نقول : إن هذا كذب محض وافتراء على الرسول ﷺ وذلك لأن الرسول ﷺ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يأمر ابن عربي ويوصيه بإيصال هذا الكتاب إلى الناس وذلك لأمور .

الأمر الأول : إن الرسول ﷺ قد بلغ رسالة ربه وهو حي ولم يترك مما أمره الله بتبلیغه شيئاً حتى يوصي به ابن عربي الدجال .

الأمر الثاني : إن هذا الكتاب من أوله إلى آخره مملوء بالدعوة إلى الكفر والشرك والإلحاد والرسول ﷺ ما جاء إلا للدعوة إلى توحيد الله ومحاربة ما يدعو إليه ابن عربي في كتابه الذي زعم أنه أوصاه به رسول الله ﷺ .

وبنظرة بسيطة إلى ما يحويه هذا الكتاب نستطيع أن نعرف بأن هذا

(١) « فصوص الحكم » لابن عربي (ص ٥٨) .

الكتاب بالفعل أوحاه إليه الشيطان وأمره أن يخرج به إلى الناس وإليك نماذج من العلم الذي يحتويه هذا الكتاب حتى تحكم عليه بنفسك لأن ليس من رأى كمن سمع .

النموذج الأول :

لقد زعم ابن عربي بأن قوم نوح أجابوا رسولهم نوحًا عليه السلام ولم يرفضوا دعوته بل أجابوه إجابة حقيقة وأن نوحًا مكر بهم فمكرروا به وإن تمسكهم باللهتهم إنما هو تمسك بحق أراد نوح أن يزكيهم عنه وإليك عبارته الواقعة التي تدل دلالة واضحة على هذا حيث قال :

« علم العلماء بالله ما أشار إليه نوح عليه اسلام في حق قومه من الثناء عليهم بسان الدم وعلم أنهم إنما لم يجيئوا دعوته لما فيها من الفرقان والأمر قرآن لا فرقان ومن أقيم في القرآن لا يصغي إلى الفرقان وإن كان فيه . . . ».

ثم قال : « دعاهم ليغفر لهم لا ليكشف لهم وفهموا ذلك منه ﷺ لذلك ﴿ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾^(١) .

وهذه كلها صورة الستر التي دعاهم إليها فأجابوا دعوته بالفعل لا بلبيك .

ثم قال في معنى قوله تعالى : ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا ﴾^(٢) .

وهي المعرف العقلية في المعاني الاصطلاحية والنظر الاعتباري .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَمْدُدُكُمْ بِأَمْوَالٍ ﴾^(٣) أي بما يميل بكم

(١) نوح : (٧) .

(٢) نوح : (١١) .

(٣) نوح : (١٢) .

إليه فإذا مال بكم إليه رأيتم صورتكم فيه فمن تخيل منكم أنه رآه فما عرف
ومن عرف منكم أنه رأى نفسه فهو العارف .

ثم قال في معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَارًا ﴾ لأن الدعوة إلى
الله تعالى مكر بالمدعو أدعوه إلى الله فهذا عين المكر فأجابوه مكرًا كما
دعاهم »^(١) .

إذا نظرنا في تفسيرات ابن عربى السابقة للآيات القرآنية نجدها تفسيرات
باطنية بعيدة كل البعد عن المعانى التي تدل عليها الآيات فنحن كلنا
نعلم علم اليقين أن قوم نوح أكثرهم رفض دعوة التوحيد التي كان يدعوهم
إليها نوح عليه السلام وأنه بذل أقصى جهده في دعوتهم ولكن مع ذلك لم
يؤمن له بدعوته إلا القليل كما أخبرنا الله بذلك في كتابه فقال : ﴿ قَالَ رَبِّ
إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فَرَارًا ﴾
﴿ وَإِنِّي كُلُّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا
وَاسْتَكْبَارًا ﴾ ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴾ ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ
إِسْرَارًا ﴾ ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا ﴾^(٢) .

كما نرى في هذه الآيات السابقة أن نوحًا عليه السلام دعا قومه ليلاً
ونهاراً واستعمل معهم جميع الأساليب من أجل أن يقبلوا دعوته لكنهم مع
ذلك لم يقبل هذه الدعوة إلا القليل منهم كما قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ
أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنَورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقُولُ
وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾^(٣) .

(١) « فصوص الحكم » لابن عربى (٧١ - ٧٢) .

(٢) نوح : (٥ - ١٠) .

(٣) هود : (٤٠) .

ففي هذه الآية أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن نوحًا عليه السلام لم يؤمن له من قومه إلا القليل أما الأكثر فقد رفض الدعوة وهلكوا وهم كفار كما أخبرنا الله عنهم في سورة هود عليه السلام فقول ابن عربي بإيمان قوم نوح جمِيعاً فيه مخالفة صريحة للآيات التي نصت على أن قوم نوح لم يؤمن منهم إلا القليل أما الأكثر فقد رفضوا الدعوة ووقفوا ضدها ودعا عليهم نوح عليه السلام كما أخبرنا الله تعالى بذلك فقال : ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ
مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا ۚ ۲۶﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضْلُّوْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوْ إِلَّا فَاجِراً
كَفَارًا﴾^(١)

وقد اعتبر ابن عربي دعوة نوح قومه إلى إفراد الله بالعبادة مكر بهم وبين نوع هذا المكر الذي اتخذه نوح عليه السلام ضد قومه فقال :

« فقالوا في مكرهم لا تذرن أهلكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويغوق ونسراً » فإنهم إذا تركوهم جهلوه من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء فإن للحق في كل معبد وجهاً يعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله فما عبد غير الله في كل معبد »^(٢).

ولم يكتف ابن عربي بتصحيح موقف قوم نوح الضالين المكذبين بل عمد إلى جميع الكفار فجعلهم مؤمنين موحدين عارفين وأصلين وعمد إلى المسلمين فجعلهم مؤمنين بجزء من الحق فقط كافرين بأجزاء أخرى ولم ينس ابن عربي فرعون اللعين الذي لم تعرف الأرض قبله أكفر منه ولا أظلم فجعله من المؤمنين الموحدين الفائزين بالجنة حيث قال :

(١) نوح : (٢٦ - ٢٧).

(٢) « فصوص الحكم » لابن عربي (ص ٧٢).

« ولما كان فرعون في منصب التحكيم صاحب الوقت وأنه الخليفة بالسيف وإن جار في العرف الناموسي لذلك قال : ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعُلَى﴾ أي وإن كان الكل أرباباً بنسبة ما فأنا ربكم الأعلى بما أعطيته في الظاهر من التحكيم فيكم ولما علمت السحرة صدقه في مقاله لم ينكروا بل أقرروا له بذلك فقالوا : ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضِ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾^(١) ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضِ﴾ فالدولة لك فصح قوله ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعُلَى﴾^(٢).

وصح ابن عربي أيضاً موقف السامری وصناعته للعجل الذي فتن به بنو إسرائیل فعبدوه مع الله وخطأ هارون عليه الصلاة والسلام واتهمه بأنه لا يعرف الحق ولذا أنكر علىبني إسرائیل عبادة العجل وزعم أيضاً أن موسى عرف الحق وأنكر على السامری أن يحصر الإله في شيء واحد فقط لأن الله في نظر ابن عربي ومن سار على نهجه من المتصوفة الضالة عين كل شيء ولذا لكل إنسان له أن يعبد ما شاء مما في هذا الكون لأن الكل ما هي إلا مظاهر ومجالی لله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

والإيك نص كلامه فقد قال في معنى قوله تعالى : ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٣) فتجعلني سبباً في تفرقهم فإن عبادة العجل فرقت بينهم فكان منهم من عبده اتباعاً للسامری وتقليداً له ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع إليهم موسى فيسألونه عن ذلك فخشى هارون أن ينسب ذلك الفرقان بينهم إليه فكان موسى أعلم بالأمر من هارون لأنه علم ما عبده أصحاب العجل لعلمه أن الله قضى أن لا يعبد إلا إياه وما حكم الله

(١) طه : (٧٢).

(٢) « فصوص الحكم » .

(٣) طه : (٩٤).

بشيء إلا وقع فكان عتب موسى أخيه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه فإن العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء »^(١)

ثم قال ابن عربي بعد هذا :

« والعارف المكمل من رأى كل معبد مجلى للحق يعبد فيه ولذلك سموه كلهم إلهاً مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك »^(٢).

إذا نظرنا في النصوص السابقة نجد أن ابن عربي أولاً : صرخ بإيمان قوم نوح جميعاً وأنهم أجابوا دعوته .

ثم قال أيضاً : بأن عبادة العجل الذي جعله السامری ليس فيه أي خطأ لأن مظاهر من مظاهر الله وأن فرعون في ادعائه الربوبية كان مصيباً لأن كل ما في هذا الكون ما هو إلا مظاهر من مظاهر الله وأن كل العبادين في هذا الكون ما هم إلا عباد لله سبحانه لأن الكل في هذا الكون ما هو إلا مظاهر من مظاهر الله فإذا عبدت أي شيء فقد عبدت الله وأن الخطأ هو أن تعبد إلهاً واحداً وهذا كله كفر بواح ولذا نقول : إن هذا الكتاب بالفعل ألقاه الشيطان إلى ابن عربي وأمره بأن يخرج به إلى الناس وقد فعل فخرج به إلى الناس وأفسد به عقائد كثيرين من الأمة الإسلامية .

وقد أتب محيي الدين بن عربي الغزالى وانتقده في تفريقه بين النبي والولي في طريقة التلقى عن الله حيث قال الغزالى :

« إن الفرق بين تنزل الوحي على قلب الأنبياء وتنزله على قلوب

(١) « فصوص الحكم » لابن عربي (١٩١/١).

(٢) « فصوص الحكم » لابن عربي (١٩٥/١).

الأولياء نزول الملك فإن الولي يلهم ولا يتزل عليه ملك قط والنبي لابد له في الوحي من نزول الملك به ^(١).

قال محبي الدين بن عربي معللاً سبب تفريق الغزالى بين النبي والولي في طريقة التلقى عن الله :

« وسبب غلط الغزالى وغيره في منع تنزيل الملك على الولي عدم الذوق وظنهم أنهم قد عموا بسلوكهم جميع المقامات فلما ظنوا ذلك بأنفسهم ولم يروا ملك الإلهام نزل عليهم أنكروه وقالوا : ذلك خاص بالأنبياء فذوقهم صحيح وحكمهم باطل مع أن هؤلاء الذين منعوا قائلون بأن زيادة الثقة مقبولة وأهل الله كلهم ثقات قال : ولو أن أبا حامد وغيره اجتمعوا في زمانهم بكامل من أهل الله وأخبرهم بتنزيل الملك على الولي قبلوا ذلك ولم ينكروه . قال : وقد نزل علينا ملك فللله الحمد ^(٢) ».

والشاهد في النص واضح ويتلخص لنا فيما يلي :

أولاً : أن الغزالى الذي يلقبه المتصوفة بحجة الإسلام من القائلين بتنزل الوحي على الأولياء .

ثانياً : صرخ ابن عربي بأن طريقة إزالة الوحي على الأولياء هي نفس الطريقة التي ينزل بها على الأنبياء وأنه لا فرق بينهم وأن من ينكر تنزيل الملك بالوحي على الأولياء إنما ينكره لعدم ذوقه .

ثالثاً : أخبرنا ابن عربي بأنه نزل عليه بالفعل ملك بالوحي وهذه حجج

(١) « اليقين والجواهر في عقيدة الأكابر » للشمراني (٨٥/٢) .

(٢) « اليقين والجواهر في عقيدة الأكابر » للشمراني (٨٥/٢) ونحوه في « الإبريز » للداعي (١٥١) .

قاطعة لإلزام المتصوفة بأنهم يعتقدون تلقى علومهم عن الله مباشرة .

ولعل الشيخ الأكبر والكريت الأحمر لم يقف على قول الغزالى الآتى والذى صرخ فيه بأن الأولياء يشاهدون الملائكة ولذا انتقده واتهمه بعدم الذوق .

وهذا هو النص الذى قال فيه الغزالى أن الأولياء يشاهدون الملائكة :

« ومن أول الطريق تبدئ المكاففات والمشاهدات حتى أنهم في يقطظ لهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق »^(١) .

إذا نظرنا في هذا النص نجد أن الغزالى بالفعل صرخ بأن الأولياء يرون الملائكة ويتلقون منهم فوائد ولذا ليس هناك فرق بين محى الدين بن عربي والغزالى في الطريقة التي يتلقى بها الأولياء الوحي المزعوم :

وزعم محى الدين بن عربي أيضاً بأن الولاية أفضل من النبوة وأن النبوة تتجدد ولا تنتقطع وأن علم الولي أكثر وأعظم من علم النبي لأن الولي يعلم علم الشريعة والحقيقة بخلاف النبي فإنه لا يعلم إلا علم الشريعة فقط وكذلك من الأمور التي يتتفوق بها الولي على النبي أن النبي يأخذ الوحي بواسطة الملك بينما الولي يأخذ الوحي من المكان الذي يأخذ منه الملك رأساً .

وإليك نص كلامه قال :

« إن الولاية هي المحيطة العامة وهي الدائرة الكبرى فمن حكمها أن

(١) « المنقد من الضلال » للغزالى (ص ٦٨) .

يتولى الله من شاء من عباده بنبوة وهي من أحكام الولاية وقد يتولاه بالرسالة وهي من أحكام الولاية أيضاً فكل رسول لا بد أن يكون نبياً وكلنبي لا بد أن يكون وليناً فكل رسول لا بد أن يكون وليناً فالرسالة بخصوص مقام في الولاية والرسالة في الملائكة دنيا وأخرى لأنهم سفراء الحق لبعضهم والرسالة في البشر لا تكون إلا في الدنيا وينقطع حكمها في الآخرة وكذلك تنقطع في الآخرة بعد دخول الجنة والنار بنبوة التشريع لا النبوة العامة وأصل الرسالة في الأسماء الإلهية وحقيقة الرسالة إبلاغ كلام من متكلم إلى سامع فهي حال لا مقام ولا بقاء لها بعد انقضاء التبليغ وهي تتجدد .

بخلاف الولاية فإنها لا تنقطع أبداً ولا تحد لا بالزمان ولا بالمكان ولها الإنماء العام والله لم يقسم ببني ولا رسول ويقسم بالولي واتصف بهذا الاسم فقال : ﴿اللهُ وَلِيُ الدِّينَ آمَنُوا﴾ وقال : ﴿وَهُوَ الْوَلِيُ الْحَمِيدُ﴾ وهذا الاسم باق جار على عباد الله دنيا وأخرى فلم يبق اسم يختص به العبد دون الحق بانقطاع النبوة والرسالة إلا أن الله لطف بعباده فأبقى لهم النبوة العامة التي لا تشريع فيها . . . وأبقى لهم الوراثة في التشريع فقال العلماء ورثة الأنبياء . . فإذا رأيت النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن هو حيث ولد وعرف ولهذا مقامه من حيث هو عالم أتم وأكمل من حيث هو رسول ذو تشريع وشرع «^(١)» .

وقال ابن عربي أيضاً :

«إن الولي يعلم علمين بخلاف النبي فإنه لا يعلم إلا علمًا واحدًا فقط وإن الولي يعلم علمين علم الشريعة وعلم الحقيقة أي الظاهر والباطن

(١) «فصول الحكم» لابن عربي (١٣٥/١) وكذلك «الفتوحات المكية» (٢٥٧/٢) .

والتنزيل والتأويل حيث إن الرسول من حيث هو رسول ليس له علم إلا بالظاهر والتنزيل والشريعة فإذا رأيت النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو ولي عارف ولهذا مقامه من حيث هو عارف أتم وأكمل من حيث هو رسول أو ذو تشريع وشرع ^(١).

«ويزعم ابن عربي أيضًا بأن النبي والرسول يستمدان العلم والمعرفة من الملك الذي يبلغه الوحي الإلهي بواسطته ولا يمكنه الأخذ من الله مباشرة بخلاف الولي فإنه يستمد المعرفة من حيث يأخذها الملك الذي يؤدي بدوره إلى الأنبياء والرسل فمراجع الرسول والنبي المشرع إلى الولاية والعلم» ^(٢).

وفي عبارة أصرح مما سبق زعم ابن عربي بأن الرسول لا يأخذ الوحي إلا من مشكاة خاتم الأولياء وزعم بأنه هو نفسه خاتم الأولياء وإليك نص عبارته حتى تتضح الصورة جيداً.

فقد قال محيي الدين بن عربي بعد أن تحدث عن وحدة الوجود وكيف أن ما في هذا الكون مرايا لله سبحانه وتعالى وأن الناس بالنسبة لهذا العلم درجات فقال :

«فمنا من جهل في علمه فقال : « والعجز عن درك الإدراك إدراك ومنا من علم فلم يقل مثل هذا وهو أعلى القول بل أعطاه العلم السكوت ما أعطاه العجز وهذا هو أعلى عالم بالله وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء وما يراه أحد من الأنبياء والرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم حتى إن الرسل لا يرون منه رأوه إلا من مشكاة خاتم الأولياء فإن الرسالة والنبوة أعني نبوة التشريع

(١) «فصوص الحكم» (١/١٣٥).

(٢) «فصوص الحكم» (١/١).

ورسالته تنقطعان والولاية لا تنقطع أبداً فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء فكيف من دونهم من الأولياء وإن كان خاتم الأولياء تابعاً في الحكم لنا جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدح في مقامه ولا ينافق ما ذهبنا إليه فإنه من وجه يكون أنزل كما أنه من وجه يكون أعلى . . . لما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبن وقد كمل سوى موضع لبنة فكان ﷺ تلك اللبنة غير أنه ﷺ لا يراها كما قال : لبنة واحدة وأما خاتم الأولياء فلا بد له من هذه الرؤيا فيرى ما مثله به رسول الله ﷺ ويرى في الحائط موضع لبنتين واللبن من ذهب وفضة فيرى اللبنتين اللتين تنقص الحائط عنهما وتكمل بهما لبنة ذهب ولبنة فضة فلا بد أن يرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبنتين فيكون خاتم الأولياء تينك اللبنتين فيكمل الحائط والسبب الموجب لكونه رأها لبنتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر وهو موضع اللبن الفضة وهو ظاهر وما يتبعه فيه من الأحكام كما هو أخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه لأنه يرى الأمر على ما هو عليه فلا بد أن يراه هكذا وهو موضع اللبن الذهبية في الباطن فإنه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول فإن فهمت ما أشرت به فقد حصل لك العلم النافع بكل شيء فكلنبي من لدن آدم إلى آخرنبي ما فهم من أحد يأخذ إلا من مشكاة خاتم النبيين وإن تأخر وجود طينته فإنه بحقيقة موجود وهو قوله ﷺ : « كنتنبياً وأدم بين الماء والطين » وغيره من الأنبياء ما كاننبياً إلا حينبعث وكذلك خاتم الأولياء كان وليناً وأدم بين الماء والطين وغيره من الأولياء ما كان وليناً إلا بعد تحصيله شرائط الولاية من الأخلاق الإلهية والاتصال بها من كون الله تعالى تسمى بالولي الحميد فخاتم الرسل من حيث ولايته نسبة مع الخاتم للولاية نسبة الأنبياء والرسل معه فإن الولي الرسول النبي وخاتم الأولياء الولي الوارث الأخذ عن

الأصل المشاهد للمراتب «^(١)».

وقد ادعى ابن عربي بأنه خاتم الأولياء وذلك حتى يحوز هذا المنصب العظيم الذي ادعاه ألا وهو أن الأنبياء يأخذون من مشكاة خاتم الأولياء حيث قال في فتوحاته المكية :

أنا ختم الولاية دون شك
لورثي الهاشمي مع المسيح
كما أني أبو بكر عتيق
أجاهد كل ذي جسم وروح
بأرواح مثقفة طوال
وترجمة بقرآن فصيح
أشد على كتبية كل عقل
تنازعني على الوحي الصريح
لي الورع الذي يسمو
على الأحوال بالبناء الصحيح
وساعدني عليه رجال صدق
من الورعين من أهل الفتوح
يوالون الوجود وكل ندب
ويششون سلطنة المبيح^(٢)

والشاهد في النصوص السابقة هو أن ابن عربي ادعى بأنه يتلقى الوحي من الله وأنه يأخذه بدون واسطة من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يرسله الله إلى الأنبياء ليبلغهم الوحي وأنه خاتم الأولياء وكان ولیاً قبل خلق

(١) «فصول الحكم» لابن عربي (٦٢، ٦٣، ٦٤).

(٢) «الفتوحات المكية» لابن عربي (٤/٧١) الباب الثالث والأربعون.

آدم وفي هذا ظاهر تفضيل وحي الأولياء على وحي الأنبياء وتفضيل الولاية على الرسالة وهذه كلها عقائد مناقضة للعقيدة الإسلامية الصحيحة .

ويقول ابن عربي أيضاً مقرراً استمرار النبوة وعدم انقطاعها :

« ويجمع النبوة كلها أُم الكتاب ومفتاحها بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فالنبيّة سارية إلى يوم القيمة في الخلق . . . فإنه يستحيل أن ينقطع خبر الله وأخباره من العالم إذ لو انقطع لم يبق للعالم غذاء يتغذى به فيبقاء وجوده »^(١) .

ويقول أيضاً في مكان آخر :

« ويتضمن هذا الباب المسائل التي لا يعلمها إلا الأكابر من عباد الله الذين هم في زمانهم بمنزلة الأنبياء في زمان النبيّة وهي النبيّة العامة فإن النبيّة التي انقطعت بوجود رسول الله ﷺ إنما هي نبوة التشريع لا مقامها فلا شرع يكون ناسخاً لشرعه ﷺ ولا يزيد في حكمه شرعاً آخر وهذا معنى قوله ﷺ إن الرسالة والنبوة انقطعت فلا رسول بعدى ولانبي أي لانبي بعدى لكون شرع يكون مخالفًا لشرعي بل إذا كان يكُون تحت حكم شريعي فهذا هو الذي انقطع وسد بابه لا مقام النبيّة »^(٢) .

والذي يهمنا من إيراد هذا النص هو قول ابن عربي باستمرارية النبيّة وعدم انقطاعها وهذه عقيدة مخالفة لما جاءت به النصوص القرآنية والنبوية من أن باب النبيّة قد أغلق تماماً فلانبي ولا رسول بعد النبي محمد ﷺ .

وقد قسم ابن عربي العلم إلى ثلاثة أقسام وهي علم العقل وعلم

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٩٠/٢).

(٢) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٣/٢).

الأحوال وعلوم الأسرار فقال :

« العلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام علم العقل وقال في تعريف هذا العلم : هو كل علم يحصل لك ضرورة أو عقيبة نظر في دليل .

والعلم الثاني : علم الأحوال ولا سبيل إليها إلا بالذوق فلا يقدر عاقل على أن يحددها ولا يقيم على معرفتها دليل أدلة كالعلم بحلوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع والعشق والوجود والشوق وما شاكل هذا النوع من العلوم فهذه علوم من المحال أن يعلمها أحد إلا بأن يتصف بها ويذوقها وشبها من جنسها في أهل الذوق . . .

والعلم الثالث : علوم الأسرار وهو العلم الذي فوق طور العقل وهو علم نفث روح القدس في الروع يختص به النبي والولي وهو نوعان نوع منه يدرك بالعقل كالعلم الأول من هذه الأقسام لكن هذا العلم به لم يحصل له عن نظر ولكن مرتبة هذا العلم أعطت هذا النوع الآخر على ضربين ضرب منه يلحق بالعلم الثاني لكن حاله أشرف والضرب الآخر هو من قبيل علوم أخبار وهي العلوم التي يدخلها الصدق والكذب بذاتها إلا أن يكون المخبر به أن يعلم الأخبار قد ثبت صدقه عند المخبر وثبتت عصمته فيما يخبر به ويقوله كإخبار الأنبياء صلوات الله عليهم عن الله كإخبارهم بالجنة وما فيها وهذا الصنف الثالث هو علم الأسرار العالم به يعلم العلوم كلها ويستغرقها وليس صاحب تلك العلوم الأخرى كذلك فلا علم أشرف من هذا العلم المحيط الحاوي على جميع المعلومات »^(١) .

* ومن المتصوفة الذين زعموا تلقي علومهم عن الله وعروجهم إليه

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (١٣٩/١) .

ومكالاتهم مع الله أبو يزيد البسطامي الذي يعتبر من المشائخ الكبار في الأوساط الصوفية ومن الذين لهم القدم الراسخ في تأسيس عقائد الصوفية المنحرفة .

فقد ادعى أبو يزيد بأنه أخذ علمه عن الحي الذي لا يموت ومعلوم طبعاً الحي الذي لا يموت هو الله سبحانه وتعالى لأنَّه هو المستحق الحقيقى لهذا الوصف أما غيره من المخلوقات فالكل فان وتهكم أبو يزيد بعلماء الإسلام الأجلاء الفضلاء الذين يهتمون بعلوم كتاب الله الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ وسنة المصطفى ﷺ .

وهذا نص كلامه فقد قال :

«أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ونحن أخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت»^(١) .

ويعني أبو يزيد بهذا الكلام أهل السنة والجماعة الذين يتمسكون بتعاليم الكتاب والسنة ولا يقبلون غيرهما من العلوم الخرافية التي يدعي المتتصوفة أنهم تلقوها عن الله وكلام أبي يزيد هذا فيه تهكم واستهزاء واستخفاف واضح بالصحابة الذين نقلوا إلينا هذا العلم وبجميع علماء الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل ونحن نقول : يا أبو يزيد - ومن هو على طريقتك من المتتصوفة - نقول لكم : ليس لكم أي علوم تتلقونها عن الله وإنما من الممكن أن يوحى إليكم الشيطان الوحي من عنده فيضلوك كما هو واضح في علومكم التي تزعمون أنكم تلقيتموها عن الله فكلها تدعو إلى الضلال

(١) «الجواهر والدرر» للشاعري بهامش «الإبريز» للدباغ (٢٨٦) وكذلك «الفتوحات المكية» لابن عربي (١٣٩/١) .

والكفر والشرك والبدع والخرافات وكل العلوم التي تحتوي عليها متناقضة مع ما في الكتاب والسنة ولو كانت من الله على فرض التنزل معكم لما تناقضت معهما مع العلم بأننا نؤمن إيماناً جازماً بأنه لا وحي ولا علم يتلقى عن الله بعد الرسول محمد ﷺ لأن هذا الباب قد أغلق تماماً فمن ادعى التلقي عن الله فهو ضال مضل كذاب أفالك .

وادعى أبو يزيد البسطامي أيضاً أنه عرج به إلى السماوات وتكلم مع رب سبحانه وتعالى مشافهة وأنه أراه الله السبع الأرضين وما فيها السماوات السبع وما فيها وأنه رأى الجنان وعرش الرحمن وهذا نص كلامه فقد قال :

« أدخلني في الفلك الأسفل فدورني في الملوك السفلي فآراني الأرضين وما تحتها إلى الشري ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السماوات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال لي: سلني أي شيء رأيت حتى أهبه. قلت: يا سيدِي ما رأيت شيئاً استحسنته فأسلك إياه فقال: أنت عبدي حقاً تعبدني لأجلِي صدقأً لأفعلن بك »^(١) .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن أبي يزيد زعم بأنه تبادل الحديث مع رب مشافهة حيث عرج به إلى السماوات العلى فرأى الجنان ومع ذلك لم يوجد شيئاً يعجبه فلم يسأل الله شيئاً وذلك لأن الجنة لا تساوي مع مشائخ الصوفية الدجاللة شيئاً لأنهم حسب زعمهم لا يعبدون الله حباً للدخول في الجنة ولا النجاة من النار وإنما يعبدونه متجردين عن الرغبة والرهبة وهذه عبادة مخالفة لما شرعه الله فإن الله سبحانه قال في وصف آنياته : « إنهم

(١) « قوت القلوب » لأبي طالب المكي (٢/٧٠) وكذلك « غيث المواهب العلية » للرندي (٣٠٥) .

كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا حَاشِعِينَ ^(١).

والذي يهمنا من إيراد هذا النص هو زعم أبي يزيد التكلم مع الله مشافهة وهذا هو معنى التلقي عن الله .

وهذا نص آخر عن أبي يزيد يزعم فيه بأن الله رفعه وأوقفه بين يديه وقال له إن خلقه يحبون أن يروك ثم أبو يزيد طلب أن يحل فيه الله بحيث إذا رأه الخلق يصبحون كأنهم رأوا الله حقيقة وهذا نص كلامه قال :

« رفعني مرة فأقامني بين يديه وقال لي : يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك . فقلت : زيني بوحدانيتك وألبسيني أنايتك وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رأني خلقي قالوا :رأيناك ، فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هنا » ^(٢) .

والشاهد من إيراد النص واضح ألا وهو زعم أبي يزيد التكلم مع الله وتبادل الحديث معه كما هو واضح جلي في النص .

ويزعم أبو يزيد البسطامي أيضاً بأنه خاض بحراً من العلم لم يستطع الأنبياء أن يخوضوه وإنما وقفوا بساحله لأن علمهم محدود أما علم أبي يزيد وأمثاله فغزير جداً وكثير لا يساوى علم الأنبياء بالنسبة له شيئاً وهذا نص كلامه قال :

« خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله » ^(٣) .

وزعم أيضاً بأنه أوتي ما لم يؤتاه النبيون من العلم وهذا نص كلامه فقد قال :

(١) الأنبياء : (٩٠) .

(٢) « اللمع » للطوسي (ص ٤٦١) .

(٣) « الإبريز » للدباغ (ص ٢٧٦) وكذلك « جمهرة الأولياء » للمنوفي (٢٦٦/١) .

« معاشر الأنبياء أوتitem اللقب وأوتينا ما لم تؤته »^(١) .

وقال البسطامي أيضًا :

« تالله إن لواي أعظم من لواء محمد ﷺ لواي من نور تحته الجان
والجن والإنس كلهم من النبيين »^(٢) .

ففي النصوص السابقة تفضيل البسطامي نفسه على جميع الأنبياء والرسل في العلم واضح وكذلك صرخ بأن لواءه أعظم من لواء الرسول ﷺ وهذا كلام خطير جداً لا يمكن أن يخرج من إنسان فيه ذرة من الإيمان فضلاً عن أن يطلع من إنسان يعتبره المتتصوفة من كبار أولياء الله وتنزه الله أن يكون أولياؤه هكذا .

* ومن كبار الصوفية الذين زعموا التلقي عن الله والعروج إليه عبد الكريم الجيلي فقد قال هذا الرجل واصفًا كتابه « الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر » :

« وكنت قد أسست الكتاب على الكشف الصريح وأيدت مسائله بالخبر الصحيح .. وسميته بالإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل ... » .

ثم قال الجيلي مفتريًا على الله : « فأمرني الحق الآن بإبرازه بين تصريحه وألغازه ووعدني بعموم الانتفاع فقلت : طوعاً للأمر المطاع وابتدائ في تأليفه متوكلاً على الحق في تعريفه لها أنا ذا أكرع من دنه القديم بكأس الاسم العليم في قوابيل أهل الإيمان والتسليم خمرة مرضعة من الحي الكريم مسكرة الموجود بالقديم »^(٢) .

(١) « الإنسان الكامل » للجيلى (١٢٤/١) وكذلك « الجواهر والدرر » للشعراني بهامش « الإبريز » للدباغ (ص ٢٨٦) .

(٢) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (ص ٦) .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن عبد الكري姆 الجيلي زعم بأن الله أمره بإظهار هذا الكتاب بكل ما يحمله من عبارات صريحة واضحة الدلالة على المقصود وعبارات هي الغاز يصعب فهمها في الوهلة الأولى وأن الله وعده بأن هذا الكتاب سيعتني به الكثير وهذه عبارات تدل على أنه تلقى العلم الموجود في هذا الكتاب من الله سبحانه وتعالى وهذا حسب زعمه وإن فتحن نعتقد اعتقاداً جازماً بأنه لم يتلقى هذا العلم عن الله وإنما من الممكن أن يكون تلقاه عن الشيطان بل بالتأكيد وحي شيطاني لأن هذا الكتاب من أوله إلى آخره لا يحتوي إلا على الكفر والإلحاد والشرك يلاحظ ذلك بوضوح كل من يقرأ في هذا الكتاب .

وإليك نماذج من هذا الكتاب الذي يزعم الجيلي بأن الله أمره بإبرازه ووعده بعموم الانتفاع به حتى تحكم بنفسك بأن هذا الوحي وحي شيطاني وليس وحيًا رحمنيًا .

فقد قال متخدئاً عن نفسه :

سواي فأرجو فضله أو فأخشاه ولا بعد من بعدي فأسبق معناه جمال جلال الكل ما أنا إلا هو وحيوانه مع أنه وسجاياه ومن هباء للأصل طيب هيولاه ومن شجر أو شاهق طال أعلاه ومن شهد للعين طال محياه أنا المتجلبي في حقيقته لا هو ^(١)	لي الملك في الدارين لم أر فيهما ولا قبل من قبلي فالحق شأنه وقد حزت أنواع الكمال وإنني فمهما ترى من معدن ونباته ومهما ترى من عنصر مطيبة ومهما ترى من أبحر وفقاره ومهما ترى من صورة معنوية فإنما ذلك الكل والكل مشهدي
--	--

(١) « الإنسان الكامل » لعبد الكرييم الجيلي (٣١/١) .

إذا نظرنا في الآيات السابقة نجد أن عبد الكري姆 الجيلي ادعى بأن ملك الكون في الدنيا والآخرة له وحده وأنه لم ير غيره شيئاً حتى يخشاه وهذا إنكار لوجود الله وتنصيب نفسه رباً للكون ثم ادعى بأنه استكمل كل صفات الكمال وأنه ما هو إلا الله وهذا كفر بواح إلحاد سافر لا بعده إلحاد ولذا أقول إن هذا الكتاب ألقاه إليه الشيطان ليضلله ثم ليضل به عبد الكري姆 البشرية وقد فعل كما أمره إبليس عليه لعنة الله .

وهذا نموذج آخر من كتابه الذي زعم أنه تلقاه عن الله فقد قال :

الباب الملغى ستين في « الإنسان الكامل » وأنه محمد وأنه مقابل للحق والخلق حيث قال :

« اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الأبدية ثم له تنوع في ملابس ويظهر في كنائس فيسمى به باعتبار لباس ولا يسمى به باعتبار لباس آخر فاسم الأصلي الذي هو له محمد وكتبه أبو القاسم ووصفه عبد الله ولقبه شمس الدين ثم له باعتبار ملابس أخرى أسام وله في كل زمان اسم ما يليق بلباسه في ذلك الزمان فقد اجتمعت به عليه السلام وهو في صورة شيعي الشيخ شرف الدين إسماعيل الجبرتي ولست أعلم أنه النبي وظننت أنه الشيخ وهذا من جملة مشاهد شاهدته فيها بزيهد سنة ست وتسعين وسبعمائة وسر هذا الأمر تمكنه عليه السلام من التصور بكل صورة فالأديب إذا رأه في الصورة المحمدية التي كان عليها في حياته فإنه يسميه باسمه وإذا رأه في صورة ما من الصور وعلم أنه محمد فلا يسميه إلا باسم تلك الصورة ثم لا يقع ذلك الاسم إلا على الحقيقة المحمدية ألا تراه عليه السلام لما ظهر في صورة الشبلي رضي الله عنه قال الشبلي لتلميذه : أشهد أنني رسول الله وكان

التلميذ صاحب كشف فعرفه فقال : أشهد أنك رسول الله ، وهذا أمر غير منكور وهو كما يرى النائم فلاناً في صورة فلان وأقل مراتب الكشف أن يسوغ به في اليقظة ما يسوغ به في النوم ولكن بين النوم والكشف فرق وهو أن الصورة التي يرى فيها محمد في النوم لا يوقع اسمها في اليقظة على الحقيقة المحمدية لأن عالم المثال يقع التعبير فيه فيعبر عن الحقيقة المحمدية إلى حقيقة تلك الصورة في اليقظة بخلاف الكشف فإنه إذا كشف لك على الحقيقة المحمدية أنها متجلية في صورة من صور الآدميين فيلزمك إيقاع اسم تلك الصورة على الحقيقة المحمدية ويجب عليك أن تتأدب مع صاحب تلك الصورة تأدبك مع محمد ﷺ لما أعطاك الكشف أن محمداً متصور بتلك الصورة فلا يجوز لك بعد شهود محمداً فيها أن تعاملها بما كنت تعاملها من قبل وإن رسول الله ﷺ له من التمكן في التصور بكل صورة حتى يتجلّى في هذه الصورة وقد جرت سنته ﷺ إنه لا يزال يتتصور في كل زمان بصورة أكملها ليعلى شأنهم ويقيم ميلانهم فهم خلفاؤه في الظاهر وهو في الباطن حقيقتهم «^(١)» .

إذا نظرنا في هذا النص نجد أن عبد الكريم الجيلي صرح بأن هذا الوجود كله يدور حول قطب واحد وهو الرسول ﷺ وأن الرسول يتشكل بأشكال عديدة سواء كان في ملابسه أو أسمائه ويشهر في الكنائس التي يتبعده فيها النصارى وصرح أيضاً بأنه اجتمع بالرسول ﷺ وهو متصور بصورة شيخه شرف الدين وأن الرسول له القدرة الكاملة على أن يتشكل بأي صورة في هذا الكون وهذه عقيدة التناسخ التي يعتقدها الوثنيون من اليهود وليس من الإسلام في شيء والنص كله من أوله إلى آخره يدور حول عقيدة التناسخ

(١) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (٢/٧٤).

وأن الرسول هو القطب الذي يدير هذا الكون بكل ما فيه وهذه كما نرى عقائد باطلة فالقول بقدرة بشر على التشكيل بأي صورة يريد لها لم نجده في كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ إذا هي عقيدة دخيلة ينكرها الإسلام ويرفضها رفضاً قاطعاً وكذلك القول بأن هذا الكون كله يسيره الرسول ليس من الإسلام في شيء فمسير الكون كله هو الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك وليس لأى بشر كائناً من كان الشرك مع الله في تسخير أمر هذا الكون ومن اعتقاد ذلك الاعتقاد فقد أشرك مع الله وعليه التوبة وكما نرى فهذا الكتاب لا يحتوى إلا على عقائد وثنية فقط ولذا فهو من وحي الشيطان لا من وحي الرحمن .

وهذا نص آخر عن الجيلي يزعم فيه أن المتصوفة يرجع بهم ويكلّهم
الرب سبحانه فقد قال :

« ومن المكلمين من يذهب به الحق من عالم الأجسام إلى عالم الأرواح وهو لاء أعلى مراتب ف منهم من يخاطب في قلبه ومنهم من يصعد بروحه إلى سماء الدنيا ومنهم إلى الثانية والثالثة كل على حسب ما قسم له ومنهم من يصعد به إلى سدرة المنتهى فيكلمه الله هناك وكل من المكلمين على قدر دخوله في الحقائق تكون مخاطبات الحق له لأنه سبحانه وتعالى لا يضع الأشياء إلا في مواضعها ومنهم من يضرب له عند تكليمه إياه نور له سرادق من الأنوار ومنهم من ينصب له منبراً من نور ومنهم من يرى نوراً في باطنها فيسمع الخطاب من تلك الجهة النورية وقد يرى النور كثير وأكثر ومستديراً ومتطاولاً ومنهم من يرى صورة روحانية تناجيه كل ذلك لا يسمى خطاباً إلا أن أعلم الله أنه هو المتكلم وهذا لا يحتاج فيه إلى دليل بل هو على سبيل الوهله فإن خاصة كلام الله لا تخفي وأن يعلم أن كل ما سمعه كلام الله فلا يحتاج هناك إلى دليل ولا بيان بل بمجرد سمع الخطيب يعلم

العبد أنه كلام الله وممن صعد به إلى سدرة الممتهن من قيل له حبيبي أنيتك هي هوتي وأنت عين هو وما هو إلا أنا حبيبي بساطتك تركيبي وكثرتك واحدتي بل تركيتك بساطتي وجهلك درايتي أنا المراد بك أنا لك لا لي أنت المراد بي أنت لي لا لك حبيبي أنت نقطة عليها دائرة الوجود فكيف أنت العابد والمعبود أنت النور أنت الظهور أنت الحسن والزین كالعين للإنسان والإنسان للعين »^(١) .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن الجيلي زعم بأن الأولياء يرجعون إلى الله مع التفاوت فيما بينهم في درجات العروج المزعوم وأن الله سبحانه يكلمهم ويخاطبهم مع التفاوت أيضاً في درجات هذه المكالمة المزعومة فهذا يشتمل على شاهدين للمبحث الشاهد الأول قول الجيلي بعروج الأولياء إلى الله والشاهد الثاني تكلم الرب معهم وهذا هو التلقى عن الله ليس غير ذلك.

* ومن الصوفية الذين زعموا أن الأولياء يتلقون علومهم عن الله عبد العزيز الدباغ .

لقد زعم عبد العزيز الدباغ بأن الأولياء ينزل عليهم الوحي من الله ويتلقون علماً منه سبحانه وتعالى وأنه ليس هناك أي فرق بين وحي الأولياء والأنبياء في طريقة التلقى بل طريقة تلقى الولي الوحي هي نفس الطريقة التي يتلقى بها النبي الوحي عن الله وإليك نصوص من كلامه .

قال الدباغ :

« وأما ما ذكروه في الفرق بين النبي والولي من نزول الملك وعدمه

(١) « الإنسان الكامل » للجيلى (٦٥/٦٦ - ٦٧) .

فليس ب صحيح لأن المفتوح عليه سواء كان ولّيًّا أو نبّيًّا لابد أن يشاهد الملائكة بذواتهم على ما هم عليه ويخاطبهم ويخاطبونه وكل من قال إن الولي لا يشاهد هذا الملك ولا يكلمه فذلك دليل على أنه غير مفتوح عليه^(١).

وقال عبد العزيز الدباغ أيضًا :

« وينزل الملك على الولي بالأمر والنهي »^(٢).

وزعم عبد العزيز الدباغ أيضًا أن المفتوح عليه يسمع كلام الله فقال :

« وكلام الحق سبحانه يسمعه المفتوح عليه إذا رحمه الله عز وجل سماعًا خارقًا للعادة فيسمعه من غير حرف ولا صوت ولا إدراك لكيفية ولا يختص بجهة دون جهة بل يسمعه من سائر الجهات بل ومن سائر جواهر ذاته وكما لا يخص السمع له جهة دون أخرى كذلك لا يخص جارحة دون أخرى يعني أنه يسمعه بجميع جواهره وسائر أجزاء ذاته فلا جزء ولا جوهر ولا سن ولا ضرس ولا شعرة منه إلا وهو يسمع به حتى تكون ذاته بأسرها كأذن سامعة ثم ذكر اختلاف أهل الفتح في قدر السمع^(٣) ».

إذا نظرنا في النصوص السابقة نجد أن عبد العزيز الدباغ صرّح بأنه لا فرق بين النبي والولي في طريقة تلقي الوحي عن الله وأن من يقول بالتفريق بينهما فإنه قاصر في الفتح وأن الملك ينزل على الولي بالأمر والنهي وأن الأولياء يسمعون كلام الله بجميع جوارحهم وليس مثل الأنبياء الذين يسمعون

(١) « الإبريز » لعبد العزيز الدباغ (ص ١٤٣).

(٢) « الإبريز » للدباغ (ص ١٤٣).

(٣) كتاب « الإبريز » للدباغ (ص ١٤٧).

كلام الله بالآذان فقط وكل هذه عقائد ضالة باطلة وأكاذيب وافتراءات ودجل من هذا الصوفي الخرافي الضال وليس له أي دليل يعتمد عليه لإثبات هذا المعتقد .

* ومن الصوفية الذين زعموا أن الولي يشارك النبي في كثير من الأمور وأنه يتعلم العلم من غير طريق الكسب لسان الدين الخطيب وهذا نص كلامه فقد قال متحدثاً عن هذا الموضوع :

« الولاية أن يتولى الله الواصل إلى حضرة قدسه بكثير مما تولى به النبي من حفظ وتوفيق وتمكين واستخلاف وتصريف .

فالولي يساوي النبي في أمور منها العلم من غير طريق العلم الكسيبي والفعل بمجرد الهمة فيما لم تجر به العادة أن يفعل إلا بالجوارح والجسوم مما لا قدرة عليه لعالم الجسوم .

ويفعل بالهمة في عالم الخيال وفي الحس فإنه يسمع ويرى ما لا يرى ولا يسمع وهو بين الناس .

ويفارق الولي النبي في المخاطبة الإلهية والمعارج فإنهما يجتمعان في الأصول وهي المقامات إلا أن النبي يعرج بالنور الأصلي والولي يعرج بما يفيض من ذلك النور الأصلي وإن جمعهما مقام اختلفا بالوحدة في كل مقام من فناء وبقاء وجمع وفرق والولي يأخذ المواهب بواسطة روحانية نبيه ومن مقامه يشهد إلا ما كان من الأولياء المحمد़يين فإنه لما كان نبيهم صلوات الله وسلامه عليه جامعاً لمقامات الأنبياء أورثهم الله تعالى مقامات الأنبياء وأوصل إليهم أنوارهم من نور نبيهم الوارث وبوساطته فإنه هو الذي أعطى جميع الأنبياء والرسل مقاماتهم في عالم الأرواح ثم شاركت الأولياء الأنبياء

في الأخذ عنه فقد يرث ولی من أولياء الله آدم أو إسحاق أو إدريس أو إسماعيل أو يوسف أو موسى أو عيسى لكن لا يتوصل إلى نوره ولا حاله إلا من محمد ﷺ إلا القطب وحده فإنه على قلب محمد ، ولمثل هذا المقام الكريم فليعمل العاملون «^(۱)».

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن لسان الدين زعم أن الولي يشارك النبي في أمور منها أن الولي يتعلم من غير أن يسلك الطريق الذي يسلكه الناس للتعلم بل يهب الله العلم كما يهب النبي أي أنه يتعلم عن طريق الوحي من الله وأنه يسمع ويرى ما لا يراه الناس ولا يسمعه بمعنى أنه يعلم الغيب وأنه يرجع إلى الله هذا في الولي الذي لم يصل إلى مرحلة القطبية أما الولي الذي يصل إلى مرحلة القطبية فإنه على قلب محمد ﷺ ومساويًا له في كل الأمور .

* ومن الصوفية الذين قالوا إن الولي يتساوى في جميع الأمور مع النبي ابن عجيبة الحسني حيث قال بوضوح تام من غير لف ولا دوران :

« ما قيل في النبي يقال في الولي »^(۲) .

وعبارة ابن عجيبة هذه وإن كانت مختصرة جداً إلا أنها تحمل معانٍ كثيرة وخطيرة في نفس الوقت وذلك أن هذه العبارة القصيرة تعني أن الولي كالنبي تماماً وكلنا نعرف أن من خصائص النبي أن الله يوحى إليه وأنه معصوم عن الخطأ فيجب أن يقل قوله من غير مناقشة ولا تردد وأنه يجب أن يطاع وأنه المشرع وكذلك الولي وهذا دليل واضح على أن المتصوفة يزعمون بأن الأولياء يتلقون عن الله علومهم وأنه لا فرق بينهم وبين الأنبياء .

(۱) « روضة التعريف بالحب الشرييف » للسان الدين الخطيب (۵۱۹) .

(۲) « الفتوحات الإلهية » لابن عجيبة الحسني (ص ۲۶۴) .

* ومن الصوفية الذين زعموا التكلم مع الله والتصرف في الكون

إبراهيم الدسوقي وهذا نص كلامه :

قال : « أنا كل ولی في الأرض خلعته بيدي ألبس منهم من شئت أنا في السماء شاهدت ربی وعلی الكرسي خاطبته أنا بيدي أبواب النار أغلقتها وبيدي جنة الفردوس فتحتها من زارني أسكنته جنة الفردوس »^(١) .

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن الدسوقي زعم بأنه تكلم مع الله وأنه رأه بأم عينيه ومخاطب الله سبحانه وتعالى وهو على الكرسي وأنه بيده إغلاق النار وفتح الجنة وقد فعل وأن من سجل له زيارة واحدة أسكنه في جنة الفردوس وهذا حسب زعمه وإنما فليس عنده أي مقدرة لفعل شيء واحد مما تقدم ونحن أوردنا النص هذا للاستشهاد به على زعم المتصوفة التكلم مع الله والتلقى عنه وهذا واضح في النص وكما نرى فالنص يحتوى على عقائد باطلة كثيرة ولا نريد أن نتعرض هنا للرد على هذه المعتقدات لأن المقصود هنا هو إثبات الحجة وقد ثبتت.

* ومن الصوفية الذين زعموا أن الله كلهم أحمد الرفاعي فقد أورد

صاحب كتاب « قلادة الجواهر » :

« أن السيد إبراهيم الأعزب قال : كنت جالساً في الغرفة مع السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه ورأسه على ركبتيه فرفع رأسه وضحك بأعلى صوته فضحك أنا أيضاً ثم ألحنت عليه ليخبرني عن سبب ضحكته فقال : أي إبراهيم ناداني العزيز سبحانه أني أريد أن أخسف الأرض وأرمي السماء على الأرض . فلما سمعت هذا النداء تعجبت وقلت : إلهي من ذا الذي يعارضك في ملكك وإرادتك ؟ قال سيدتي إبراهيم : فأخذته الرعدة ووقع على الأرض ويقي في ذلك الحال زمناً طويلاً »^(١) .

(١) « الطبقات الكبرى » للشمراني (١٨/١).

(٢) « قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر » (ص ١٨٠) وانظر كذلك « البرهان المؤيد » للسيد أحمد الرفاعي (ص ٨) .

والشاهد من إيراد النص واضح حيث زعم أحمد الرفاعي أن الله ناداه وكلمه وأنه تبادل الحديث معه كما هو واضح أمامنا في النص .

* ومن الصوفية الذين زعموا أن الله تكلم معهم أبو الحسن الشاذلي فقد ذكر عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق نقلًا عن أبي الحسن الشاذلي كيفية نزوله من جبل زغوان ومجادرة خلوته :

« قيل لي : يا علي اهبط إلى الناس ينتفعوا بك . فقلت : يا رب أقلني من الناس فلا طاقة لي بمخالطتهم .

فقيل لي : انزل فقد أصحبناك السلامة ودفعنا عنك الملامة . فقلت : تكلني إلى الناس أكل من دريهماتهم . فقيل لي : أنفق يا علي وأنا ملي إن شئت من الجيد وإن شئت من الغيب .

ونزل الشاذلي رضي الله عنه من على الجبل ليغادر شاذلة ويستقبل مرحلة جديدة فقد انتهت المرحلة الأولى التي رسمها له شيخه .

وذكر عنه عبد الحليم محمود أن الشاذلي قال : يا رب لم سميتني بالشاذلي ولست بشاذلي ؟ فقيل لي : يا علي ما سميتك بالشاذلي وإنما أنت الشاذلي بتشديد الذال المعجمة يعني المفرد لخدمتي ومحبتي »^(١) .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن عبد الحليم أورد عن الشاذلي أنه كلمه الله وهذا يظهر لنا في سياق القصة حيث إن تبادل الحديث بين الله وأبي الحسن ظاهر فيها وهذا حسب زعمه وإلا فهو كذب محسن لا أساس له من الصحة ومع الأسف الشديد أورد هذا الكلام عن الشاذلي شيخ كان يتولى

(١) « المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي » (ص ٣٤ - ٣٥) وانظر كذلك نحوه في « تاج العروس الحاوي لتهذيب النقوس » للسكندرى (ص ١٨) .

إدارة جامعة إسلامية عالمية فيأسفاً على هذه الجامعة التي يتولى شئونها أمثال هذا الذي لا يميز بين الباطل والحق بل ينقل كل ما هب ودب على وجه الأرض.

* ومن الصوفية الذين زعموا أن الأولياء يسمعون كلام الله السهروري وهذا نص كلامه فقد قال متحدلاً عن وصف الأولياء :

« ويسمعون كلام الله فإذا تحقق الصوفي بهذا الوصف صار وقته سرداً وشهوده مؤيداً وسماعه متوايلاً متجدداً يسمع كلام الله تعالى »^(١).

* ومن المتصوفة الذين زعموا العروج إلى الله حتى سمعوا صرير الأقلام صالح بanca السوداني .

فقد قال : إنه أثناء سياحته باحثاً عن شيخ صوفي يتربى على يديه ويأخذ الطريقة مر بعده مشائخ وكل من مر بهم من هؤلاء المشائخ أكرمهه فقال : إن هؤلاء الذين أكرمني كلهم لا يصلحون لأنتربي على أيديهم . فواصل طريقه حتى وصل إلى رجل اسمه أبو بكر وهو شيخ كبير مجتمعين عنده الناس على كرامة فقال لواحد منهم : في لحم ؟ قال له : نعم . قال : في ملاح ؟ قال : نعم . قال لي : يا فقير شيل ها الفضلة ملحها بالماء وكل . قلت : هذا الذي لم يكرمني هو شيخي ! ثم قال له : يا فقير املأ هذه الإبريق من البحر . فلما جيت عند البحر امتلأت بنفهسا وجاءتني من غير أن أملأها فجئت إلى الشيخ فوجده شاباً فتوضاً وصلى ثم طال حتى وصل رأسه عرش الخلوة ثم عاد على حالة شيخنا قلت في نفسي : هذا شيخي فقال : أنا مان شيخك امش ادخل خلوة في باعوضة فإن شيخك يجييك فيها

(١) « عوارف المعارف » للسهروري (ص ٢٧).

فإنه يكون لك شأن عظيم أبق بعدها على ذريتنا عشرة . . .

ثم قال : « ثم قدمت على بعوضة فاختليت فيها للذكر والعبادة فجاءني رسول الله ﷺ ومعه علي وقيل أبو بكر فلقتني الذكر ثم قال : يا كوفي أنا في الخلوة راقد رأيت نجمة كبيرة في السماء تعلقت بها روحني وخرجت من جسمي فطارت فخرقت السماوات السبع فسمعت صرير الأقلام فلو كان يا كوفي بعد محمد نبي لقلت تنبأت ثم رجعت فوقعت في جزيرة من جزایر المالح فجاءني رجل لابس كساين من صوف فلقتني اسمين ومشي معي خطوتين »^(١) .

والذي يهمنا في النص هو أن صالح بانقا طاف بالبلاد باحثاً عن شيخ يتربى على يديه وأنباء سياحته من بعد كبير من المشائخ ولكن كلهم كانوا يكرمونه ويضيفونه بالضيافة الإسلامية المطلوبة فتجاوزهم جميعاً لأنه كان يبحث عن شيخ يهينه حتى يتربى على يديه فلما وجد من يهينه قال : هذا هو الشيخ الذي يصلح لتربيتي ثم قال له هذا الشيخ اذهب إلى إحدى القرى فهناك شيخ وبالفعل جاءه شيخه وعرج حتى فرق السماوات السبع وسمع صرير الأقلام وهكذا المتتصوفة يزعمون العروج إلى الله وذلك حتى لا يتركوا صفة يختص بها رسول الله دونهم .

* ومن الصوفية الذين ادعوا العروج إلى السماوات وتبادل الحديث مع

الله دفع الله بن محمد الكاهلي^(٢) :

وقد ذكر ود ضيف الله الجعلي أن دفع الله لما دنا من الوفاة مرض مرضًا شديداً وغاب فيه أيامًا ثم أفاق والناس قاعدين الإناث والذكور متظرين

(١) « طبقات ود ضيف الله الجعلي » (ص ١٣٣ - ١٣٤) .

(٢) دفع الله بن محمد الكاهلي الهزلي وأمه رية بنت موسى بن هنونة ولد بالخطفية وسمته أمه دفع الله تبركاً بالشيخ دفع الله العراقي لأنه شيخ أبيها « طبقات ود ضيف الله الجعلي » (ص ٢١١) .

الإفاقه أو الموت فلما أفاق قيل له : ما رأيت؟ قال : عرج بروحه إلى السماء فقيل لي : أخير عليك ترجع الدنيا وتمكث فيها أربعين سنة تدرس القرآن والعلم أو أحسن إليك لقاء ربك ، فقال له حمد ولد عبد الجليل وال حاج عوض الكرييم : ما الذي اخترت؟ قال : اخترت لقاء ربى فضجوا الناس بالبكاء والنياح وقال لخالاته وأخواته وجملة أرحامه : أبشرن يا هنونا بيات أنا جبلken يوم القيمة قال شيخي بدوي ولد أبو دليق أبشرن يا كاهليات أنا جبلken يوم القيمة وأوصى فقال : يقعد في المسجد عبد الرافع مجازاتها لشيخنا الفقيه حمد ^(١) .

* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يتلقون علوماً خاصة بهم عن الله سبحانه وتعالى ابن سبعين ^(٢) :

* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يتلقون علوماً عن الله محمد القنوي الصوفي حيث قال في معنى قوله تعالى : ﴿وَلَا يَسْرِقُنَ﴾ أي لا يسرقون معارف أحد من أهل السلوك ولا يتكلمون بأسرار الأكابر من الكمل التي ما بلغ علمهم لها ولا شاهدوها كشفاً وشهوداً بل لابد من القناعة بما هو حاصل لهم من العلوم اللدنية والمعارف الإلهية التي كشفت لهم أثناء سلوكهم بالمجاهدات النفسية والتوجهات القلبية وأميض على قلوبهم من أشعة نورانية روحانية شيخهم ^(٣) .

* ومن الصوفية الذين ادعوا بأن الأولياء يتلقون علوماً عن الله ويطلعون على الغيب عبد المجيد بن محمد الخاني النقشبendi فقد قال وهو

(١) « طبقات ود ضيف الله الجعلي » (ص ٢١١) .

(٢) انظر « بد المعارف » لابن سبعين (ص ١٣٧) .

(٣) « السيف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد » للبكري (ص ١٥) .

يتحدث عن أحد رجالات النقشبندية الكبار سيدنا الشيخ يعقوب الجرجي قدس الله سره العزيز قال عنه عالم العلماء وولي العلماء ظهر في العالم بعلميين .. أحيا الحقيقة بالشريعة والشريعة بالحقيقة وسلك في طريق القوم أقوم طريقة وورث علوم الغيوب كما ورث النبوة يعقوب^(١).

* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء لهم علوم خاصة بهم يتلقونها عن الله أبو العباس المرسي^(٢) فقد قال وهو يتحدث عن الصوفية .

« علوم هذه الطائفة علوم تحقيق وعلوم التحقيق لا تحملها عقول عموم الخلق والفقير من انفقا الحجاب عن عيني قلبه »^(٣).

* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يتلقون علوماً عن الله خاصة بهم أحمد بن مخلوف الشابي^(٤) الصوفي فقد قال :

« وعلم التجليات موقوف على الأذواق فمن لا ذوق له لا علم له »^(٥).

* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء في طريق سيرهم إلى الله تفيض عليهم علوم من الله أبو حامد الغزالى فقد قال وهو يتحدث عن المقامات التي يقطعها الصوفي الذي يسير إلى الله :

(١) « الحدائق الوردية في حقائق أجياله النقشبندية » (ص ١٥٤).

(٢) هو أحمد أبو العباس المرسي وكان يقال : إنه لم يرث غيره علم الشيخ أبي الحسن الشاذلي وهو من أخذ عنده الطريقة « جمهرة الأولياء » للمنوفى (٢٣١/٢).

(٣) أبو العباس المرسي (ص ٨٢).

(٤) هو عبد الله بن مسعود الشابي العارف بالله شيخ الطريق وإمام الحقيقة والشابي نسبة إلى بلدته شابة بالساحل التونسي التي ولد بها ونشأ وهو من قبيلة هذيل . انظر مقدمة الكتاب المنقول منه النص (ص ٢١).

(٥) كتاب « العارف بالله أحمد بن مخلوف الشابي مؤسس الطريقة الشافية » (ص ١٦٤).

وفرقـة أخـرى جـاوزـت هـؤلـاء وـلم تـلتفـت إـلـى مـا يـفـيـض عـلـيـها مـن الـأـنـوار فـي الـطـرـيق وـلا إـلـى مـا تـيـسـر لـهـم مـن الـعـطـاـيـا الـجـزـيلـة وـلم يـلـتـفـتـوا إـلـيـها وـلا عـرـجـوا عـلـيـها بـل جـدـوا فـي السـيـر فـلـما قـارـبـوا الـوصـول ظـنـوا أـنـهـم وـصـلـوا فـوـقـفـوا وـلم يـتـعـدـوا ذـلـك فـغـلـطـوا فـإـن لـلـه سـبـحـانـه سـبـعـين حـجـابـاً مـن نـور وـظـلـمـة لـا يـصـل السـالـك إـلـى حـجـاب مـن تـلـك الـحـجـب إـلـا وـيـظـن أـنـه قـد وـصـل »^(١) .

ويـدـعـيـ المـتـصـوـفـةـ بـأـنـ عـلـمـاءـ الـظـاهـرـ وـهـمـ الـذـينـ يـعـلـمـونـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ جـاهـلـونـ بـالـلـهـ لـا يـعـرـفـونـهـ حـقـ مـعـرـفـتـهـ لـأـنـهـمـ يـجـهـلـونـ عـلـمـ الـحـقـيـقـةـ الـذـيـ يـدـعـيـ المـتـصـوـفـةـ بـأـنـهـمـ يـتـلـقـونـهـ بـعـنـ اللـهـ .

وـإـلـىـ جـانـبـ زـعـمـ التـلـقـيـ عـنـ اللـهـ اـدـعـيـ المـتـصـوـفـةـ أـيـضاـ بـأـنـ الـأـوـلـيـاءـ يـلـتـقـونـ بـالـرـسـوـلـ ﷺـ باـسـتـمـارـ وـيـلـتـقـونـ تـوـجـيهـاتـ وـيـصـحـحـونـ عـنـدـهـ الـأـحـادـيـثـ وـإـلـيـكـ نـمـاذـجـ مـنـ أـقـوـالـ المـتـصـوـفـةـ الدـالـةـ عـلـىـ ذـلـكـ .

فـقـدـ قـالـ الشـعـرـانـيـ وـهـوـ يـتـحدـثـ عـنـ الـأـوـلـيـاءـ وـمـنـهـ شـدـةـ قـرـبـهـمـ مـنـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺـ كـلـ وـقـتـ فـلـاـ يـحـجـبـ عـنـهـمـ فـيـ لـيـلـ أـوـ نـهـارـ وـحتـىـ أـنـ بـعـضـهـمـ صـحـحـ عـدـةـ أـحـادـيـثـ قـالـ بـعـضـ الـحـفـاظـ بـضـعـفـهـاـ مـنـ طـرـيـقـ النـقـلـ الـظـاهـرـ فـتـقـوـتـ بـذـلـكـ عـنـدـهـ قـالـ :

« وـقـدـ أـدـرـكـ جـمـاعـةـ مـمـنـ لـهـمـ هـذـاـ الـمـقـامـ مـنـهـمـ سـيـديـ عـلـىـ الـخـواـصـ وـسـيـديـ عـلـىـ ». »

وـقـالـ مـحـمـدـ الصـبـانـ وـهـوـ يـقـرـرـ التـقـاءـ الـأـوـلـيـاءـ بـالـرـسـوـلـ ﷺـ وـأـنـذـ الأـحـكـامـ مـنـهـ وـتـصـحـيـحـ الـأـحـادـيـثـ عـلـيـهـ :

(١) « الكـشـفـ وـالتـبـيـنـ فـيـ غـرـورـ الـخـلـقـ أـجـمـعـينـ » لـلـغـزـالـيـ (صـ ١٣٢ـ) .
- « مـشـارـقـ الـأـنـوارـ » (٦٧ـ) .

« وحرم بعض المحققين القياس على جميع أهل الله لكون رسول الله ﷺ مشهوداً لهم فإذا شكوا في صحة حديث أو حكم رجعوا إليه في ذلك فأخبرهم بالأمر الحق يقظة ومشاهدة وصاحب هذا المشهد لا يحتاج إلى تقليد أحد من الأئمة غير رسول الله ﷺ »^(١).

وكما هو واضح أمامنا فقد زعم الشعراي والصبان بأن الأولياء يتلقون بالرسول باستمرار ويتلقون منه علوماً ويصححون عليه أحاديث وهو مجرد ادعاء فقط لا أساس له من الصحة وهذه القاعدة وضعها المتصوفة لهدم الشريعة الإسلامية حيث إن دعوى التلقي عن رسول الله وتصحيح الأحاديث عليه قاعدة خطيرة جداً لو سلم بها لكفت لتدمير الأمة الإسلامية في العقيدة والعبادة والسلوك وذلك لأنه من السهل جداً أن يأتي أي صوفي بحديث من عند نفسه ويدعي أنه صحيحه على الرسول ﷺ.

والخلاصة التي نخرج بها من هذا المطلب تتلخص في الأمور التالية :

الأمر الأول : زعم المتصوفة أنهم يتلقون العلوم عن الله سبحانه وتعالى وادعوا بأن الكتب التي ألفوها إنما هي من الإلقاء الرباني عليهم وليستأليفاً من عند أنفسهم .

الأمر الثاني : زعم المتصوفة أنه لا فرق بين وحي الأنبياء ووحي الأولياء في طريقة الإلقاء فكما أن الملك ينزل بالوحي إلى الأنبياء فكذلك ينزل على الأولياء بنفس الطريقة وزعموا أيضاً استمرارية النبوة وعدم انقطاعها.

الأمر الثالث : لقد غلا بعض المتصوفة غلواً شديداً في الأولياء فأدى

(١) « هامش مشارق الأنوار » لمحمد الصبان (ص ١٣٧) .

بهم ذلك إلى تفضيل الولاية على النبوة وزعموا أن الأولياء يتلقون الوحي مباشرة عن الله بدون واسطة ملك الوحي بل قال بعضهم إن الأنبياء يأخذون من خاتم الأولياء وكذلك زعموا بأنهم يتلقون بالرسول ويصححون عليه الأحاديث وهذه كلها عقائد فاسدة كما نرى ، كل منها كافية لهدم الإسلام لو أمن بها المسلمون ولكن والحمد لله لم يعتقد هذه العقائد الباطلة إلا من انخرط تحت لواء الطرق الصوفية الضالة . والآن سأبين موقف الإسلام من هذه العقائد في المطلب الثاني من هذا المبحث فإلى هناك^(١) .

المطلب الثاني

بيان بطلان هذا الادعاء وأنه لا وحي يتلقى

بعد رسول الله ﷺ

تتميز العقيدة الإسلامية من بين العقائد السماوية الأخرى بسمميات فريدة تهيئها للبقاء والثبات ومغالبة التحرير والتشويه على مدار الزمن واختلاف الأحوال . وذلك التمييز هو حفظ الله عز وجل للأصل الذي تستقي منه تلك العقيدة كما قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرَأَنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢) .

ولهذا بقيت تلك العقيدة سليمة منيعة لم يصل إليها كيد الكائدين ولم يضرها تحريف المبطلين ومن هنا فإن المسلم في أي زمان ومكان يستطيع أن يستدل على عقيدته بهذا الكتاب وهو آمن من أنه لا يوجد خلل به أو خطأ فيه ويبقى بعد ذلك اختلاف الأفهام وتباطؤ الإدراكات البشرية مما يغتفر

(١) انظر (ص ٥٨٣ - ٦٠٢) .

(٢) الحجر : (٩) .

الخطأ فيه مع بذل الجهد وإخلاص النية ما لم يعارض نصاً ثابتاً أو إجماعاً من الأمة على خلافه .

وعقيدة ختم النبوة هي إحدى العقائد التي قررها كتاب الله عز وجل وبينها رسوله محمد ﷺ في كل موطن يتطلب ذلك وأجمع عليها الصحابة رضي الله عنهم وعلماء الأمة الإسلامية من صدر الإسلام إلى اليوم .

وفي هذا المطلب سأورد الأدلة النقلية من الكتاب والسنة التي تدل على أن النبوة قد ختمت وأن الدين قد كمل وأنه لا يمكن أن يتلقى أحد علموا عن الله مهما كانت مكانته بعد رسول الله ﷺ لأن طريق التلقى عن الله طريق واحد فقط وهو طريق النبوة ولا نبوة بعد محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام وكل من زعم أنه يتلقى عن الله فقد ادعى أنهنبي رضي أم كره لأن المهم ليس المسمى وإنما المهم المضمنون .

أولاً : الأدلة من القرآن الكريم على ختم النبوة وكمال الدين :

لقد وردت الأدلة في القرآن الكريم على عقيدة ختم النبوة بصورة عديدة منها ما يلي :

أولاً : التصریح بالختم

قال تعالى : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ الْبَيِّنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(١) .

ففي هذه الآية الكريمة التصریح بخاتمتیه ﷺ للأنبياء قبله فلانبي بعده ولا رسول وهذا هو ما فهمه المفسرون لكتاب الله سبحانه وتعالى من صدر الإسلام إلى اليوم .

(١) الأحزاب : (٤٠) .

يقول الإمام أبو جعفر الطبرى رحمه الله في تفسير هذه الآية :

« يقول تعالى ذكره ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة ولا أبا أحد من رجالكم الذين لم يلده محمد فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء ».

ثم ذكر عن قتادة في قوله : ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ ﴾ أنه قال : « أي آخرهم »^(١) .

ويقول الحسين بن مسعود الفراء البغوي رحمه الله في قوله تعالى :

﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ ﴾ .

« ختم الله به النبوة ويروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال يريد - أي الله تعالى - لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابناً يكون بعدهنبياً»^(٢) .

ويقول محمود بن عمران الزمخشري رحمه الله :

« ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ ﴾ يعني أنه لو كان له ولد بالغ فبلغ مبلغ الرجال لكاننبياً ولم يكن هو خاتم النبيين»^(٣) .

ويقول الفضل بن الحسن الطوسي :

« ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ ﴾ أي وأخر النبيين ختمت النبوة به فشرعيته باقية إلى يوم الدين وهذه فضيلة له صلوات الله عليه وأله اختص بها من بين المرسلين»^(٤) .

(١) « جامع البيان عن تأويل القرآن » (١٢/٢١) .

(٢) « معالم التنزيل » (٤/٥٣٣) .

(٣) « الكشاف » للزمخشري (٣/٢٦٤) .

(٤) « مجمع البيان في تفسير القرآن » (٢٢/١٤٨) .

ويقول عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي رحمه الله :

«**وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**» ومن قرأ «خاتم» بكسر التاء فمعناه وختم النبيين
ومن فتحها فالمعنى آخر النبيين^(١).

ويقول الفخر الرازى رحمه الله :

«**وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**» وذلك لأن النبي الذي يكون بعدهنبي إن ترك شيئاً من النصيحة والبيان يستدركه من يأتي بعده وأما من لانبي بعده يكون أشفق على أمته وأهدى لهم وأجدى إذ هو كوالد الولد ليس له غيره من أحد .
قوله : «**وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**» يعني علمه بكل شيء دخل فيه أن لانبي بعده فعلم أن من الحكمة إكمال شرع محمد ﷺ بتزوجه بزوجة دعية تكميلاً للشرع^(٢).

ويقول ناصر الدين البيضاوى رحمه الله :

«**وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**» وأخرهم الذي ختمهم أو ختموا به على قراءة عاصم بالفتح^(٣).

ويقول أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي رحمه الله :

«**وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**» قال ابن عطية : هذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفاً وسلفاً متلقاة بالقبول على العموم التام مقتضية نصاً أنه لانبي بعده وَكُلُّهُ لِللهِ^(٤).

(١) «زاد المسير» لابن الجوزي (٦/٣٩٣).

(٢) «التفسير الكبير» للفخر الرازى (٢٥/٢١٤).

(٣) «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» للبيضاوى (٢/٢٤٧).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٤/١٩٦).

ويقول النسفي رحمه الله :

« بفتح التاء عاصم يعني الطابع أي آخرهم يعني لا ينبع أحد بعده »^(١).

ومعنى قوله : عاصم ، أي قراءة عاصم .

ويقول الحسين بن محمد القمي النيسابوري :

« وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا » ومن جملة معلوماته أنه لا نبي بعده^(٢).

ويقول علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن :

« ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده »^(٣).

ويقول أبو عبد الله محمد بن يوسف بن حيان :

« وقرأ الجمهور وختام بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم أي جاء آخرهم ».

وقال : « وروي عنه عليه السلام الفاظ تقتضي نصاً أنه لا نبي بعده عَلَيْهِ السَّلَامُ والمعنى أنه لا ينبع أحد بعده »^(٤).

ويقول أبو الفداء إسماعيل بن كثير رحمه الله :

« فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بالطريقة الأولى والأخرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا ينعكس بذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم »^(٥).

(١) « تفسير النسفي » (٢٢٤/٣).

(٢) « تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان » (٢٢/١٥).

(٣) كتاب « التأويل في معاني التنزيل » (٦٦١/٣).

(٤) « البحر المحيط » لأبي حيان (٧/٢٣٦).

(٥) « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير (٣/٤٩٣).

ويقول جلال الدين محمد بن أحمد المحتلي وجلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي :

« وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا » منه بأنه لا نبي بعده ^(١).

وذكر السيوطي رحمه الله أثراً عن الحسن أخرجه عبد بن حميد أنه قال في « وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » :

« خَتَمَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ بِمُحَمَّدٍ وَكَانَ آخِرُ مَنْ بُعِثَ ^(٢) ».

ويقول الخطيب الشربini :

« أي آخرهم الذي ختم لأن رسالته عامة ومعها إعجاز القرآن فلا حاجة مع ذلك إلى استثناء ولا إرسال » .

ثم قال : « ... والحاصل إنه لا يأتي بعده النبي مطلقاً بشرع جديد ولا يتجدد بعده مطلقاً استثناء وهذه مثبتة لكونه خاتماً على أبلغ وجه وأعظمه وذلك إنها في سياق الإنكار بأن يكون بينه وبين أحد من رجالهم بنبوة حقيقة أو مجازية ولو كانت بعده لأحد لم يكن ذلك إلا لولده ولأن فائدة إثبات النبي تهيم شيء لم يأت به من قبله وقد حصل به ^{عليه} التمام فلم يبق بعد ذلك مرام « بعثت لأنتم مكارم الأخلاق » ^(٣) » .

ويقول أبو السعود محمد العمادي الحنفي رحمه الله :

« وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » إنما كان آخرهم الذين ختموا به ^(٤) .

(١) « تفسير القرآن العظيم » المعروف بالجلالين (١١٠/٣) .

(٢) « الدر المثور في التفسير بالمأثور » للسيوطى (٢٠٤/٥) .

(٣) « السراج المنير » (٢٣٨/٣) .

(٤) « تفسير أبي السعود » (٤٢١/٤) .

ويقول محمد جمال الدين القاسمي في كلام له عن الآية :

« فتمت الرسالات برسالته إلى الناس أجمعين وظهر مصدق ذلك بخيبة من ادعى النبوة بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها »^(١) .

هذه هي أقوال المفسرين رحمهم الله في معنى قوله تعالى : ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ ﴾ وكلهم أجمعوا كما رأينا على أن معنى الآية الدالة عليه هو أن النبي ﷺ آخر الأنبياء والمرسلين وخاتمهم فيه ختم النبوة والرسالة فلا يمكن لأحد بعده كائناً من كان أن يزعم أنه يتلقى عن الله وكل من ادعى ذلك فقد زعم أنه يوحى إليه وبالتالي يعتبر قد كفر بعقيدة ختم النبوة ووقع في انحراف خطير يهوي به في المهالك والدمار إن لم يتراجع عنه .

ثانياً : تصريحه ﷺ بأنه مبعوث إلى كافة الناس :

لقد أمر الله عز وجل رسوله الكريم ﷺ في كتابه العزيز بأن يقول للناس إنه مبعوث إليهم كافة يقول الله عز وجل : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾^(٢) .

فهذه الآية الكريمة تدل على عموم رسالته ﷺ إلى الناس جميعاً بمختلف لغاتهم وأجناسهم وألوانهم وهذه هي إحدى الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن الأنبياء قبله إذ كان النبي قبله يبعث إلى قومه خاصة ثم يبقى غيرهم محتاجاً إلى من يبلغه أمر الله عز وجل ولئلا يتورهم هذا في رسولنا عليه الصلاة والسلام بين الله سبحانه وتعالى عموم رسالته إلى الناس جميعاً .

(١) « محسن التأويل » لجمال الدين القاسمي (٤٨٢٤/١٣) .

(٢) الأعراف : (١٥٨) .

وإليك أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية :

يقول أبو جعفر الطبرى رحمه الله :

« قل يا محمد للناس كلهم إني رسول الله إليكم جميعاً لا إلى بعضكم دون بعض كما كان من قبلى من الرسل مرسلاً إلى بعض الناس دون بعض فمن كان منهم أرسل كذلك فإن رسالته ليست إلى بعضكم دون بعض ولكنها إلى جميعكم »^(١).

ويقول ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية :

« يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ (قل) يا محمد (يا أيها الناس) وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي : (إنّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) أي جميعكم وهذا من شرفه وعظمته ﷺ أنه خاتم النبيين ومبعوث إلى الناس كافة » ثم ساق الآيات والأحاديث الدالة على ذلك وقال بعدها :

« والآيات في هذا كثيرة كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصى وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كافة »^(٢).

وقد وردت آيات أخرى كثيرة تقرر هذا المعنى مثل قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافِةً لِلنَّاسِ)^(٣).

وقوله تعالى : (وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً)^(٤).

(١) « تفسير الطبرى » (٥٩/٩).

(٢) « تفسير ابن كثير » (٢٥٤/٢).

(٣) سبأ : (٢٨).

(٤) النساء : (٧٩).

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١) .

وبما أن هذه الرسالة عامة وتخاطب جميع الناس بدون تخصيص أو تقيد فهي إذن تشمل من كان في عهده ﷺ ومن سيأتي بعده وبذلك العموم يتضح أنها خاتمة الرسالات وأخرها إذ لا تحتاج البشرية إلى دين جديد ما دام هذا الدين قد خاطبهم جميعاً وسعهم جميعاً.

وفي ذلك يقول الزمخشري رحمه الله عن تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ ﴾ :

« إِلَّا رَسَالَةٌ عَامَةٌ لَهُمْ مَحِيطَةٌ بِهِمْ لَأَنَّهُمْ إِذَا شَمَلْتَهُمْ فَقَدْ كَفَتْهُمْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ »^(٢) .

ومن هنا نقول إن دعوى المتصوفة تلقي علومهم عن الله مباشرة دعوى باطلة لا أساس لها من الصحة لأنها ليس لها دليل تعتمد عليه لأن الرسول محمد ﷺ بعث إلى كافة الناس وليس هناك أحد من البشر يتلقى علوماً خاصة به ول وخاصة كما يزعم المتصوفة الأفاكون وبهذا بطلت دعوى المتصوفة التلقي عن الله لأن الباب الوحيد الذي يتكلم عن طريقه المخلوق قد أغلق ألا وهو باب النبوة وإلى جانب ذلك فالرسالة المحمدية عامة لجميع البشر.

ثالثاً : من الآيات التي تدل على أن باب النبوة والتلقي عن الله قد أغلق كمال هذا الدين وتمامه وعدم الحاجة إلى الإكمال :

لقد أخبرنا الله عز وجل في كتابه الكريم بأنه قد أكمل لنا ديننا وأتم علينا نعمته ورضي لنا دينه الإسلامي .

قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ

(١) الأنبياء : (١٠٧) .

(٢) « الكشاف » للزمخشري (٧/٢) .

لَكُمُ الْإِسْلَامُ دِينًا ﴿١﴾ .

في هذا الآية يمن الله سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين بأنه قد أكمل هذا الدين فلا يحتاج إلى رسول آخر يستدرك عليه شيئاً أو يزيد عليه شيئاً ويذكر سبحانه وتعالى أنها نعمة أنعم بها علينا بإكمال الدين .. ثم رضي لنا هذا الدين الكامل ديناً نعبد به .

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى تحت هذه الآية :

« هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلىنبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ولهاذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه ولا دين إلا ما شرعه وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق » ^(٢) .

وقد أخرج الطبرى رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال :

« أكملت لكم دينكم وهو الإسلام قال أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً وقد أتمه الله عز ذكره فلا ينقصه أبداً وقد رضيه الله فلا يسخطه أبداً » ^(٣) .

ويقول سيد قطب رحمه الله عن هذه الآية :

﴿ إِلَيْكُمْ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ يقول :

(١) المائدة : (٣) .

(٢) « تفسير ابن كثير » (١٢/٢) .

(٣) « تفسير الطبرى » (٥١/٦) .

« فأعلن لهم إكمال العقيدة وإكمال الشريعة معاً فهذا هو الدين ولم يعد لمؤمن أن يتصور أن بهذا الدين - بمعناه هذا - نصاً يستدعي الإكمال ولا قصوراً يستدعي الإضافة ولا محلية أو زمانية تستدعي التطوير أو التحوير وإلا فما هو بمؤمن وما هو بمقر بصدق الله وما هو بمرتضٍ ما ارتضاه الله للمؤمنين »^(١) .

هذه بعض أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة وكلها تؤكّد لنا أن معنى الآية هو أن الأمة لم تعد تحتاج إلى نبي أو إلى من يزعم التلقي عن الله علوماً خاصة به ولخاصية يكمل لها دينها أو يتم عليها نعمة ربها لأن الله سبحانه وتعالى قد أكمل هذا الدين على يد رسول الله ﷺ ثم رضيه له ولأمته ديناً يعبدون الله به إلى يوم القيمة فمن زعم أن هناك لهداية البشر علمًا غير كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ فقد افترى على الله افتراء عظيماً ذلك لأن الدين قد كمل كما هو واضح في هذه الآية الكريمة لذا فدعوى الصوفية تلقي العلوم عن الله مباشرة محضر افتراء فقط لا أساس له من الصحة وبقولهم هذا يعتبرون مصاہدون لمدعي النبوة .

رابعاً : من الآيات التي تدل على ختم النبوة وعدم الحاجة إلى من يزعم التلقي عن الله أو يدعي النبوة صراحة تعهده سبحانه وتعالى بحفظ هذا القرآن الكريم :

لقد تعهد الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بحفظ هذا الدين وذلك بحفظ الأصل الذي يستقي منه هذا الدين ألا وهو كتاب الله عز وجل وذلك حتى يبقى هذا الدين على صورته النقية لتم به الحجة محفوظ ولئلا يكون

(١) « في ظلال القرآن » لسيد قطب (٢/٨٤٣) .

هناك شك فيه ومن الآيات التي تدل على أن الله تعهد بحفظ هذا الكتاب قوله عز وجل : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرَلَنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١).

يقول الإمام الطبرى رحمه الله في تفسير هذه الآية :

« وإنما للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل ما ليس منه أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرايشه »^(٢).

ويقول الزمخشري رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية :

« وهو حافظ له في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبدل بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتول حفظها وإنما استحفظها الربانيين والأئم فاختلفوا فيما بينهم بغياً فكان التحريف ولم يكل إلى غيره حفظه »^(٣).

وصدق الله العظيم وها نحن الآن نرى القرآن الكريم بين أيدينا محفوظاً يضيء الطريق لكل من أراد الوصول إلى مرضاه الله سبحانه وتعالى غصاً طرياً كما أنزل لم يزاد فيه باطل ولم ينقص منه كما قال الله سبحانه في كتابه : ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٤).

وهكذا فلا رسول بعد الرسول محمد يزعم التلقي عن الله من أجل هداية البشر لأن هذا القرآن محفوظ وفيه الهدایة والنور لمن أراد أن يهتدى إلى الصراط المستقيم أما المدعون تلقي العلوم عن الله فهم كذبة دجاجلة

(١) الحجر : (٩).

(٢) « تفسير الطبرى » (٦/١٤).

(٣) « الكشاف » للزمخشري (٣٨٦/٢).

(٤) فصلت : (٤٢).

متجرؤن على الله وعلى رسوله لأنهم بقولهم هذا يكذبون الله ورسوله وهذا معتقد خبيث لا يقدم عليه إلا من فرغ قلبه من الإيمان بالله ورسوله وإنما فكيف يجرؤ الإنسان على أن يزعم أنه يتلقى علوماً عن الله مباشرة مع قول الله عز وجل : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾^(١) .

وبهذا نكتفي بالنسبة للأدلة القرآنية الدالة على أن النبوة قد ختمت بالرسول محمد ﷺ وبختم النبوة قد أغلق باب زعم التلقي عن الله وعلى هذا يصبح المدعون لتلقي العلوم عن الله كذبة فجرة فسقة دجاجلة ينبغي أن يتوبوا إلى الله ويرجعوا عن هذه العقيدة الباطلة لأن القول ببقاء الباب مفتوحاً لتلقي العلوم عن الله يساوي القول بعدم ختم النبوة وهذا يفتح الباب لكل دجال أفاك تسول له نفسه ادعاء التلقي عن الله .

ثانياً : الأدلة من السنة على ختم وإغلاق باب التلقي عن الله بعد الرسول محمد ﷺ :

إن المتبع لأحاديث رسول الله ﷺ سيرى أنها قد أكدت بأن النبوة قد ختمت وأن الوحي قد انقطع بعد الرسول محمد ﷺ بعبارات مختلفة ومتنوعة يصل بعضها إلى حد التواتر وهي في جملتها متواترة تواتراً قطعياً بحيث لا يبقى مجال للشك أو التردد في كون رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء لانبي بعده ولا شرع بعد شرعه .

وقد قال بهذا التواتر كثير من العلماء منهم من يلي :

* فمن العلماء الذين قالوا بتواتر الأخبار عن رسول الله بأنه خاتم

(١) الأحزاب : (٤٠) .

الأنبياء عبد القاهر بن طاهر البغدادي رحمه الله فقد قال :

(وقد تواترت الأخبار عنه عليه السلام بقوله : « لا نبي بعدى »)^(١) .

* ومنهم ابن حزم رحمه الله فقد قال :

« وقد صح عن رسول الله ﷺ بنقل الكوافـة التي نقلت نبوته وكتابه أنه أخبر أنه لا نبـي بعده »^(٢).

* ومنهم الإمام ابن كثير رحمه الله فقد قال في تفسيره :

« وقد أخبر الله تعالى في كتابه ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفالك دجال ضال مضل »^(٣).

* ومنهم السيوطي رحمه الله فقد قال :

إن حديث «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي» متواتر وكذلك حديث : «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لانبي بعدي» أنه متواتر^(٤) .

وقد وردت الأحاديث المؤكدة لختم النبوة وإنغلاق باب التلقي عن الله سبحانه وتعالى نهائياً بصور شتى وألفاظ متعددة بحيث لا يبقى هناك شك إلى أن باب التلقي عن الله قد أغلق نهائياً .

(١) «أصول الدين» للبغدادي (ص ١٦٣).

(٢) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (١/٧٧).

(٣) « تفسیر ابن کثیر » (٤٩٤/٣).

(٤) «الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة» للسيوطى (ص ٣٦).

* فمن هذه الأحاديث التي تؤكد لنا بأن النبوة قد انقطعت وأنه ليس هناكنبي بعد الرسول محمد ﷺ :

* ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال : كشف رسول الله ﷺ الستار والناس صفوف خلف أبي بكر رضي الله عنه فقال : « أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له »^(١).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ليس يبقى بعدى من النبوة إلا المبشرات » قالوا : وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : « الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة »^(٢).

* وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « لا يبقى بعدى من النبوة شيء إلا المبشرات » قالوا : يا رسول الله وما المبشرات ؟ قال : « الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له » رواه البزار^(٣).

* وعن أبي الطفيل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا نبوة بعدى إلا المبشرات » قال : « قيل : وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : الرؤيا الحسنة أو قال الرؤيا الصالحة » رواه الطبراني^(٤).

* وعن أم كرز الكعبيه رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ذهبـتـ النـبـوـةـ وـبـقـيـتـ المـبـشـرـاتـ » رواه الدارمي^(٥) والحميدي^(٦).

(١) « سنن النسائي » (٢/١٨٩).

(٢) « موطأ مالك مع شرح الزرقاني » (٤/٣٥٣).

(٣) « مجمع الزوائد » (٧/١٧٢).

(٤) « مجمع الزوائد » (٧/١٧٣) وقال : رجاله ثقات.

(٥) « سنن الدارمي » (٢/١٢٣).

(٦) « مسند الحميدي » (١/١٦٧).

* ومن الأدلة لختم النبوة الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال إن رسول الله ﷺ قال : «إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيته فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون هلا وضع اللبنة ! قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » رواه البخاري^(١).

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع اللبنة» ثم قال رسول الله ﷺ : «فأنا موضع اللبنة جئت فاختمت الأنبياء» رواه مسلم^(٢).

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «مثلي ومثل النبيين من قبلي كمثل رجل بنى داراً فأتمها إلا لبنة واحدة فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة» رواه أحمد^(٣).

إذا نظرنا في الأحاديث السابقة نجد أنها تتناول قضية الختم من طريق التمثيل والتشبيه الذي هو أقرب الأساليب إلى الفهم حيث شبه النبي ﷺ النبوة ببيت لبنته هم أنبياء الله عز وجل الذين اختارهم قبل نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وأن البيت قد بنى وجمل وكمل ولم يبق فيه إلا موضع لبنة واحدة ولا يزال البيت بدونها ناقصاً فجاء رسول الله ﷺ فكمل ذلك البناء وسد ذلك المكان ولم يبق ثمة موضع آخر للبنة أخرى تجيء بعد كما زعم ابن عربي ومن سار على نهجه من المتصوفة وبذلك يكون بناء النبوة قد كمل وتم بعد مجيء رسول الله ﷺ الذي قد ختم به ذلك البناء فكان بذلك آخر الأنبياء وبذلك تقرر عقيدة ختم النبوة في نفوس هذه الأمة ولا يبقى هناك

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (٥٥٩/٦).

(٢) « صحيح مسلم » مع النووي (٥٢/١٥).

(٣) « مسند أحمد » (٩/٣).

مجال للكذب والادعاء بأن أحداً ما يزعم أنه يتلقى العلم عن الله بعد رسول الله وإنما يصبح كاذباً مفترياً على الله .

يقول ابن حجر رحمة الله :

« وفي الحديث ضرب الأمثال للتقرير للأفهام وفضل النبي ﷺ على سائر النبيين وأن الله ختم به المرسلين وأكمل به شرائع الدين »^(١) .

ومن الصور التي أكدها ﷺ بأنه خاتم الأنبياء وأن الوحي قد انقطع بعده إخباره بعموم رسالته .

لقد أخبر الرسول ﷺ بأنه رسالته عامة لجميع البشر على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وألوانهم وأوطانهم .

* فمن الأحاديث الدالة على عموم رسالته عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وظهوراً فاما رجل من أمتي ادركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » رواه البخاري^(٢) والنسائي^(٣) والدارمي^(٤) .

* وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أُوتيت خمساً لم يؤتهننبي قبلي : نصرت بالرعب فيرعب مني العدو عن مسيرة

(١) « فتح الباري » (٦/٥٥٩) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (٤٣٦/١) و« مشكاة المصايخ » (١٦٠١/٣) .

(٣) « سنن النسائي » (٣٢٢/١) مع اختلاف في الترتيب .

(٤) « سنن الدارمي » (٢٠٩/١) .

شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلي وبعثت إلى الأحمر والأسود»^(١).

* وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : «أعطيت الليلة خمساً ما أعطيهن أحد قبلى : أما أنا فأرسلت إلى الناس كلهم...»^(٢).

إذا نظرنا في الأحاديث السابقة نجدها كلها تدل دلالة صريحة وواضحة على عموم بعثته ﷺ إلى الناس كافة من غير استثناء أو تقيد بزمن دون زمن مما يؤكد أن المراد بذلك العموم هو عموم مكاني بحيث لا يخرج عنه مكان في الأرض كلها وعموم زماني كذلك بحيث يمتد منذ وجوده ﷺ إلى قيام الساعة وهذه الأحاديث نوع آخر من الأدلة النبوية التي تؤكد على أن النبوة قد ختمت وبختم النبوة فقد انقطع الوحي والتلقي عن الله وبذلك يصبح كل من يزعم ذلك مفترياً على الله .

أقوال علماء الأمة الإسلامية رحمهم الله في ختم النبوة وانقطاع الوحي بعد رسول الله محمد ﷺ :

لقد أجمع علماء الأمة الإسلامية على القول بختم النبوة برسول الله محمد ﷺ وبختم النبوة فقد انقطع الوحي والتلقي عن الله ولم يبق بين أيدينا شيء نهتدي عن طريقه إلى الطريق القويم إلا كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ .

* فمن العلماء الذين أكدوا إجماع المسلمين على القول بختم النبوة

(١) «مسند أبي داود الطيالسي» (١٢٢/٢).

(٢) «مجمع الزوائد» للهيثمي (٣٦٧/١٠).

برسول الله ﷺ البغدادي رحمه الله فقد قال :

«أجمع المسلمين وأهل الكتاب على أن أول من أرسل من الناس آدم عليه السلام وآخرهم عند المسلمين محمد ﷺ» ^(١).

وقال أيضًا : « كذلك كل من أقر بنبوة نبينا محمد ﷺ أقر بأنه خاتم الأنبياء والرسل وأقر بتأييد شريعته ومنع من نسخها » ^(٢).

* ومن العلماء الذين ذكروا الإجماع على القول بأن الرسول محمد ﷺ خاتم الأنبياء وأن الوحي قد انقطع بعده القاضي عياض فقد قال رحمه الله :

« أخبر ﷺ أنه خاتم النبيين لانبي بعده وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين وأنه أرسل كافة للناس وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره وأن مفهومه المراد منه دون تأويل ولا تخصيص » ^(٣).

* ومن العلماء الذين أكدوا ختم النبوة وانقطاع الوحي بعد رسول الله ﷺ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقد قال :

« ولما كان محمد ﷺ رسولاً إلا جميع الثقلين جنهم وإنهم عربهم وعجمهم وهو خاتم الأنبياء لانبي بعده كان من نعم الله على عباده ومن تمام حجته على خلقه » ^(٤).

ويقول ابن خلدون رحمه الله وهو يتحدث عن معاني الختم :

(١) «أصول الدين» للبغدادي (ص ١٥٩) و«الفرق بين الفرق» (ص ٣٣٢).

(٢) «أصول الدين» (ص ١٦٢).

(٣) «الشفا» (٢/٢٧٠).

(٤) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٦٣).

« ويطلق على النهاية والتمام ومنه الأمر إذا بلغت آخره وختمت القرآن
ومنه خاتم النبيين وخاتم الأمر »^(١).

ويقول زين العابدين بن نجيم :

« إذا لم يعرف المسلم أن محمدًا آخر الأنبياء فليس بمسلم لأنه من
الضروريات »^(٢).

ويقول القسطلاني :

« إن الوحي منقطع بموته ﷺ »^(٣).

ويقول سعد الدين التفتازاني :

« قد دلت النصوص وانعقد الإجماع أنه مبعوث إلى الناس كافة بل إلى
الثقلين لا إلى العرب خاصة وأنه خاتم النبيين لانبي بعده ولا نسخ
لشريعته »^(٤).

ويقول إسماعيل حقي في تفسيره روح البيان عن قوله تعالى :
﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾ :

« وكان آخرهم الذي ختموا به »^(٥).

* * *

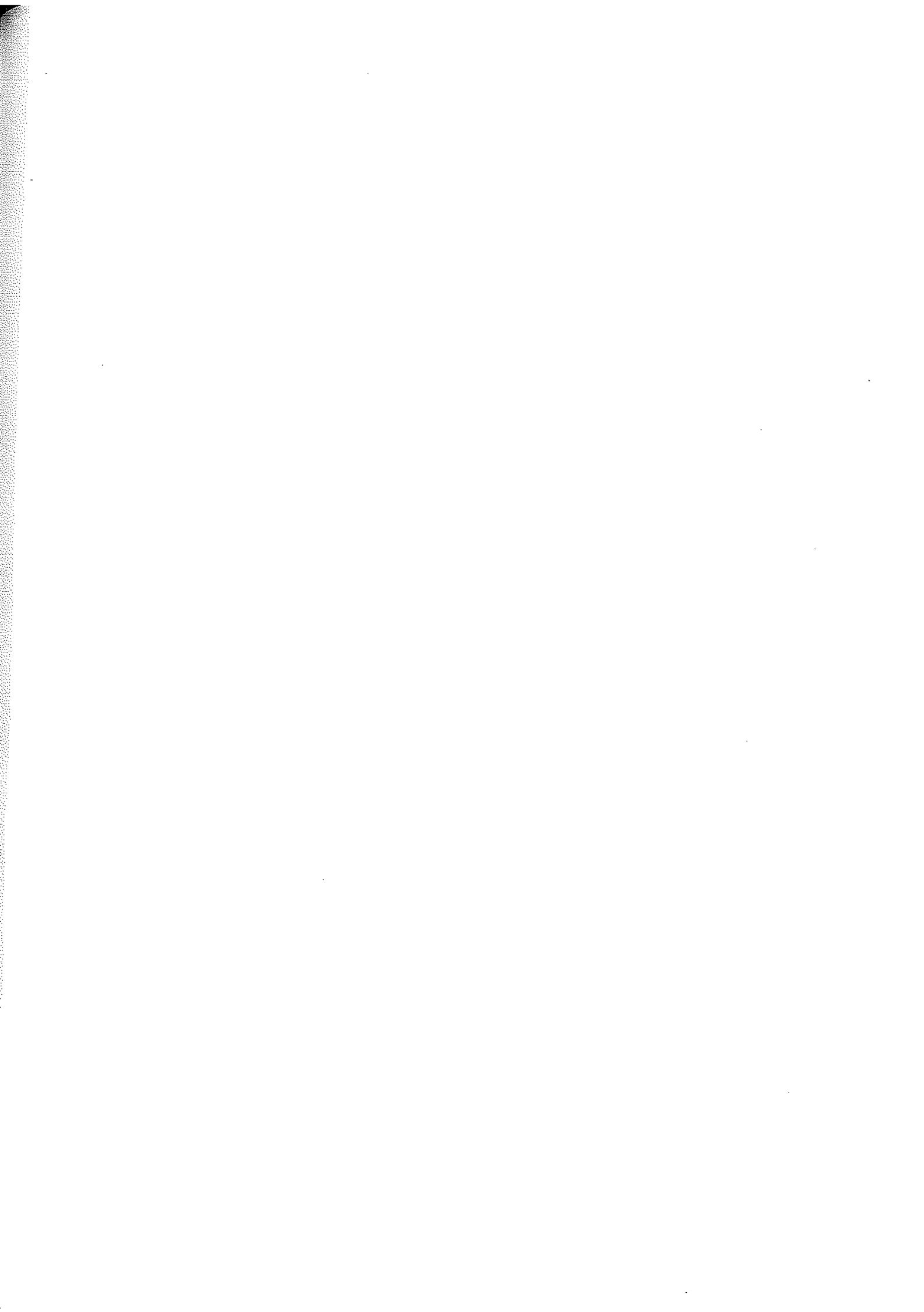
(١) « المقدمة لابن خلدون » (ص ٢٦٤).

(٢) « الأشباه والنظائر » (ص ١٣٨).

(٣) « إرشاد الساري » (١٠/١٢٨).

(٤) « شرح المقاصد » (٢/١٩١).

(٥) « روح البيان » (٣/١٢٢).



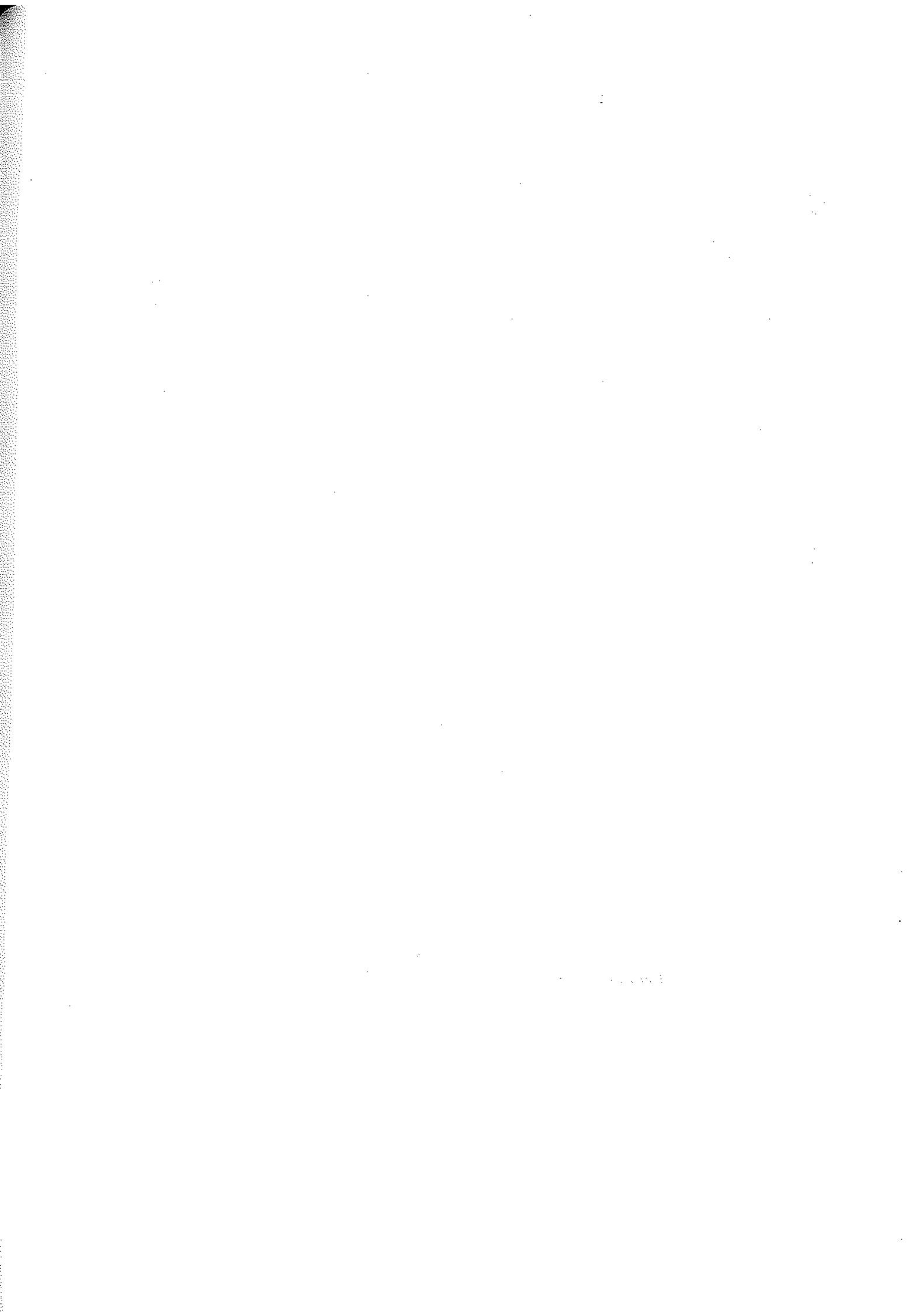
المبحث الثاني

اعتقادهم بأن هناك مجموعة من الأولياء
لهم ألقاب خاصة بهم يتصرفون في هذا
الكون ويتحكمون فيه

وتحت مطلبان :

المطلب الأول : مراتب الأولياء ووظائفهم عندهم
وذكر نماذج من النصوص عنهم
ثبت بأنهم يعتقدون أن للأولياء
تصرفًا في هذا الكون .

المطلب الثاني : موقف أهل الإسلام من هذه
المراتب وممن يدعي التصرف
لغير الله .



المطلب الأول

مراتب الأولياء ووظائفهم وذكر نماذج من النصوص
عنهم ثبت بأنهم يعتقدون بأن للأولياء تصرفاً
في هذا الكون

لقد اخترع الصوفية وابتدعوا من عند أنفسهم مراتباً وألقاباً من عند
أنفسهم لمن يصفونهم بأنهم أولياء الله بقطع النظر عن الشخص الذي يصفونه
بهذا الوصف وهل هو مستحق لهذا الوصف العظيم وهو وصف ولی الله أو
غير مستحق ذلك لأن إطلاق هذا اللفظ على شخص بعينه فيه شهادة له
وتؤكد بأنه من المرضى عنهم دنيا وأخرى وهذا فيه جرأة عظيمة على الله
ولو لاحظنا غالب من يعتبرهم المتتصوفة بأنهم أولياء الله نجد بأنهم أصحاب
دجل وكهانة وشعوذة وبدع وخرافات ويظهر هذا لكل من يقرأ في كتبهم
ويلاحظ سلوكهم .

ومن جملة البدع التي ابتدعها المتتصوفة هي إحداث ألقاب لمن يطلقون
عليهم أولياء الله فقد ذكر الصوفية ألقاباً لأولياء الله لم ترد في الكتاب ولا
في السنة وإنما أتوا بها من عند أنفسهم وإليك هذه المراتب والألقاب
والوظائف التي ذكرها الصوفية في كتبهم :

أولاً : مراتب الأولياء عند الصوفية :

* فمن الصوفية الذين ذكروا هذه المراتب والألقاب والوظائف محبي

الدين بن عربي والذي يصفه الصوفية بأنه الشيخ الأكبر والكبير الأحمر فقد قال متحدثاً عن مراتب الأولياء عند الصوفية :

« فمِنْهُمُ الْأَقْطَابُ وَمِنْهُمُ الْأَئْمَةُ وَمِنْهُمُ الْأُوْتَادُ وَمِنْهُمُ الْأَبْدَالُ وَمِنْهُمُ النَّبِيُّونَ وَمِنْهُمُ الْأَفْرَادُ وَمَا فِيهِمْ طَائِفَةٌ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُ مِنْهُمْ وَعَاشُرْتُهُمْ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ وَبِبِلَادِ الْحِجَازِ وَالشَّرْقِ »^(١).

* ومن الصوفية الذين ذكروا هذه المراتب لأولياء الصوفية لسان الدين الخطيب فقد قال متحدثاً عن هذه المراتب :

« خَواصِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فِي بَلَادِهِ عَلَى عِبَادِهِ : الْأَبْدَالُ وَالْأَقْطَابُ وَالْأُوْتَادُ وَالْعُرْفَاءُ وَالنَّجِيَّاءُ وَالنَّبِيُّونَ وَسَيِّدُهُمُ الْغُوثُ »^(٢).

وكما نلاحظ فقد ذكر لسان الدين نفس المراتب التي ذكرها محبي الدين بن عربي وزاد عليها لقبين ومرتبتين وهما العرفاء والغوث وليس هذا بغرير عند المتصوفة لأنهم يتكلمون بأهوائهم ومن يتكلم بهواه فالاختلاف ليس بغرير عليه .

* ومن الصوفية الذين ذكروا هذه المراتب والألقاب للأولياء عند المتصوفة الهجويري حيث قال متحدثاً عن هذه المراتب والألقاب :

« هُمْ أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَدْ وَقَادَةُ حُضُورِ الْحَقِّ جَلْ جَلَالُهُ ثَلَاثَمَائَةٌ يُدْعُونَ الْأَخِيَّارَ وَأَرْبَعَونَ آخِرُونَ يُسَمُّونَ الْأَبْدَالَ وَسَبْعَةُ آخِرُونَ يُقالُ لَهُمُ الْأَبْرَارُ وَأَرْبَعُونَ يُسَمُّونَ الْأُوْتَادَ وَثَلَاثَةُ آخِرُونَ يُقالُ لَهُمُ النَّبِيُّونَ وَوَاحِدٌ يُسَمِّي الْقَطْبَ وَالْغُوثَ وَهُؤُلَاءِ جَمِيعًا يَعْرُفُونَ الْآخِرَ وَيَحْتَاجُونَ فِي الْأُمُورِ

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٣/٤٤٢).

(٢) « روضة التعريف بالحب الشريفي » (ص ٤٣٢).

لأذن بعضهم البعض »^(١) .

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن الهجويري ذكر ألقاباً ومراتب لم يذكرها محيي الدين بن عربي ولسان الدين الخطيب فقد أتى بلقبي الأخيار والأبرار وهذا لقبان تفرد بهما عن سبق ذكره ولا عجب في ذلك فكل الألقاب أتى بها المتصوفة من عند أنفسهم ومن يتبع هواه يقول ما يريد لأنه ليس له عاصم يعصمه من القول على الله بغير علم .

هذه هي المراتب التي ذكر الصوفية في كتبهم لأولياء الله سبحانه وتعالى وهذه المراتب والألقاب التي ذكرها الصوفية إذا عرضناها على كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ نجد أنها لم ترد فيها نهائياً وبما أن المقصود هنا في هذا المطلب إقامة الحجة على أن الصوفية بالفعل ابتدعوا مراتب وألقاباً لأولياء الله من عند أنفسهم وقد أثبتنا هذا فلتترك الرد لحينه لأنه سيأتي في المطلب الثاني من هذا المبحث إن شاء الله تعالى^(٢) .

ثانياً : معاني هذه الألفاظ ووظيفة أصحاب كل مرتبة عند الصوفية:

لقد وضح مشائخ الصوفية معاني هذه الألفاظ ووظيفة صاحب كل مرتبة توضيحاً شافياً لا غموض فيه .

ولنبدأ بمعنى كلمة القطب أو الأقطاب ووظائفهم عند الصوفية .

القطب :

لقد تكلم كثير من مشائخ الصوفية عن معنى القطب عندهم ومن جملة المشائخ الذين تكلموا عن القطب والأقطاب محيي الدين بن عربي فقد قال

(١) « كشف المحجوب » للهجويري (ص ٤٤٧ - ٤٤٨) .

(٢) انظر (ص ٦٦٩ - ٦٧٤) .

متحدثاً عن الأقطاب :

« الأقطاب جمع قطب وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في العالم ويقال الغوث وهو على قلب إسرافيل »^(١).

وقد تحدث ابن عربي أيضاً عن أسماء القطب وأوصافه فقال :

« إن اسم القطب في كل زمان عبد الله وعبد الجامع المنعوت بالتلخلق والتحقق بمعاني جميع الأسماء الإلهية بحكم الخلافة وهو مرآة الحق تعالى ومجلى النعوت المقدسة ومحل المظاهر الإلهية وصاحب الوقت وعين الزمان وصاحب علم سر القدر وله علم دهر الدهور ومن شأنه أن يكون الغالب عليه الخفاء لأنّه محفوظ في خزائن الغيرة ملتحف بأردية الصون لا يعتريه شبهة في دينه قط ولا يخطر له خاطر ينافق مقامه كثير النكاح ورغباً محباً للنساء يوفي الطبيعة حقها على الحد المشروع له »^(٢).

وقد أكد محيي الدين بن عربي أن الأقطاب لم يخل منهم زمان منذ أن خلق الله البشرية وإليك نص كلامه فقد قال :

« إن الأقطاب لا يخلو عصر منهم وجملة الأقطاب المكملين من الأمم السالفة من عهد آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ خمسة وعشرون قطباً أشهدنيهم الحق تعالى في مشهد قدس في حضرة برزخية وأنا بمدينة قرطبة وهم : الفرق ومداوي الكلوم والبكاء والمرتفع والماضي والماحق والعاقب والمنحور وسجر الماء وعنصر الحياة والشريد والصائغ والمراجع والطيار والسالم والخليفة والمقسوم والحي والراقي والواسع والبحر والمنصف

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٣/٤٤).

(٢) « اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكابر » (٢/٧٩).

والهادي والأصلح والباقي فهو لاء هم الأقطاب الذين سموا لنا من آدم إلى محمد وأما القطب الواحد الممد لجميع الأنبياء والرسل والأقطاب من حيث النشيء الإنساني إلى يوم القيمة فهو روح محمد ﷺ^(١).

وقد زعم ابن عربي أن لكل إقليم أو قرية قطباً صغيراً ينوب عن القطب الكبير فقال :

« واعلم أن لكل بلد أو قرية أو إقليم قطباً غير الغوث به يحفظ الله تعالى تلك الجهة سواء أكان أهلها مؤمنين أو كفاراً وكذلك القول في الزهاد والعباد والمتوكلين وغيرهم لابد لكل صنف منهم من قطب يكون مدارهم عليه ». ^(٢)

وقال ابن عربي أيضاً :

« قد اجتمعت بقطب المتوكلين فرأيت مقام المتوكل يدور عليه دوران الرحى حين تدور على قطبهما وهو عبد الله بن الأستاذ ببلاد الأندلس صحبه زماناً طويلاً وكذلك اجتمعت بقطب الزمان سنة ثلاثة وتسعين وخمسين بمدينة فاس وكان أشد اليد فتكلمت على مقام القطبية في مجلس كان فيه فأشار عليّ أن أستره عن الحاضرين ففعلت ». ^(٣)

وقد تحدث التيجاني عن حقيقة القطبية في المفهوم الصوفي فقال :

« إن حقيقة القطبية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً في جميع الوجود جملة وتفصيلاً حيثما كان الرب إلهًا كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذ في كل من له عليه ألوهية لله تعالى فلا يصل إلىخلق شيء

(١) « اليقين والجواهر في عقيدة الأكابر » (٨٢/٢).

(٢) « اليقين والجواهر في عقيدة الأكابر » (٨٣/٢).

كائناً ما كان من الحق إلا بحكم القطب ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود فترى الكون أشباحاً لا حركة وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلاً ثم تصرفه في مراتب الأولياء فلا تكون مرتبة في الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه فهو المتصرف في جميعها والممد لأربابها به يرحم الوجود وبه يبقى الوجود في بقاء الوجود رحمة لكل العباد وجوده في الوجود .

حياة لروحه الكلية وتنفس نفسه يمد الله به العلوية والسفلى ذاته مرآة مجردة يشهد فيها كل قاصد مقصده ^(١) .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن المتصوفة يعتبرون القطب هو المتصرف الوحيد في هذا الكون لأنه نائب عن الله .

ويدعى محبي الدين بن عربي بأنه اجتمع بالأقطاب الذين كانوا في الأمم السابقة في البرزخ فيقول تحت عنوان :

أقطاب الأمم السابقين :

« وأما أقطاب الأمم المكملين في غير هذه الأمة فمن تقدمنا بالزمان فجماعة ذكرت لي أسماؤهم باللسان العربي لما أشهدتهم ورأيتهم في حضرة برزخية وأننا بمدينة قرطبة في مشهد قدس ثم ذكر أسماءهم ^(٢) .

مدة حكم القطب :

يعتقد الصوفية بأن القطب ليست له مدة معينة لحكمه وأنه يمكن

(١) « جواهر المعاني » (٨٠ / ٢) .

(٢) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٢٤٧ / ٣) .

حسب المدة التي قدرها الله له وفي هذا يقول محيي الدين بن عربي :

« ليس للقطب مدة معينة فقد يمكث القطب في قطبيته سنة أو أكثر أو أقل إلى يوم إلى ساعة فإنها مقام ثقيل لتحمل صاحبها أعباء الملائكة الأرضية كلها ملوكها ورعاياها » .

وقال ابن عربي أيضاً :

« إن كل قطب يمكث في العالم الذي هو فيه على حسب ما قدر الله عز وجل ثم تنسخ دعوته بدعة أخرى كما تنسخ الشرائع بالشرائع وأعني بالدعوة ما لذلك القطب من الحكم والتأثير في العالم .

فمن الأقطاب من يمكث في قطبيته الثلاث والثلاثين سنة وأربعة أشهر ومنهم من يمكث فيها ثلاثة سنين ومنهم كما يؤيد ذلك مدة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى فإنهم كانوا أقطاباً بلا شك »^(١) .

العلامة التي يتميز بها القطب عن غيره من البشر :

لقد ذكر الشيخ أبو الحسن الشاذلي أن للقطب خمسة عشر علامات

وهي :

« أن يمد بمدد العصمة والرحمة والخلافة والنيابة ومدد حملة العرش العظيم ويكشف له عن حقيقة الذات وإحاطة الصفات ويكرم بكرامة الحلم والفضل بين الموجودين وانفصال الأول عن الأول وما انفصل عنه إلى متنهما وما ثبت فيه حكم ما قبل وما بعد وحكم من لا قبل له ولا بعد وعلم الإحاطة بكل علم ومعلوم ما بدا من السر الأول إلى متنهما ثم يعود إليه »^(٢) .

(١) « اليقين والجواهر في عقيدة الأكابر » (٨٣/٢) .

(٢) نفس المرجع (٧٩/٢) .

كما نرى في النص السابق فقد وصف أبو الحسن الشاذلي القطب بأوصاف لا تليق إلا بالله عز وجل وعلى هذا يعتبر المتصوفة القطب مساوياً لله سبحانه وتعالى في علمه وصفاته وتصرفة في هذا الكون وهذا غلو شديد يؤدي بمن يعتقد إلى الخروج كلية عن الإسلام لأن من يعتقد بأن القطب يتصرف بهذه الأوصاف المذكورة في النص السابق فقد اتخذه رباً وإلهًا مع الله وهذا شرك عظيم .

وبالجملة إذا نظرنا في النصوص السابقة كلها نخرج بنتيجة واحدة وهي أن المتصوفة يعتقدون بأن كل هذا الكون وتصريفه بيد القطب وكأنه الوزير النائب عن الله فلا يكون شيء في هذا الكون إلا عن طريق القطب الصوفي المزعوم والذي لا وجود له في الحقيقة وإنما وجوده في خيال المتصوفة فقط وليس له أصل لا في الكتاب ولا في السنة .

وبهذا نكتفي في مجال القطب وننتقل إلى المرتبة الثانية من المراتب التي وضعها الصوفية للأولياء وهي مرتبة البدلاء .

المرتبة الثانية : البدل أو البدلاء :

يعتقد الصوفية أن هناك رجالاً سبعة يقال لهم الأبدال يحفظون هذه الأقاليم السبعة أي القارات التي يعيش فيها هذا العالم وأن كل بدل مكلف بإقليم واحد يحفظه من كل سوء ويهمي .

وإليك نصوص من بطون كتبهم :

فقد قال محبي الدين بن عربي متحدثاً عن الأبدال :

« أما الأبدال فهم سبعة رجال من سافر منهم من موضع ترك على

صورته جسداً أي شبحاً يحيا ب حياته ويظهر بأعمال أصله » .

وقال أيضاً في مكان آخر :

« اعلم أن ثم رجالاً سبعة يقال لهم الأبدال يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل بدل إقليم وإليهم تنظر روحانيات السماوات السبع ولكل شخص منهم قوة منبعثة من روحانيات الأنبياء الكائنين في هذه السماوات وهم إبراهيم الخليل يليه موسى يليه هارون يتلوه إدريس يتلوه يوسف يتلوه عيسى يتلوه آدم سلام الله عليهم أجمعين »^(١) .

وقال ابن عربي أيضاً متحدثاً عن الأبدال :

« وهذه الجملة أي السبعة هم الأبدال وقالوا سموا أبدالاً لكونهم إذا مات واحد منهم كان الآخر بدلـه .

وقيل سموا بذلك لأنهم أعطوا من المقدرة والقوة أن يتركوا بدلـهم حيث يريدون لآخر يقوم في نفوسهم على علم منهم فإن لم يكن على علم منهم فليس من أصحاب هذا المقام فقد يكون من صلحاء الأمة وقد يكون من الأفراد »^(٢) .

وقال صاحب كتاب «معجم مصطلحات الصوفية في وصف الأبدال» :

« هم سبعة رجال فمن سافر منهم عن موضعه وترك جسداً على صورته حيا ب حياته ظاهراً بأعمال أصلـه بحيث لا يعرف أحد أنه فقد فذلك هو البـدل لا غير وهو في تلبـسه بالأجساد والصور على صورـته على قلب إبراهيم عليه السلام »^(٣) .

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٣٧٦/٢) .

(٢) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٤٠٠/٢) .

(٣) « معجم مصطلحات الصوفية » (ص ٩٢) .

وقال أبو عثمان القسيري : البدلاء أربعون والأمناء سبعة والخلفاء من الأئمة ثلاثة والواحد هو القطب فالقطب عارف بهم جميعاً ومشرف عليهم ولم يعرفه أحد ولا يترشّف عليه وهو إمام الأولياء فالثلاثة الذين هم الخلفاء من الأئمة يعرفون السبعة ويعرفون الأربعين وهم البدلاء والأربعون يعرفون سائر الأولياء من الأئمة ولا يعرفهم من الأولياء أحد فإذا نقص واحد من الأربعين أبدل مكانه من الأولياء «^(١)».

المرتبة الثالثة : مرتبة الوتد أو الأوتاد :

يعتقد الصوفية بأن هناك مرتبة للأولياء تسمى الأوتاد ويعتقد المتصوفة بأن هؤلاء الأوتاد يحفظون هذا الكون الذي نعيش فيه .

قال صاحب « معجم مصطلحات الصوفية » عن الأوتاد :

« الأوتاد هم أربعة رجال منازلهم على منازل الجهات الأربع من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة ويحفظ الله بهم تلك الجهات لكونهم مجال نظره تعالى والولي يتورّ بصورهم فيكلم الناس في الباطن والظاهر ويخبرهم «^(٢)» .

وقد تحدث محبي الدين بن عربي عن الأوتاد فقال :

« وأما حديث الأوتاد الذين يتعلّق معرفتهم بهذا الباب فاعلم أن الأوتاد الذين يحفظ الله بهم للعالم أربعة لا خامس لهم وهم أخص من الأبدال والإمام أخص منهم والقطب هو أخص الجماعة » .

ثم قال في وصف الأوتاد :

(١) « معجم مصطلحات الصوفية » للدكتور عبد المنعم الحقي (ص ٩٢) .

(٢) نفس المرجع (ص ٢٤) .

« واعلم أن هؤلاء يحوزون على علوم جمة كثيرة فالذى لابد لهم من العلم به وبه يكونون أتواها فما زاد من العلوم فمنهم من نه خمسة عشر علمًا ومنهم من له ولا بد ثمانية عشر علمًا ومنهم من له واحد وعشرون علمًا ومنهم من له أربعة وعشرون علمًا .

ولكل وجهة وتد يشفع يوم القيمة فيمن دخل عليه إبليس من

(١) جهته» .

المرتبة الرابعة : من المراتب التي ابتدعها المتصوفة للأولياء مرتبة الأفراد :

وقد تكلم محيي الدين بن عربي عن الأفراد وأطال الحديث عنهم

فقال :

« أما الأفراد فهم الخارجون عن دائرة القطب وهم الذين على بيته من ربهم وهم في هذه الأمة بمنزلة الأنبياء في الأمم الخالية » .

وقال في وصفهم أيضًا :

« الأفراد لهم الأولوية في الأمور فالإنكار ليس من شأنهم فإن لهم الأولية في الأمور فهم ينكر عليهم ولا ينكرون » .

قال الجنيد :

« لا يبلغ أحد درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق وذلك لأنهم يعلمون من الله ما لا يعلمه غيرهم » .

ثم قال : « الأفراد هم أصحاب العلم الباطن » (٢) .

(١) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٤٠١/٢) .

(٢) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٢٤٤/٣) .

وكما نلاحظ في النص السابق أصحاب هذه المرتبة من مراتب الأولياء لا يخضعون لحكم القطب بل هم خارجون عنه وأن من صفاتهم لا ينكرون المنكر وأنه لا يبلغ أحد هذه الدرجة حتى ينكر عليه الصديقون أفعاله لأنه مخالف لأحكام الشريعة وهو يفعل ذلك لأنه عنده علم الحقيقة الذي لا يعلمه إلا من وصل هذه الدرجة إلا وهي درجة الانحلال الكلي ورمي الشريعة جانبياً والعمل حسب ما يأمرهم به علمهم الباطن الذي تلقوه عن إبليس قائهم الكبير إلى مخالفة أمر الله وعصيائه والعمل على إضلال عباده.

المرتبة الخامسة : من المراتب التي ابتدعها المتصوفة للأولياء مرتبة النقباء :

ولقد عرف النقباء صاحب كتاب « معجم مصطلحات الصوفية » فقال : « أما النقباء فهم الذين استخرجوا خبايا النفوس وأشرفوا على الضمائر لتحقّقهم بالعبودية »^(١).

إذاً النقباء هم الذين يعرفون ما في الضمائر ومعنى ذلك هم الذين يعلمون الغيب .

المرتبة السادسة : من المراتب التي وضعها الصوفية مرتبة النجباء
وقد عرفهم صاحب كتاب « معجم مصطلحات الصوفية » بما يلي

قال :

« أما النجباء فهم أربعون شخصاً مشغولون بحمل أثقال الخلق فلا

(١) « معجم مصطلحات الصوفية » لحقي (ص ٢٥٨).

يتصرفون في حق أنفسهم بل في حق غيرهم »^(١) .

المرتبة السابعة : من المراتب التي وضعها الصوفية وابتدعوها من عند أنفسهم مرتبة الأئمة :

وقد تحدث محيي الدين بن عربي عن هذا عند المتصوفة فقال :

« أما الأئمة فهما إمامان أحدهما عن يمين القطب ونظره في عالم الملائكة وأسمه عبد الرب والأخر عن يساره ونظره في عالم الملك وأسمه عبد الملك وهو الذي يخلف القطب إذا درج »^(٢) .

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن المتصوفة يقصدون بلفظ الأئمة الإمامين اللذين يجلسان عن يمين القطب ويساره وهذا حسب زعمهم وإلا فلا وجود أصلاً للقطب المزعوم فضلاً عن أن يكون له إمامان يجلسان بجنبيه .

وهناك درجة أخرى من الدرجات التي وضعها المتصوفة لمن يسمونهم أولياء الله وهي مرتبة المجاذيب .

وقد تحدث صاحب كتاب « عوارف المعارف » على هذه المرتبة فقال :

المجدوب المجرد : وهو الذي يبادئه الحق بآيات اليقين ويرفع عن قلبه شيئاً من الحجاب ولا يؤخذ في طريق السلوك والمعاملة وهذا لا يؤهل المشيخة .

(١) « معجم مصطلحات الصوفية » لحقي (ص ٢٥٥) وكذلك « الفتوحات المكية » (٣/٢٤٤).

(٢) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٣/٢٤٤).

وهناك درجة السالك المتدارك وهو الذي كانت بدايته المجاهدة والمكافحة والمعاملة بالإخلاص والوفاء بالشروط ثم أخرج من وهج المكافحة إلى روح الحال فوجد العسل بعد العلقم . وتروح بنسمات الفضل وبرز من مضيق المكافحة إلى متسع المساهلة وأونس بنفحات القرب وفتح له باب المشادة فوجد دواعه وفاض وعاؤه وصدرت منه كلمات الحكمة ومالت إليه القلوب وتولى عليه فتوح الغيب ومثل هذا يؤهل للمشيخة .

وهناك المجنوب المتدارك بالسلوك وهو الذي يبادئه الحق بأنوار الكشف وأنوار اليقين ويرفع عن قلبه الحجب ويستنير بأنوار المشاهدة وينشرح وينفسح قلبه ويتجافى عن دار الغرور وينصب إلى دار الخلود ويرتوى من بحر الحلال ويتخلص من الأغلال والأعلال ويقول معلناً :

« لا أعبد ربياً لم أره ثم يفيض من باطنه على ظاهره وتجري عليه صورة المجاهدة والمعاملة من غير عناء ومكافحة بل بلذادة وهناء ويصير قالبه بصفة قلبه لاملاء قلبه بحب ربها ويلين جلدته كما لان قلبه وعلامة لين جلدته إجابة قالبه للعمل كإجابة قلبه . . . ويصح أن يقول : لو كشف الغطاء ما أزدت يقيناً فعند ذلك يطلق من وثائق الحال ويكون مسيطرًا على الحال . . وتصير عبادته مشاكلاً لعبادة الملائكة وهذا هو الشيخ المطلق والعارف المحقق والمحبوب المعتقد نظره دواء وكلامه شفاء »^(١) .

والخلاصة التي توصلنا إليها من خلال كلامنا عن مراتب الصوفية التي وضعوها للأولياء هو أن الصوفية كونوا مملكة بشرية وهمية وزعموا أن هذه المملكة هي التي تسير هذا الكون بكامله فلا يقع في هذا الكون أمر من

(١) « عوارف المعارف » للسهروري الملحق بكتاب « الإحياء » (ص ٥٧) .

الأمور إلا عن طريق هذه المملكة المزعومة وأن هذه المملكة لها التصرف المطلق في هذا الكون فهي التي تحفظه من المهالك وعن طريقها يرزق كل ما في هذا الكون وهذا واضح جداً في النصوص السابقة التي أوردتها عن أئمة التصوف وبهذا نصل إلى نتيجة واحدة وهي أن المتتصوفة يعتقدون بأن هناك بشراً شركاء لله في تدبير هذا الكون وتسيره والحقيقة فيما أعلم هذا شرك انفرد به المتتصوفة من بين الفرق والطوائف بل وأصحاب الأديان المختلفة وذلك لأنك حتى الكفار الذين بعث إليهم الرسول محمد ﷺ لم يكونوا يقولون أن الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله لها المشاركة مع الله في التصرف في هذا الكون وإنما كانوا يقولون إنها وسائل فقط ولذا نقول فاق المتتصوفة المشركين الأوائل في الشرك بالله وسائل هذا الموضوع توضيحاً فيما يلي بإيراد حكايات عن أئمة التصوف ثبت لنا أن المتتصوفة يعتقدون بأن مشائخهم لهم التصرف الكامل في هذا الكون .

ثانياً : ذكر نماذج من نصوص من بطون كتب الصوفية التي ألفها أئمة جهابذة عندهم ثبت لنا أن الصوفية بالفعل يعتقدون أن الأولياء يتصرفون في الكون

لقد بينما فيما سبق في الفقرة الأولى مررت الأولياء ووظائفهم عند الصوفية وأثبتنا بإيراد نصوص من بطون كتبهم بأنهم يعتقدون أن هذا الكون تسيره مجموعة من البشر أطلق عليهم المتتصوفة الألقاب التي ذكرناها وأنه لا يقع في هذا الكون أي أمر إلا عن طريق هؤلاء الأولياء المزعومين^(١) والآن في هذه الفقرة نريد أن نبين ونوضح أكثر بإيراد حكايات من بطون كتبهم لكي ثبت ونؤكد ونوضح أكثر اعتقاد المتتصوفة التصرف المطلق للأولياء في هذا

(١) انظر (ص ٦٤٨ - ٦١٨) .

الكون وحتى نقطع الحجة على كل متنطبع صوفي تسول له نفسه أن يقول أن هذا لم يقله المتصوفة وإنما هو مفترى عليهم.

والآن أشرع في سرد جملة يسيرة من تلك الحكايات :

يقول يوسف النبهاني في معرض حكاياته لكرامات الأولياد أن عبد الله ابن علوى ابن الأستاذ الأعظم من كراماته أن رجلاً أنسد أبياتاً تتعلق بالبعث والحساب فتوارد صاحب الأبيات وخر مغشياً عليه فلما أفاق قال للرجل أعد الأبيات فقال الرجل بشرط أن تضمن لي الجنة فقال : ليس ذلك إلى ولكن اطلب ما شئت من المال فقال الرجل : ما أريد إلا الجنة وإن حصل لنا شيء ما كرهنا فدعا له بالجنة فحسنت حالة الرجل وانتقل إلى رحمة الله وشيعه السيد عبد المذكور وحضر دفنه وجلس عند قبره ساعة فتغير وجهه ثم ضحك واستبشر فسئل عن ذلك فقال : إن الرجل لما سأله الملكان عن ربه قال شيخي عبد الله بن علوى فتعمت لذلك فسلاه أيضاً فأجاب بذلك فقال مرحباً بك وبشيخك عبد الله يا علوى قال بعضهم هكذا ينبغي أن يكون الشيخ يحفظ مرいでه حتى بعد موته^(١).

والشاهد في النص أن المتصوفة يعتقدون أن معرفة شيخ الطريقة من الطرق الصوفية تغني عن معرفة الله ورسوله وأنه كفيل لكي ينجي مرいでه عذاب النار ويدخله الجنة وأن شيخ أي طريقة صوفية يستطيع أن يحفظ مرいでه حياً وميتاً وعلى هذا فلا حاجة للتعب والجهد في تلاوة كتاب الله ومعرفة معانيه ولا في دراسة سنة رسوله محمد ﷺ وهذه دعوى صريحة للقضاء على الدين الإسلامي كله وتحويل البشرية إلى عبادة البشر الذين يطلق عليهم المتصوفة أنهم أولياء .

(١) « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (٢٤٤ / ٢ - ٢٤٥).

وقال النبهاني أيضًا :

« و منهم الشيخ عبد الله أحد أصحاب سيدى عمر النبى كتب لي أنه رأى بحضور رسول الله وهو يقول للإمام علي بن أبي طالب ألبس عبد الوهاب الشعراوى طاقىٰ هذه وقل له يتصرف في الكون فما دونه مانع »^(١) .

والشاهد في النص كما هو واضح ولا يحتاج إلى شرح وإيضاح هو أن

رسول الله ﷺ قال للشعراوى :

« تصرف في هذا الكون وأنه ليس هناك أي مانع يمنعه من التصرف فيه ومعنى ذلك أن المتصوفة يعتقدون أن الأولياء يتصرفون في هذا الكون وهذا شرك بالله تعالى لم يصل إليه المشركون الأوائل الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ » .

وقال النبهاني أيضًا :

« قال عبد الله الياافعي الغوث^(٢) : روى عن بعض الكبار أنه طلب منه بعض الناس أن يدعوه له الله تعالى أن يرزقه ولدًا ذكرًا فقال : إن أحببت ذلك فسلم للفقراء مائة دينار فسلم إليه ذلك ثم جاء بعد ذلك بمدة وقال له : يا سيدى وعدتني بولد ذكر وما وضعت امرأتك إلا أنثى فقال له الشيخ : الدنانير التي سلمتها ناقصة فقال : يا سيدى ما هي ناقصة إلا شيئاً يسيرًا فقال له الشيخ : ونحن أيضًا ما أنقصناك إلا شيئاً يسيرًا فإن

(١) « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (٢٧٥/٢) .

(٢) هو عفيف الدين بن عبد الله الياافعي اليمني وهو يعتبر من كبار مشائخ الصوفية توفي ٧٦٨ هـ .

أحببت أن نوفي لك فأوف لنا فقال : نعم يا سيدى ثم ذهب وعاد إليه بتوفية ذلك النصان فقال له الشيخ : اذهب فقد أوفيناك كما أوفيت فرجع إلى منزله فوجد غلاماً بقدرة الله تعالى وإكراماً لأوليائه عز وجل^(١).

والشاهد في النص أن المتصوفة يعتقدون أن الأولياء لهم التصرف مع الله في هذا الكون وأنهم باستطاعتهم أن يعطوا الأولاد حسب الطلب بل ويستطيعون تغيير الأنثى إلى ذكر كما فعل هذا الولي الذي أورد عنه هذه الحكاية وتركها هكذا بلا تعليق ومعنى ذلك أنهم يؤمنون ويدينون ويعتقدون في الأولياء أن لهم القدرة على التصرف في هذا الكون وهذا مخالفة صريحة لما جاء في كتاب الله حيث أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأنه هو وحده المعطي للأولاد ذكوراً وإناثاً وأنه يجعل البعض عقيماً لحكمة يعلمهها الله سبحانه وتعالى ويتبصر لنا هذا في قوله سبحانه : ﴿يَهْبِ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهْبِ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ٤٩﴾ أو يزوجهم ذكوراً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عَلِيمٌ قادرٌ^(٢).

ومن هنا نقول إن الاعتقاد بأن أحداً ما من المخلوقات كائناً من كان باستطاعته إعطاء الأولاد يعتبر شركاً صريحاً بالله سبحانه وتعالى وذلك لأن من العقائد الضرورية المعلومة لدى جميع المسلمين الذين سلموا من خرافات الصوفية ومتاهاتهم أن التصرف في هذا الكون هو لله وحده لا شريك له ولا يشركه في هذا لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا جني ولا ولی من أولياء الله الحقيقيين فضلاً عن أن يشركه فيه دجاجلة المتصوفة وقال

(١) «نشر المحسن الغالية» (ص ٢٢).

(٢) الشورى : (٤٩ - ٥٠).

النهاني أيضًا : « ومن جملة القصص المشهورة أن الفقيه إسماعيل الحضرمي رضي الله عنه أنه قال يوماً لخادمه وهو في سفر يقول للشمس تقف حتى يصل إلى منزله وكان في مكان بعيد وقد قرب غروبها فقال لها الخادم قال لك الفقيه إسماعيل قفي له فوققت حتى بلغ مكانه ثم قال للخادم ما تطلق ذلك المحبوس فأمرها الخادم بالغروب فغربت وأظلم الليل في الحال »^(١) .

ثم ذكر بأن بعض المتصوفة قال :

« لا يكون الشيخ شيخاً حتى يمحو خطيئة تلميذه من اللوح المحفوظ وقال آخر منهم منكراً لهذا القول المذكور :

« لو كان شيخاً ما غفل عن تلميذه حتى وقع في الخطيئة »^(٢) .

والشاهد من النصين السابقين واضح جداً حيث إن الولي الأول أوقف الشمس عن السير ثم أطلق سراحها ولم يوقفها بنفسه بل أمر تلميذه أن يقول لها إن الشيخ يأمرك أن تقفي ، فوقفت وهذا اعتقاد تصرف لغير الله في هذا الكون .

أما النص الثاني فالشاهد فيه أن المتصوفة يعتقدون بأن الأولياء لهم التصرف الكامل حتى أنهم يستطيعون أن يمحو الخطايا والذنوب التي وقع فيها أتباعهم من اللوح المحفوظ ورأى أحد المتصوفة أن وقوع مريء في الذنب يعتبر نقصاً في شيخه وذلك لأنه لو كان شيخاً حقيقة لما وقع مريء في الخطيئة ومعنى ذلك أن الولي يحفظ مريءه من الواقع في المعاصي ويعصمه وهذه عقائد فاسدة وذلك لأن فيها دعوى بأن البشر لهم حق التصرف في هذا الكون .

(١) « نشر المحسن الغالية » (ص ٣٣) .

(٢) « نشر المحسن الغالية » (ص ٦٨) .

وقال النبهاني :

« عبيد أحد أصحاب الشيخ حسين كان له خوارق مدهشة ومنها أنه كان يأمر السحاب أن يمطر فيمطر لوقته وكل من تعرض له بسوء قتله في الحال دخل مرة الجعفرية فتبعد نحو خمسين طفلاً يضحكون عليه فقال : يا عزرايل إن لم تقبض أرواحهم لأعزلك من ديوان الملائكة فأصبحوا موتى أجمعين وقال له بعض القضاة : اسكت فقال له : اسكت أنت فخرس وعمي وصم وسافر في سفينة فوحلت ولم يمكن تقويمها فقال : اربطوها بخيط في بيضي ففعلوا فجرها حتى خلصها من الوحول »^(١).

وقال أيضاً : « زين العابدين بن عبد الرءوف المناوي من أكابر الأولياء وأعيان الأصفiae . . . حدث الحمصاني وهو أحد المشايخ العارفين قال : رأيت طعيمة الصعيدي المصري وهو من أكابر الأولياء في علم الأرواح وأمامه إنسان كالنور أو نور كالإنسان قلت : ما هذا قال زين العابدين المناوي وقد وكل بأهل البرزخ »^(٢).

وقال أيضاً : « عبد الرحمن بن أحمد الجامي ، ومن كراماته أنه جلس في زمن الربيع على شاطئ نهر ملآن وإذا بقنفة ميتة قد أقبلت على وجه الماء فأخذها مولانا الجامي ومسح بيده ظهرها فظهر أثر الحياة فيها ثم لما توجهنا جهة المدينة أقبلت تسعى خلفنا »^(٣).

(١) « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (٢٨٦/٢).

(٢) « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (٨٤/٢).

(٣) « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (٢٥٤/٢).

والشاهد في النصوص السابقة واضح جداً فقد زعم النبهاني في النص الأول أن ذلك الولي الصوفي كان يأمر بنزل المطر فتمطر وأنه كان يقتل فوراً كل من يتعرض لهسوء حالاً وأنه أمر ملك الموت أن يقتل أربعين طفلاً ضحكوا عليه فقبض أرواحهم .

أما في النص الثاني فقد زعم فيه النبهاني أن زين العابدين موكل بأهل البرزخ .

وأما في النص الثالث فقد زعم فيه النبهاني أن الجامي الولي الصوفي أحيا الميت .

وهذه كلها نخرج منها بنتيجة واحدة وهي أن المتصوفة يعتقدون بأن الأولياء لهم التصرف المطلق في هذا الكون وذلك لأن هذه الأمور التي أوردها النبهاني لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى أما غيره من المخلوقات فليس هذا من اختصاصاتهم ومن ادعى أن المخلوق له التصرف مع الله في هذا الكون فقد وقع في الشرك الذي لا يغفر لصاحبه إلا إذا تاب منه .

وقال الشعراوي وهو يتحدث عن الأولياء ومقدرتهم على التصرف عند المتصوفة :

« ومنهم سيدنا ومولانا شمس الدين الحنفي رضي الله عنه كان رضي الله عنه من أجلاء مشائخ مصر وسادات العارفين صاحب الكرامات الظاهرة والأفعال الفاخرة والأحوال الخارقة والمقامات السنوية . . . وكان رضي الله عنه يأمر من يراه من أصحابه عنده شهامة نفس بالشحاته من الأسواق وغيرها . . . وكان سيدني بن علي بن وفا رضي الله عنه يوماً في وليمة فاستأذن عليه الشيخ محمد الحنفي فقام له وأجلسه فدار الكلام بينهما فقال

سيدى على ما تقول في رجل رحى الوجود بيده يدورها كيف شاء فقال له
 سيدى محمد رضي الله عنه فما تقول فيمن يضع يده عليها فيمنعها أن تدور
 فقال له سيدى علي : والله كنا نتركها لك ونذهب عنها فقال محمد رضي
 الله عنه لجماعة سيدى علي : ودعوا صاحبكم فإنه يتقل قريباً إلى الله
 تعالى فكان الأمر كما قال وكان يتطور في بعض الأوقات حتى يملأ الخلوة
 بجميع أركانها ثم يصغر قليلاً قليلاً حتى يعود إلى حالي المعتادة . . .
 ومرضت زوجته فأشرفت على الموت فكانت تقول يا سيدى أحمد يا بدوى
 خاطرك معي فرأيت سيدى أحمد رضي الله عنه في المنام وهو ضارب لثامين
 . . . وقال لها كم تناذيني وتستغيشي وأنت لا تعلمي أنك في حماية رجل من
 الكبار المتمكنين ونحن لا يخيب من دعانا وهو في موضع أحد من الرجال
 قولى يا سيدى محمد يا حنفى يعافيك الله تعالى فقالت ذلك فأصبحت لأن
 لم يكن بها مرض .

ودخلت على الشيخ يوماً أميراً فوجدت حوله نساء الخاص تكبسه
 فأنكرت بقلبها عليه فلحظها الشيخ بعينه وقال لها انظري فنظرت فوجدت
 وجوههن عظاماً «^(١)» .

والشاهد في النص واضح حيث أن كلا الزعيمين الصوفيين ادعيا أنهما
 يتصرفان في هذا الكون حيث ادعى أحدهما أن رحى هذا الوجود بيده يدورها
 كيف شاء .

وادعى الآخر أنه باستطاعته بوضع يده فقط على كل الموجودات في

(١) «الطبقات الكبرى» للشغراني (٨٨/٢) وما بعدها وكذلك «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني (٢٦١/١) .

هذا الكون أن يوقفه عن الحركة والدوران .

ومعنى هذا أن المتصوفة يزعمون بأن الأولياء لهم التصرف الكامل في هذا الكون بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان .

وهناك شواهد كثيرة في النص منها زعم أحمد الرفاعي أنه لا يخيب من دعاه وأن امرأة دعت محمد الحنفي فبرئت في الحال وأن امرأة دخلت عليه فوجدت عنده نساء فأنكرت هذا الفعل بقلبها فقط فأنكرت عليه فعرف الشيخ منها هذا الإنكار وأمرها بالنظر إلى تلك النسوة فرأته وجوههن عظاماً لا لحم فيها وهذه كلها فيها ادعاءات على أن الأولياء لهم التصرف في هذا الكون وما داموا كذلك فلا ينكر عليهم أيضاً مهما وقعوا في منكرات من الأعمال وإنما فقد عرض نفسه للخطورة كل من يريد أن ينكر عليهم .

وقال الشعراي وهو يتحدث عن الأولياء عند المتصوفة :

« ومنهم الشيخ مدين بن أحمد الأشموني . . . كان من أكابر العارفين وانتهت إليه تربية المربيين في مصر وقرابها وتفرعت عنه السلسلة المتعلقة بطريقه أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه وجاءته رضي الله عنه امرأة فقالت : هذه ثلاثة ديناراً أو تضمن الجنة ، فقال لها الشيخ رضي الله عنه مباسطاً لها : ما يكفي ، فقالت : لا أملك غيرها فضمن لها على الله دخول الجنة فماتت فبلغ ورثتها ذلك فجاءوا يطلبون ديناراً من الشيخ وقالوا : هذا الضمان لا يصح فجاءتهم في المنام وقالت : اشكروا لي فضل الشيخ فإني دخلت الجنة فرجعوا عن الشيخ »^(١) .

والشاهد في النص واضح حيث إنه ضمن لها الجنة وأدخلها فيها وهذا

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراي (١٠١/٢) و « جامع التبهاني » (٤٣٦/٢) .

فيه ادعاء على أن الأولياء لهم التصرف في الدنيا والآخرة ونحن نقول لا يستطيع أحد أن يدخل الجنة بعمله الصالح إلا أن يتغمده الله برحمته فضلاً عن أن يدخل الجنة عن طريق شيخ دجال وقد قال الرسول ﷺ وهو أفضل الخليقة على الإطلاق «لا يدخلن أحدكم بعمله الجنة» فقالوا : ولا أنت يا رسول الله قال : «ولا أنا إلا أنا إن يتغمدني الله برحمته»^(١).

فإذا لم يضمن الرسول الجنة لنفسه فكيف بغيره دعوى إدخال الجنة وضمانها لأحد من الخلق .

وقال الشعراي أيضاً :

« ومنهم الشيخ الخضرى رضي الله عنه المدفون بناحية نها بالغربيه وضريحه يلوح من بعد من كذا وكذا بلداً ... وكان يقول لا يكمل الرجل حتى يكون مقامه تحت العرش على الدوام وكان يقول الأرض التي بين يدي كالإنسان الذي أكل منه وأجساد الخلق كالقوارير أرى ما في بوطنهم توفي رضي الله عنه سنة سبع وتسعين وثمانمائة رضي الله عنه»^(٢).

والشاهد في النص السابق واضح حيث ادعى الرجل بأن الرجل لا يكون كاملاً حتى يكون مقره الدائم تحت عرش الله وأن هذه الأرض التي نعيش فيها هي بين يديه كالإنسان وأنه يرى ويشاهد كل ما في ضمائر الخلق فلا تخفي عليه خافية وهذه الأمور التي ادعها لا تليق إلا بالله وبما أن الصوفية قالوا : إن الأولياء لهم المقدرة على التصرف في هذا الكون فلا مانع لديهم أن يصفوهم بهذه الأوصاف لأنهم يعتقدون أن الأولياء شركاء لله

(١) سبق تحريرجه انظر (ص ٤٨١).

(٢) « الطبقات الكبرى » للشعراي (١٠٦/٢).

في التصرف في هذا الكون .

وحكى أبو طالب المكي وأبو حامد الغزالى وغيرهما :

« أن أبا تراب النخبي كان معجباً ببعض المریدين فكان يدنسه ويقوم بمصالحة والمرید مشغول بعبادته ومواجهته فقال أبو تراب يوماً : لو رأيت أبا يزيد فقال : إنني عنه مشغول فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله لو رأيت أبا يزيد هاج وجذ المرید فقال ويحك ما أصنع بأبي يزيد قد رأيت الله تعالى فأغناي عن أبي يزيد قال أبو تراب : فهاج طبيعي ولم أملك نفسي فقلت : ويلك تعتر بالله عز وجل لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أفع لك من أن ترى الله سبعين مرة فبعث الفتى من قوله وأنكره فقال : وكيف ذلك؟! قال له ويلك أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك وترى أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت^(١) .

فالنص السابق يحتوي على عقائد كثيرة باطلة منها ادعاء الصوفي أنه رأى الله في الدنيا وهذا لم يكن للأنباء فكيف حصل لهذا الصوفي المحرف؟! ثم تفضيل أبي تراب رؤية أبا يزيد على رؤية الله واعتباره الاعتزاز برؤية الله غروراً وأخيراً النص فيه القول بعقيدة الحلول وهذه كلها عقائد باطلة بعيدة عن الإسلام كل البعد .

وحكى أبو القاسم القشيري أن شقيقاً البلخي وأبا تراب النخبي قدما على أبي يزيد البسطامي فقدمت السفرة وشاب يخدم أبا يزيد فقالا له : كل معنا يا فتى فقال : أنا صائم فقال أبو تراب : كل ولك أجر صوم شهر فأبى فقال له شقيق : كل ولك أجر صوم سنة فأبى فقال أبو يزيد : دعوا من سقط

(١) « قوت القلوب » لأبي طالب المكي (١٣٩/٢) و« الإحياء » (٤/٣٥) .

من عين الله فأخذ ذلك الشاب في السرقة بعد سنة فقط قطعت يده ^(١)

والشاهد في النص هو أن المتصوفة يعتقدون أن الأولياء يستطيعون إعطاء الأجور بضعف مضاعفة لكل من أطاع أوامرهم ولو كان ما يأمرون به تلاميذهم مخالفًا لشرع الله وإن كل من خالف أوامرهم فالخاتمة السيئة له حتمية لا مفر منها كما حصل لهذا الخادم المسكين الذي خالف أوامر شيخه وأطاع ربه ونحو نقول : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فالواجب على المسلم أن يطيع الله ورسوله ولا يطيع أحدًا غيرهما إلا إذا أمره بمعرفة أما إذا أمره بمنكر كما حصل لهذا التلميذ فعليه أن يعصيه كائناً من كان فليس عندنا نحن المسلمين الطاعة المطلقة إلا لله ولرسوله أما الآخرون من المخلوقات فلا طاعة لهم إلا إذا دعوا إلى طاعة الله ورسوله .

وكذلك نقول : إن توزيع الأجور ليس بيد أحد غير الله سبحانه وتعالى فهو الذي يثيب عباده على أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا خالصة له سبحانه أما غيره من المخلوقات فلا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا فضلاً عن أن يملكه لغيره ويوزع الأجور .

وقال السيد إبراهيم الأعزب قدس سره :

«حضرت في بعض الأيام عند السيد أحمد الرفاعي قال : أي فقراء الشيخ عثمان السالم أبيادي قدس سره يصعد كل يوم عند غروب الشمس إلى ديوان الربوبية وينظر ديوان ذريته فما يجد من سيئة يمحها ويكتب عوضها بلا معارضة قال السيد إبراهيم الأعزب فأخذتنى الغيرة من ذلك فالتفت إلى السيد أحمد الرفاعي وقال أي إبراهيم لا يكون الرجل ممكناً في سائر أحواله حتى يعرض عليه عند غروب الشمس جميع أعمال أصحابه وأتباعه وتلاميذه

(١) « الرسالة القشيرية » لأبي القاسم القشيري (٢/١٣٥).

بالقرب والبعد فيمحو منها ما يشاء ويثبت فيها ما يشاء بكرم الله ولطفه أي إبراهيم لا يكون الشيخ شيخاً كاملاً فيسائر أموره وأحواله وأقواله وأفعاله ولا يصح له الجلوس في المخدة حتى يحضر عند تلميذه في أربعة مواضع عند خروج روحه من جسده وعند مسألة منكر ونکير له وعند جوازه على الصراط والميزان «^(١)».

والشاهد في النص واضح حيث ادعى تلامذة عثمان السالم بأن شيخهم يصعد إلى الديوان الذي تكتب فيه الحسنات والسيئات فينظر فيه ويمحو منه الذنوب التي وقعت فيه ذريته ويسجل بدلها حسنات في سجلاتهم .

وهناك شاهد ثان في النص وهو أن أحمد الرفاعي ادعى أن الإنسان لا يبلغ المشيخة الحقيقة إلا إذا عرضت عليه أعمال مریديه يومياً عند غروب الشمس فيمحو منها ما يشاء ويثبت منها ما يشاء .

وهناك شاهد آخر وهو أن أحمد الرفاعي زعم بأن الشيخ لا يكون شيخاً حقيقة إلا إذا استطاع أن يحضر مریده في أربعة أحوال وهي عند خروج روحه من جسده وعند مسألة منكر ونکير له وعند جوازه على الصراط المستقيم .

وهذه كلها أشياء لا تليق إلا بالله سبحانه وتعالى كما نرى وقد ادعها المتضوف لأنفسهم فهل هم شركاء لله في التصرف في هذا الكون !! فغفران الذنوب لا يستطيع عليه أحد إلا الله سبحانه وتعالى ويدل على هذا قول الله عز وجل : ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٢).

وكذلك المحظوظ والإثبات لا يكون لأحد إلا لله ويدل على هذا قول الله

(١) « قلادة الجواهر » (ص ١٩٣) .

(٢) آل عمران : (١٣٥) .

عز وجل : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١).

ثم إن حضور الشيخ في الصور المذكورة لا يغني شيئاً عنه ومع ذلك فهذه الدعوى كاذبة لا أساس لها من الصحة فالشيخ بشر كغيره لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً والمتصوفة لم يقصدوا من سرد هذه القصص المكذوبة سوى دعوة الناس إلى عبادة البشر وترك عبادة الله سبحانه وتعالى وقد فعلوها فأوقعوا كثيراً من الأمة الإسلامية في أعمال شركية .

وهذا أحمد التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية يجيب على إحدى الرسائل التي أرسلها إليه أحد مریديه فيقول :

« وأما ما طلبت من الضمان في المعرفة بالله من كونها صافية من اللبس ممزوجة حقيقتها بالشريعة فإن أمرها لا يكون إلا كذلك لا غير ... وأنا لك ضامن أن لا تسأل ما دمت في محبتنا وكل ما دونه من دخول الجنة بلا حساب إلى ما وراءه وما قبله وسامحتك فيما لا تعلمه مما مقتضاه سوء الأدب وأما السورة فتدأومها (١١٠٠) مرة كل يوم أو كل ليلة مختلياً وحدك وقت ذكرها فقط ويدؤها أن تقرأ الفاتحة مرة وصلة الفاتح لما أغلق مرة وتهدي ثوابها لأهل النوبة في ذلك اليوم من الأولياء والأحياء ثم تقوم وتقف مستقبلاً وتندادي : « دستور يا أهل النوبة جبهتي تحت نعالكم ثم تقرأ الفاتحة مرة وتهدي ثوابها لروح الشيخ عبد القادر والشيخ أحمد الرفاعي وجميع الأولياء الغائبين والحاضرين ثم تقرأ الفاتحة مرة وتهدي ثوابها لروح سيدنا محمد ﷺ ثم تسأل المدد »^(٢) .

والشاهد في النص واضح حيث إن أحمد التيجاني زعم بأن مریده الذي

(١) الرعد (٣٩) .

(٢) « كشف الحجاب » (٨٥ - ٨٦) .

أرسل إليه الرسالة لا يسلب منه الإيمان ما دام في محبة التيجاني وضمن له دخول الجنة بلا حساب وضمن له كل شيء ما قبل دخول الجنة وما بعد دخولها وهذا يدل دلالة واضحة وصريحة على أن مشائخ المتصوفة يزعمون بأن لهم المقدرة في التصرف في الدنيا والآخرة وكذبوا والله لا يستطيعون أن يضمنوا الجنة لأنفسهم فضلاً عن أن يضمنونها لاتباعهم ولكن الهوى والكذب والدجل والافتراء على الله وعدم الخوف منه سبحانه لأنهم لم يقدروه حق قدره فتجرءوا على هذا الادعاء الخالي من الصحة .

ويقول محمد بهاء الدين البيطار^(١) :

فإن الكامل في وقته مظهر هذه الأسماء الثلاثة التي هي الله الرحمن الرحيم ، بل مظهر أسماء الله على الكمال القائم بحقيقة الجمال والجلال قيل لبعضهم كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت أحبي وأميت وأنا على كل شيء قدير .

ويقول أيضاً في مكان آخر :

« ... وكان هذا مقام أبي السعود تلميذ الغوث الجيلاني فإنه قيل له : هل أعطاك الله التصرف في العالم ؟ فقال : نعم منذ خمس عشرة سنة وتركته للحق تعالى تظرفاً قال الشيخ الأكبر ، ونحن تركناه أدباً ومعرفة »^(٢) .

إذا نظرنا في النصين السابقين نجد أن محمد بهاء الدين البيطار زعم في النص الأول بأن العارف في وقته يجوز أن يطلق عليه الله والرحمن والرحيم

(١) هو محمد بهاء الدين البيطار الشامي الميداني خادم الطريقة الرشيدية الأحمدية ومن كتبه « النفحات الأقدسية في الصلوات الأحمدية الدرديرية » انظر غلاف كتاب « النفحات الأقدسية » ولم أجده له ترجمة في كتب الترجم .

(٢) « النفحات الأقدسية » (ص ٦ - ٧) .

لأنه مظهر من مظاهر الله أي قد حل فيه الله ولذا فلا حرج أن يقال له أنت الله أو أنت الرحيم أو أنت الرحمن لأنه قد أصبح إليها ولذا صح لبعضهم أن يدعى بأنه أصبح يحيي ويميت وهو على كل شيء قادر .

ثم زاد الأمر وضوحاً في النص الثاني حيث زعم البيطار أن هذا المقام مقام أبي السعود تلميذ عبد القادر الجيلاني حيث زعم بأن أبوا سعود أعطاه التصرف في الكون وتركه تظروفاً مع الله حتى لا يشاركه في تصريف أمور الكون مع قدرة أبي السعود على التصرف في الكون حسب زعم المتتصوفة .

ونحن نقول : إنه لا يستطيع أحد التصرف في هذا الكون بل المتصرف الوحيد في هذا الكون هو الله سبحانه وتعالى وكل من زعم أن أحداً من المخلوقات شريك لله في التصرف في هذا الكون فقد افترى على الله الكذب .

ويقول أحمد التيجاني :

« ليس لأحد من الأولياء أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب إلا أنا وحدي ولو بلغوا ما بلغوا من الذنوب وعملوا ما عملوا من المعاصي وأما سائر ساداتنا الأولياء رضي الله عنهم فيدخلون الجنة أصحابهم بعد الحساب والمناقشة »^(١) .

النص السابق زعم فيه التيجاني بأنه يستطيع أن يدخل أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب وزعم أيضاً بأنه هو المنفرد بهذا أما غيره من الأولياء فلا يستطيعون أن يدخلوا أتباعهم الجنة إلا بعد الحساب .

ومعنى هذا أن الأولياء لهم التصرف الكامل في الدنيا والآخرة وهذا

(١) « كشف الحجاب » (ص ٣٧٣ - ٣٧٤) .

معتقد فاسد وشرك بالله عز وجل لأن دخول الجنة بيد الله سبحانه وتعالى وليس بيد أحد من خلقه وزعم التيجاني هذا ما هو إلا كذب وافتراء على الله فهو لا يضمن دخول الجنة لنفسه فضلاً عن أن يملكه لغيره وهو يعلم ذلك ولكنه قال هذا الكلام تضليلًا للعوام حتى يتبعوه في كل ما يقوله من ضلالات وخرافات وأباطيل وأوهام التي يتغافل عنها .

وقال أبو طالب المكي :

« فوقها - أي فوق مقامات ذكرها قبل هذا الكلام - ما لا يصلح رسمه في كتاب من مكاشفات الصديقين ومشاهدات العارفين منها أنه أعطاهم « كن » بإطلاقه إياهم على الاسم ، فزهدوا في كون كن لأجل كان توكلًا عليه وحياء أن يعارضوه في قدرته ويرغبوا عن تقديره أو يضاهوه في تكوينه ^(١) .

والشاهد في النص السابق أن أبو طالب المكي زعم أن الله سبحانه وتعالى أعطى للأولياء القدرة على التصرف بحيث إذا قال أحدهم للشيء كن لكان ولكنهم تنازلوا عنه حباء من الله ولئلا يشابهوه في تكوينه للأشياء بكلمة كن فقط ونحن نقول لا يمكن أن يصل الإنسان إلى هذه المرحلة مهما كان لأن التصرف في الكون بكلمة كن لله وحده سبحانه لا يشاركه فيه أحد من خلقه .

وهذا أحد المتصوفة واسمها أحمد زروق يزعم بأن هذا الكون كله تحت قبضته ولذا فهو يولي من يشاء ويعزل من يشاء ويعلق مقام من شاء ويخفض مقام من شاء ويعطي الأرواح لمن أراد ويقبضها عنمن أراد إلى آخر ما ادعاه

(١) « قوت القلوب » لأبي طالب المكي (٩/٢) .

من دعاوى باطلة كلها لا تليق إلا بالله سبحانه وتعالى ولكنه تجرأ على
ادعائهما لفراغ قلبه من الإيمان بالله وهذا نص كلامه :

قال :

وكل بلاد الشرق في طي قبضتي
وخلفني فيها بأحسن سيرة
بأرفع مقدار وأرفع همة
وأعلى مقام البعض فوق المنصة
وأحني قلوبًا بعد موت القطيعة
وارفع موضوعاً يا رفع عمتى
وانصر مظلوماً بسلطان سطوتي
فناداً يا زروق آتِ بسرعة
وكم كربة تجلّى إذا ذكر اسمنا

وملكت أرض الغرب طر بأسراها
فملكنيها بعض من كان عارفاً
فارفع قدرًا ثم اخفض منصباً
واعزل قوماً ثم أولّ سواهم
وابسط أرواحاً واقبض أنفساً
واجبر مكسوراً وشهر خاماً
واقهر جباراً وادحض ظالماً
فإن كنت في كرب وضيق وشدة
فكم كربة تجلّى إذا ذكر اسمنا

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن الرجل ادعى أموراً لا تليق
إلا بالله سبحانه وتعالى حيث ادعى بأنه يرفع قدر من يشاء ويخفض ويعزل
قوماً ويولي آخرين وأنه يبسط أرواح من يريده ويقبض نفوس من يشاء من
الخلق ثم دعى أخيراً الناس إلى التوجّه إليه بالدعاء والاستغاثة إذا أصيبوا بأي
مكرهه وأكّد ذلك بأنه فرج عن كثيرين كربهم لما توجهوا إليه وهذا كذب
وافتراء فقط فإنه لا يملك لنفسه النفع والضر فضلاً عن أن يملّكه لغيره ولكن
الذي يهمنا من إيراد النص هو الإثبات بأن المتصوفة يدعون بأن لهم القدرة
على التصرف في هذا الكون وادعاء التصرف في هذا الكون مع الله يعتبر
شركًا بالله تعالى لم يقل به المشركون الأوائل فينبغي على المتصوفة أن

(١) « النفحۃ العلیۃ فی اورد الشاذلیۃ » (ص ٢٧) .

يتراجعوا عنه .

ويقول أحمد الرفاعي الغوث :

ولي هوى قبل خلق اللوح والقلم
والأرض في قبضتي والأولياء خدمي
وفوق هاماتهم حاز العلا علمي
وكل أهل العلا ما أنكروا همي
وظف بيابي وقف مستمطرًا نعمي^(١)

لي همة بعضها تعلو على الهمم
أنا الرفاعي طبولي في السماء ضربت
كل المشايخ يأتون بباب زاويتي
ولي لواء على الكونين منتشر
فالجأ بأعتابك عزيز التمس مدددي

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن الرفاعي ادعى بأن الأرض كلها تحت قبضته وأن كل الأولياء ما هم إلا خدمه فقط وكلهم يأتون إلى زوايته حاملين فوق رؤوسهم العلم الرفاعي وأن لواءه معروف منتشر في الكونين أي في الدنيا والآخرة ثم دعا أخيراً الناس إلى عبادته وطلب المدد منه وأن يقفوا ببابه طالبين نزول النعم عليهم منه كالملط .

وهكذا فالنص من أوله إلى آخره شرك بالله عز وجل حيث زعم الرفاعي أن الكونين في قبضته وتحت تصرفه ونحن نقول للرفاعي ولجميع المتتصوفة الدجاجلة إذا كانت الأرض ومن فيها وكذلك الآخرة تحت تصرفكم فماذا أبقيتم لله يا دجاجلة يا وقحين يا من فرغت قلوبكم من الإيمان الصحيح مما قدرتم الله حق قدره فزعمتم أنكم شركاء لله في تصريف أمور هذا الكون ونحن نقول سبحانه هذا بهتان عظيم .

(١) « قلادة الجواهر » (ص ٢٣٣) وانظر كذلك في ادعاء الرفاعيين بأن أحمد الرفاعي يتصرف في الوجود كتاب « لباب المعاني » الملخص من « شفاء قلوب المؤمنين » (ص ٣٠) .

ويقول عبد العزيز الدباغ فيما يرويه عن تلميذه :

« وسمعته رضي الله عنه يقول إن أهل الديوان إذا اجتمعوا فيه اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت إلى مثله من الغد فهم رضي الله عنهم يتكلمون في قضاء الله عز وجل في اليوم المستقبل والليلة التي تليه قال رضي الله عنه : ولهم التصرف في العوالم كلها السفلية والعلوية وحتى في الحجب السبعين وحتى في عالم « الرقا » بالراء وتشديد القاف وهو ما فوق الحجب السبعين فهم الذين يتصرفون فيه وفي أهله وفي خواطيرهم وما تهمس به ضمائرهم فلا يهمس في خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصرف رضي الله عنهم أجمعين وإذا كان هذا في عالم الرقا الذي هو فوق الحجب السبعين التي هي فوق العرش فما ظنك بغيره من العوالم »^(١).

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن عبد العزيز الدباغ زعم فيه بأن أهل الديوان من الأولياء المزعومين حينما يجتمعون يبحثون في الأمور التي ستقع في اليوم التالي والليلة التالية وأنهم يتكلمون في قضاء الله وقدره وأن لهم التصرف الكامل في العوالم السفلية والعلوية أي في الأرض والسماء.

وعلى هذا يعتقد المتصوفة بأن الأولياء لهم التصرف الكامل في هذا الكون ومعنى ذلك أن الأولياء شركاء لله سبحانه وتعالى في ملكه .

ويقول أحمد البريلوي أحمد رضا مؤسس الطريقة البريلوية :

« إن الشيخ عبد القادر متصرف في العالم ومأذون ومحتر و هو المدبر لأمور العالم »^(٢).

(١) « الإبريز » للدباغ (ص ١٨٩).

(٢) « حدائق بخشش » للبريلوي (ص ٢٦) نقلًا عن « البريلوية » للشيخ إحسان إلهي (ص ٧١).

والنص واضح ولا يحتاج إلى شرح حيث صرخ فيه البريلوي بأن الشيخ عبد القادر متصرف في الكون.

وذكر الشعراي أيضاً أن شيخه محمد الشناوي قال :

« إن شخصاً أنكر حضور مولده أي مولد البدوي فسلب الإيمان فلم يكن فيه شرة تحن إلى دين فقال : نعم ، فرد عليه ثواب إيمانه » .

ثم قال : « وماذا تنكر علينا ؟ قال : اختلاط الرجال والنساء ، فقال له سيدى أحمد : ذلك واقع في الطواف ولم يمنع منه أحد ، ثم قال : وعزة ربى ما عصى أحد في مولدي إلا وتاب وحسنت توبته وإذا كنت أرعى الوحوش والسمك في البحار وأحميهم من بعضهم بعضاً أفيعجزني عز وجل عن حماية من يحضر مولدي »^(١) .

والشاهد في النص هو سلب البدوي الإيمان ممن أنكر عليه حضور مولده ثم رده عليه بعد الإقرار بحضور المولد ثم زعم البدوي بأنه هو الذي يرعى الوحوش والأسماك ويحميهم من بعضهم البعض وإذا كنت كذلك فإني باستطاعتي أن أحمي كل من يحضر مولدي من الوقوع في المعصية وإذا وقع فيها فتوبته حتمية لا محالة ولذا فلا حاجة إلى الإنكار على الأولياء إذا ارتكبوا منكراً لأنهم ليسوا كغيرهم من البشر فهم يحل لهم ما يحرم على غيرهم وذلك حسب المعتقد الصوفي الباطل .

وذكر الشعراي عن عبد العزيز الدريري أنه كان يزور سيدى علياً المليحي كثيراً فذبح له سيدى علي يوماً فرخاً فأكله وقال لسيدى علي : لابد أن أكافئك فاستضافه يوماً فذبح لسيدى علي فرحة فتشوشت أمراته عليها فلما

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراي (١٨٧/١) .

حضرت قال لها سيدى على : هش ، فقامت الفرحة تجري وقال : يكفينا
المرق ولا تشوش^(١) .

وذكر الشعراي أيضاً عن شيخه إبراهيم المتولى أنه رأى شخصاً من تلاميذه كثير العبادة والأعمال الصالحة والناس منكبون على اعتقاده فقال : يا ولدي ما لي أراك كثير العبادة ناقص الدرجة لعل والدك غير راض عنك؟ فقال : نعم فقال : تعرف قبره؟ فقال : نعم ، فقال : اذهب بنا إلى ناحية قبره لعله يرضى قال الشيخ يوسف الكردي : فوالله لقد رأيت والده خرج من القبر ينفض التراب عن رأسه حين ناداه الشيخ فلما استوى قائماً قال الشيخ : الفقراء جاءوا شافعين تطيب خاطرك على ولدك هنا ، فقال : أشهدكم أنني قد رضيت عنه ، فقال : ارجع مكانك فرجع^(٢) .

وذكر عنه أيضاً أنه كان سما ناقعاً على الولادة فإذا تشوش من أمير أو وزير مات لوقته أو في ليلته .

وتعرض جماعة من الظلمة إلى حماية غيطه وأراد الوزير وكان يسمى قاع التاجر أن يحدث عليهم مظلمة وقال : كان شيخنا ينفخني ، فقال : يا ولدي ما أنا أنفخ وإنما أفق سهمي فلا يرد ، فدخل الوزير بيت الخلاء فانتظروه ليخرج فلم يخرج فدخلوا عليه فوجدوا لحيته ووجهه في حلق الخلاء وهو ملطخ بالعذرة وهو ميت فرجع غالب الولادة عن معارضته في أمر من الأمور^(٣) .

(١) «الطبقات الكبرى» للشعراي (٢٠٢/١).

(٢) «الطبقات الكبرى» للشعراي (٨٥/٢) .

(٣) «الطبقات الكبرى» للشعراي (٨٧/٢) .

وذكر الشعراي عن الشيخ حسين أبي علي قال عنه :

« كان هذا الشيخ رضي الله عنه من كمل العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى وكان كثير التطورات تدخل عليه بعض الأوقات فتجده جندياً ثم تدخل عليه فتجده سبعاً ثم تدخل عليه فتجده فيلاً ثم تدخل عليه فتجده صبياً وهكذا ومكث نحو أربعين سنة في خلوة مسدود بابها ليس لها غير طاقة يدخل منها الهواء وكان يقبض من الأرض ويناول الناس الذهب والفضة » .

وذكر أيضاً أن المجرمين قتلواه ورمواه ثم أصبح حياً ووجدوه جالساً في الكرسي وهو على أحسن صورة^(١) .

إذا نظرنا في النصوص السابقة نرى بوضوح أن الشعراي زعم في النص الأول أن الشيخ علي ذبح له عبد العزيز الدريري دجاجة وكانت امرأته لم ترض بذبحها فطبخت وحضرت بين يديه ليأكلها فأحيا الدجاجة بكلمة واحدة فقط وكما نعلم إحياء الموتى من خصائص الله سبحانه وتعالى ولكن الشعراي كما نرى أورد هذه القصة وسكت عليها .

وأما في النص الثاني فقد زعم فيه أن شيخه إبراهيم المتولي نادى والد أحد تلاميذه بعد أن مات ودفن فأسرع والد التلميذ لإنجاته وقام من قبره ونفذ عنه القبر وعفا عن ابنه ثم رجع إلى قبره .

وأما النص الثالث فقد زعم فيه أنه كان سماً قاتلاً لكل من خالف أمره وكان يقتل في الحال كل من غضب عليه وأن أحد الوزراء خالف أمره فدخل الحمام فمات فيه ووجدوا جسمه ملطخاً بالعدرة ولذا رجع غالب الولاة عن مخالفته خوفاً من الموت السريع الفوري .

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراي (٢/٨٧).

وأما النص الرابع فذكر فيه أن الشيخ حسين أبو علي كانت له المقدرة على التشكّل بأي شكل أراده فيتحول إلى جندي إلى فيل إلى طفل وأن التراب كان ينقلب في يده ذهبًا وفضة فيناوله الناس وأنه قتل ثم أحيا نفسه في الصباح الباكر.

والخلاصة من هذه النصوص أن المتصوفة يعتقدون بأن الأولياء لهم المقدرة على التصرف في الكون حيث زعم الشعراي في هذه النصوص بأن بعضهم أحيا الأموات وأن بعضهم أمات من خالقه حالاً وأن بعضهم كان يتشكل بأشكال مختلفة والمعلوم بالضرورة من العقيدة الإسلامية أن التصرف في الكون وإحياء الأموات وإماتة الأحياء من خصائص الله سبحانه وتعالى ولا يستطيع أي أحد من المخلوقات كائناً من كان أن يتصرف في هذا الكون وإذا زعم أحد مثل هذا فقد ادعى بأنه شريك لله في ملكه .

وقال الشعراي أيضاً وهو يتحدث عن شمس الدين الحنفي^(١) :

« . . . وكان له الباع الطويل في التصريف النافذ واليد البيضاء في أحكام الولاية والقدم الراسخ في درجات النهاية والطود السامي في الثبات والتمكين وهو أحد من ملك أسراره وقهر أحواله وغلب على أمره وهو أحد أركان هذا الطريق وصدر أو تادها وأكابر أئمتها وأعيان علمائها علمًا وعملاً وزهداً وتحقيقاً ومهابة وهو أحد من أظهره الله تعالى في الوجود وصرفه في الكون ومكنته في الأحوال وأنطقه بالمغيبات وخرق له العوائد وقلب له الأعيان وأظهر على يديه العجائب وأجرى على لسانه الفوائد ونصبه قدوة

(١) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن الحنفي الشاذلي كان من أركان الطريقة الشاذلية علمًا وعملاً ومالاً تلمذ له جماعة من أهل الطريقة واعترفوا بعلمه وعلو مقامه الذي لم يكن مفهوماً للعامة وإن كان معروفاً لدى الخاصة « جمهرة الأولياء » للمنوفي (١٥٩/٢) .

للطلاب حتى تتلمذ له جماعة من أهل الطريقة وانتمى إليه خلق من الصالحة
والأولياء واعترفوا بفضله وأقرروا بمكانته وقصد بالزيارات من سائر الأقطار
وحل مشكلات أحوال القوم «^(١)».

وذكر الشعراي عن يوسف العجمي أنه إذا خرج من الخلوة يخرج
وعيناه تتقد كأنها قطعة جمر فكل من وقع نظره عليه انقلب ذهبًا حالصاً
ولقد وقع بصره يوماً على كلب فانقادت إليه جميع الكلاب فأرسل خلف
الكلب وقال أحسأ فرجعت عليه الكلاب لعضه حتى هرب منها.

ووقع له مرة أخرى أنه خرج من خلوة الأربعين فوق بصره على كلب
فانقادت إليه جميع الكلاب وصار الناس يهرعون إليه في قضاء حوائجهم فلما
مرض ذلك الكلب اجتمع حوله الكلاب ي يكون ويظهرون الحزن عليه فلما
مات أظهروا البكاء عليه والعويل والهم بعض الناس فدفونوه فكانت الكلاب
تزور قبره حتى ماتوا بهذه نظرة إلى كلب فعلت ما فعلت فكيف لو وقعت
على إنسان^{(٢) !!؟}

والنص واضح ولا يحتاج إلى شرح وبيان ولكن لا ندرى ماذا يقصد
الشعراي من إيراد مثل هذه القصة المكذوبة أساساً ولعله يريد أن يدعو الناس
إلى عبادة الكلاب بعد أن دعاهم إلى عبادة البشر.

وقال الشعراي أيضاً :

« سمعت سيدى محمد بن عنان رضي الله عنه يقول الشيخ علي
الخواص البرلس أعطى التصرف في ثلاثة أرباع مصر وقرأها » .

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراي (٢/٨٨ - ٤/١٠).

(٢) « الطبقات الكبرى » للشعراي (٢/٦٦).

وسمعت مرة أخرى يقول : « لا يقدر أحد من أرباب الأحوال أن يدخل مصر إلا بإذن الشيخ علي الخواص وكان رضي الله عنه يعرف أصحابه التوبة فيسائر أقطار الأرض ويعرف من تولى منهم ساعة ولايته ومن عزل ساعة عزله ولم أر هذا القدم لأحد غيره من مشايخ مصر إلى وقتها هذا وكان له اطلاع عظيم على قلوب القراء فكان يقول فلان اليوم زاد فتحه كذا وكذا دقيقة وفلان نقص اليوم كذا وكذا وفلان فتح عليه بفتح يدوم إلى آخر عمره » ^(١) .

وذكر الشعراي أيضاً أن سيده محمد عنان إذا جاءه أهل الحاجات الشديدة كشخص رسم السلطان بشنته أو مسكه الوالي بزغل أو حرام أو نحو ذلك يرسل صاحب الحاجة للشيخ ويقول نحن ما معنا تصريف في هذا البلد فتقضى الحاجة ^(٢) .

إذا نظرنا في النصوص السابقة نرى بوضوح أن الشعراي زعم فيها بأن الأولياء لهم التصرف مع الله في هذا الكون .

وقال المناوي ^(٣) وهو يتحدث عن امتيازات الأولياء دون غيرهم من البشر :

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراي (١٥٠/٢) .

(٢) « الطبقات الكبرى » للشعراي (١٥١/٢) .

(٣) هو عبد الرءوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين حضر دروس الأستاذ محمد البكري له في التفسير والتصوف وأخذ التصوف عن جمع وتلقن الذكر من قطب زمانه الشيخ عبد الوهاب الشعراي ثم أخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ محمد المناخلي والطريقة الشاذلية عن الشيخ منصور الغيطي والطريقة النقشبندية عن مسعود الطاشكendi وغيرهم وتوفي ١٠٢٢ / ١١ / ٤ هـ انظر ترجمته في « خلاصة الأثر » المحببي (٤١٣/٢) .

« النوع الأول إحياء الموتى وهو أعلاها فمن ذلك أن أبي عبد اليسري غزا ومعه دابة فماتت فسأل الله أن يحييها فقامت تنفس أذنيها وأن مفرجاً الدماميني أحضر له فرائحاً مشوية فقال: طيري بإذن الله تعالى فطارت ووضع الكيلاني يده على عظم دجاجة أكلها وقال لها: قومي بإذن الله فقامت .

ومات لأبي يوسف الدهمني ولد فجزع عليه فقال له الشيخ: قم بإذن الله فقام وعاش طويلاً وسقط من سطح الفاروق طفل فمات فدعا الله فأحياه »^(١) .

وقال أحمد التيجاني وهو يتحدث عن الولي في المفهوم الصوفي :

« أنه خليفة الله يملكه الله كلمة التكوين حتى قال للشيء كن فيكون من حينه »^(٢) .

وهذا إبراهيم الدسوقي يزعم أن إغلاق النار وفتح الجنة بيده وإليك نص عبارته قال :

« أنا بيدي أبواب النار أغلقها وبيدي جنة الفردوس فتحتها من زارني أسكنته جنة الفردوس وما كان ولني متصلة بالله إلا وهو ينادي ربه كما كان موسى ينادي ربه »^(٣) .

وذكر ود ضيف الله الجعلي السوداني أن فاطمة بنت عبد مرضت مرضًا شديداً أشرفت فيه على الموت وجاءه الفقيه النور وقال له: يا سيدي الشيخ حسن أحيا الميت والحسن يريدهك تسأل الله لها أن يحييها قد نذر لك

(١) « الكواكب الدرية » للمناوي (ص ١١) .

(٢) « جواهر المعاني » لعلي حرازم (٨/٢) .

(٣) « الطبقات الكبرى » للشعراني (١٨١/١) .

بفرخة وأنه تفل للفقيه النور في ماء الركوة وأدخله في فمها فمجته لأنها في حالة السياق ففي آخر الليل خاطبت النور بصوت هادئ وقالت : أنا طيبة فإني رأيت الشيخ خوجلي واقف عند الصندوق فوكزني بعصاها وقال لي : قومي ثم إن النور قام في ليلة وركب وسار إلى توتي فوجد الفقيه أحمد بن الشيخ إمام المسجد وقال له البشارة بنت عبيد طيبة وقال له أحمد الفقيه ساد الخلوة عليه إلى الآن وقال : أنا عيان كنا أنا وملك الموت نتنازع في روح بنت عبيد فتركها لي^(١) .

وذكر عنه أيضاً بأنه أحيا عفيفية ولد أكبر غرق في بحر الخشاب فمكث في البحر ثلاثة أيام وقضى نحبه وقالوا له : صل على حوارك فقال : أنا ما حسن الأول عند سيدي أنا حواري غرقت له ثلاثة أيام ما أخبره فلما رأه قال له : قم فقام فتمالت روحه وتزوج بعد ذلك وولد له ولد أسماه أكبر قال سوار الخليفة : أنا شفت أكبر المولود بعد موت أبيه .

وذكر عنه أيضاً بأنه أحيا ولد المرقوين رجالاً مراقب عنده خرجوا معه للقنصل عندهم فرد ولد لقبوه ميت جاءه شافه قال لهم : ما مات قم فقام وتمالت فيه الروح^(٢) .

وذكر عنه أيضاً بأنه جاءه رجل غرباوي مسافر للحج وأودعه فرخة وقال وصلها إلى الفتاة وبعد وقت بسيط أرسلت لها الفتاة تخبره بموت الفرخة وطلب الكفن لها ثم قدم صاحبها من الحج فطلب جاريته وأرسل الشيخ إلى الفتاة وقال لها : فرخة الفقير هاتوها فقالت له الفتاة : ماتت وأنت جئت

(١) «طبقات ود ضيف الله الجعلاني» (ص ١٩٨) .

(٢) «طبقات ود ضيف الله الجعلاني السوداني» (ص ١٤٣) .

كفتتها ودفتها فقال الشيخ : ما ماتت امشوا ائتوا بها فنبشوها فوجدوها حية
واعطوها لصاحبها^(١) .

وذكر الشعراي عن الشيخ أبي مدین :

« أن بعض الفقراء شاوره في السفر إلى بلاده ليقطع علاقه ويجيء
الشيخ بالكلية فإذا ذهب له فباع ذلك الفقر بقرته وبعض أمتعته وجعل ثمنها في
صرة ووضعها في رأسه فلما جاء في المركب نقض الراجح عمانته فوقع
الصرة في بحر النيل أيام زيارته فلما دخل الشيخ حتى له ما وقع فرفع سيد
مدین رضي الله عنه طرف السجادة وأخرج تلك الصرة ت قطر ماءً »^(٢) .

وقال عبد العزيز الدباغ حاكياً عن شيخه أن عبد الله البرناوي أحد
شيوخه الذين تلقى منهم العلوم الصوفية أنه كان شديد الاتباع في ظاهره
وباطنه لشريعة النبي وكان يتولى التصرف في جميع من يزور الصالحين
الموتى فهو ينظر في حوائجهم ويقضي ما قضى الله منها^(٣) .

وقال الشيخ حسين أحد القادريين الصوماليين وهو يتحدث عن تصرف
الأولياء في هذا الكون :

« كانت الأرض كرّة فأمر الله تعالى رجالاً منهم أنا والشيخ محبي
الدين العلي دحیها فدحوناها بقدرته تعالى »^(٤) .

وقال الشيخ علي بن مؤمن الصومالي القادي جاءني مرة الشيخ محمد

(١) « طبقات ود ضيف الله الجعلي السوداني » (ص ١٤٤) .

(٢) « الطبقات الكبرى » للشعراي (١٥٦/٢) .

(٣) « الإبريز » للدباغ (ص ٢٤٢) .

(٤) « تذكرة أهل اليقين في مناقب الشيخ محبي الدين » (ص ١٣) .

حسن بركات و معه جماعة ونزلوا به وأضفتهم فقال لي : أتعرف شيخك الشيخ محبي الدين العلي فقلت له فقال : لم ؟ فقلت : هو أعظم من أن أعرفه وأقول إنه إنسان أو جن أو ملك فقال صدقت هل أعلمك ؟ فقلت : نعم فقال : كنا ألف ألف ومائتي ألف نقينا فأمرنا الله تعالى أن نكسح مواضع البحار ونأتي بماء في جرة من البحر المسجور ونصب في المواضع التي كسحناها ففعلنا ذلك وكانت الجرة مفتوحة الطرفين وأمسكت الماء بقدرة الله تعالى وأعلمنا أنه لا يخلق خلقاً لا يعيش بلا ماء وبقي من هؤلاء النقباء الآن أربعة أنا وشيخك الشيخ محبي الدين والشيخ أبو حسين والشيخ نور كلير ولا نرفع من الدنيا بل نغيب من مكان إلى مكان ما بقى القرآن وتبعه وقت رفعه^(١) .

إذا نظرنا في النصوص السابقة نرى بوضوح أن دعوى التصرف للأولياء في الكون واضحة فيها وبما أن النصوص واضحة فلا تحتاج إلى شرح ولا إلى بيان فكما سبق ادعى المتصوفة أن الأولياء يحيون ويميتون ويزرون ويسلبون الإيمان عن خالفهم وغير ذلك من الحكايات الكثيرة التي أوردتها المتصوفة عن مشايخهم

والخلاصة التي نخرج بها بعد أن أوردنا هذه النصوص الكثيرة من بطون كتب المتصوفة ومن أفواه مشايخهم هي أن المتصوفة يعتقدون بأن الأولياء لهم التصرف الكامل في هذا الكون فهم الذين يديرونه ويحفظونه ويزرون من فيه ويحيون ويميتون بل ولهم التصرف الكامل في الآخرة حيث إنهم يدخلون الجنة من اتبعهم بل إن مفاتيح أبواب النار والجنة بأيديهم وهذه حقائق أثبتناها والحمد لله بإيراد نصوص من بطون كتبهم ولا يستطيعون أن

(١) « تذكرة أهل اليقين في مناقب الشيخ محبي الدين » (ص ١٤) .

ينكروا بأنهم يعتقدون أن الأولياء شركاء لله سبحانه في التصرف في هذا الكون والآن بعد أن أثبتنا عليهم معتقدهم الباطل هذا نريد أن نبين موقف الإسلام من معتقداتهم الباطلة هذه تجاه من يسمونهم أولياء الله وها أنا أشرع فيه الآن^(١).

المطلب الثاني

موقف أهل الإسلام من هذه المراتب وممن يدعى التصرف لغير الله في هذا الكون

لقد بينا في المطلب الأول المراتب التي وضعها الصوفية لمن يطلقون عليهم أولياء الله ووضحنا بنصوص من بطون كتبهم بأنهم يعتقدون أن هذا الكون تسيره مجموعة من البشر أطلقوا عليها الأولياء وعلى رأس هذه المجموعة القطب الذي يعتبر الزعيم الأكبر المسيطر على هذا الكون بحيث لا يقع في هذا الكون من خير أو شر إلا عن طريقه^(٢).

ثم أتبعت ذلك بإيراد نصوص وحكايات أوردها الصوفية عن مشايخهم وكلها تثبت وتؤكد لنا أن المتصوفة يعتقدون بأن الأولياء لهم التصرف الكامل في هذا الكون وأنهم ينفذون كل ما يريدون بكلمة كن ويحيون ويميتون وغير ذلك من الأمور التي ذكرها المتصوفة على أن الأولياء لهم القدرة عليها رغم أنها أمور لا تليق إلا بالله سبحانه وتعالى^(٣).

(١) انظر (ص ٦٤٨ - ٦٧١).

(٢) انظر (ص ٦٠٥ - ٦٠٧).

(٣) انظر (ص ٦٤٦ - ٦١٨).

والآن نريد في هذا المطلب أن نبين موقف الإسلام من هذه المراتب التي ابتدعها الصوفية وممن يدعي التصرف لغير الله في هذا الكون .

وإذا أردنا أن نعرف موقف الإسلام من هذه المراتب فإننا نجد أنه يرفض هذه المراتب رفضاً قاطعاً وذلك لأنها من بدعة الصوفية وليس لهم أي دليل يستندون عليه لا من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ وإنما أتوا بها من عند أنفسهم وبما أننا نحن أهل السنة والجماعة نعتقد أن الإسلام هو ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله محمد ﷺ نعتبر هذه المراتب بدعة وما دامت هي بدعة فهي مرفوضة عندنا قطعاً .

وكما وضح لنا في المطلب الأول من هذا البحث لم يقف الصوفية في ابتداع هذه المراتب والألقاب لمن يسمونهم الأولياء بل زعموا بأن هؤلاء الأولياء الذين تطلق عليهم هذه الألقاب هم الذين يسيرون هذا الكون ، وهذا اعتقاد فاسد وباطل وشرك بالله عز وجل في التصرف لأن الشرك أنواع وهذا من شرك التصريف .

ومن هنا نقول : إن هذه المراتب والوظائف المزعومة نرفضها رفضاً قاطعاً وعلى المتصرفه أن يتنازلوا عنها إن أرادوا النجاة لأنفسهم .

وخير من ناقش الصوفية في هذه المراتب والوظائف شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » في عدة أماكن من هذا الكتاب حيث أجاب رحمة الله تعالى على سؤال وجه إليه عن مرتب الصوفية هذه والوظائف التي نسبوها إلى الأولياء .

فقال : « أما الأسماء الدائرة على السنة كثير من النساء وال العامة مثل الغوث الذي بمكة والأوتاد الأربع والأقطاب السبعة والأبدال الأربعين

والنجباء الثلاثمائة فهذه أسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى ولا هي أيضاً مأثورة عن النبي ﷺ بإسناد صحيح ولا ضعيف يحمل عليه إلا الفاظ الأبدال فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال : « إن منهم - يعني أهل الشام - الأبدال الأربعين رجلاً كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلاً » ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف كما هي على هذا الترتيب والمعاني عن المشايخ المقبولين عند الأئمة قبولاً عاماً وإنما توجد على هذه الصورة عند بعض المتوضطين من المشايخ وقد قالها إما آثراً لها عن غيره أو ذاكراً

ثم قال شيخ الإسلام :

« فالكتب المتنزلة من السماء والإشارة من العلم المأثورة عن خاتم الأنبياء يميز الله بها الحق من الباطل ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وبذلك يتبين أن هذه الأسماء على هذا العدد والترتيب والطبقات ليست في كل زمان بل يجب القطع بأن هذا على عمومه وإطلاقه باطل فإن المؤمنين يقلون تارة ويكثرن أخرى وينتقلون في الأمكنة وليس من شرط أولياء الله أهل الإيمان والتقوى ومن يدخل فيهم من السابقين المقربين تعين العدد .

وقد بعث الله رسوله بالحق وأمن معه بمكة نفر قليل كانوا أقل من سبعة ثم أقل من أربعين ثم أقل من سبعين ثم أقل من ثلاثة فيعلم أنه لم يكن فيهم هذه الأعداد ومن الممتنع أن يكون ذلك في الكفار ثم هاجر هو وأصحابه إلى المدينة وكانت هي دار الهجرة والسنة والنصرة ومستقر النبوة وموضع خلافة النبوة وبها انعقدت بيعة الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وإن كان قد خرج منها بعد أن بُويع فيها ومن الممتنع أنه قد كان بمكة في زمنهم من يكون أفضل منهم .

نعم إن الإسلام انتشر في مشارق الأرض وغاريبها وكان في المؤمنين في كل وقت من أولياء الله المتقيين بل من الصديقين السابقين المقربين عدد لا يحصى عده إلا رب العالمين لا يحصرون بثلاثمائة ولا بثلاثة آلاف ولما انقضت القرون الثلاثة الفاضلة كان في القرون الخالية من أولياء الله المتقيين بل من السابقين المقربين من لا يعرف عده وليسوا بمحصورين بعدد ولا محدودين بأمد وكل من جعل لهم عدداً محصوراً فهو من المبطلين عمداً أو خطأ فسأله من كان القطب والثلاثة إلى سبعمائة في زمن آدم ونوح وإبراهيم وقبل محمد عليهم الصلاة والسلام في الفترة حين كان عامة الناس كفراً.

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١) أي كان مؤمناً موحداً وكان الناس كفاراً جميعاً.

وفي صحيح البخاري أنه قال لسارة : « ليس على الأرض اليوم مؤمن غيري وغيرك »^(٢).

وقال الله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتَلَوَّ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٣).

وإن زعموا أنهم كانوا بعد رسولنا عليه السلام نسأله في أي زمان كانوا ومن أول هؤلاء وبأية آية وبأي حديث مشهور في الكتب الستة وبأي إجماع متواتر من القرون الثلاثة تثبت وجود هؤلاء بهذه الأعداد حتى نعتقد لأن العقائد لا تعتقد إلا من هذه الأدلة الثلاثة ومن البرهان العقلي ﴿قُلْ هَاتُوا

(١) النحل : (١٢٠).

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (٣٨٨/٦).

(٣) الجمعة : (٢).

بُرْهَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾ فَإِنْ لَمْ يَأْتُوا بِهَذِهِ الْأَدْلَةِ الْأَرْبَعَةِ الشَّرِيعَةُ فَهُمْ
الْكَذَابُونَ بِلَا رِيبٍ فَلَا نَعْتَقِدُ أَكَاذِيْبِهِمْ . . .

ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

« فَأَمَّا لَفْظُ الْغَوْثِ وَالْغَيَاثِ فَلَا يَسْتَحْقِهِ إِلَّا اللَّهُ فَهُوَ غَيَاثُ الْمُسْتَغْيَثِينَ فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ الْاسْتِغْاثَةُ بِغَيْرِهِ لَا بِمَلْكٍ مُقْرَبٍ وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ
أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْفَعُونَ حَوَائِجَهُمُ الَّتِي يَطْلَبُونَ بِهَا كَشْفَ الْضُّرِّ عَنْهُمْ وَنَزْولَ
الرَّحْمَةِ إِلَى الْثَّلَاثَمَائَةِ وَالْثَّلَاثَمَائَةِ إِلَى السَّبْعِينَ وَالسَّبْعُونَ إِلَى الْأَرْبَعِينَ
وَالْأَرْبَعُونَ إِلَى السَّبْعَةِ وَالسَّبْعَةِ إِلَى الْأَرْبَعَةِ وَالْأَرْبَعَةِ إِلَى الْغَوْثِ فَهُوَ كَاذِبٌ
ضَالٌ مُشْرِكٌ فَقَدْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ : ﴿وَإِذَا
مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمُ وَكَانَ
الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ ^(٢) .

وقال سبحانه : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَعْلَمُكُمْ
خُلُقَاءَ الْأَرْضِ إِلَّا اللَّهُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ ^(٣) .

فكيف المؤمنون يرفعون إليه حوائجهم بعده بوسائل من الحجاب وهو
السائل تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عَبْدِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلَيَسْتَجِيبُوا لِي وَلَيَؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشَدُونَ﴾ ^(٤) .

وقال إبراهيم عليه السلام داعياً لأهل مكة : ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ

(١) النمل : (٦٤) .

(٢) الإسراء : (٦٧) .

(٣) النمل : (٦٢) .

(٤) البقرة : (١٨٦) .

ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمَ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْدَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهُوي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الشَّمَراتِ لِعَلَّهُمْ يَشَكُّرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفِي عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبْرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿١﴾ .

وقال النبي ﷺ لأصحابه لما رفعوا أصواتهم بالذكر : « أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا وإنما تدعون سميعًا قريباً إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته » ^(٢) .

وقد علم المسلمون كلهم أنه لم يكن عامة المسلمين ولا مشايخهم المعروفون يرفعون إلى الله حواejهم لا ظاهراً ولا باطنًا بهذه الوسائل والحجاب فتعالي الله عن تشبيهه بالمخلوقين من الملوك فسائر ما يقوله الظالمون علوًا كبيرًا وهذا من جنس دعوى الرافضة أنه لابد في كل زمان من إمام معصوم يكون حجة الله على المكلفين لا يتم الإيمان إلا به ثم مع هذا يقولون أنه كان صبياً دخل السردار مع أكثر من أربعين ألف ورأبعين سنة ولا يعرف له عين ولا أثر ولا يدرك له حس ولا خبر .

وهؤلاء الذين يدعون هذه المراتب فيهم مضاهاة للرافضة من بعض الوجوه بل هذا الترتيب والأعداد يشبه من بعض الوجوه ترتيب الإمامية والنصيرية ونحوهم في السابق والتالي والناطق والأساس والجسد وغير ذلك من الترتيب الذي ما أنزل الله به من سلطان » ^(٣) .

(١) إبراهيم : (٣٩ - ٣٧) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (٥٠٠ / ١١) .

(٣) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (٤٣٣ / ١١ - ٤٣٩) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا :

« وكذلك من فسر الأربعين الأبدال بأن الناس إنما ينصرفون ويزرون بهم كذلك باطل بل النصر والرزق يحصل بأسباب من آكدها دعاء المؤمنين وصلاتهم وإخلاصهم ولا يتقيد ذلك لا بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر كما جاء في الحديث المعروف أن سعد بن أبي وقاص قال : يا رسول الله الرجل يكون حامية القوم أيسهم له مثل ما يسهم لأضعفهم فقال : « يا سعد وهل تنصرفون وترزرون إلا بضعفائكم بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم »^(١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا :

« وليس في أولياء الله المتقيين ولا عباد الله المخلصين الصالحين ولا أنبيائه المرسلين من كان غائب الجسد دائمًا عن أنظار الناس بل هذا من جنس القائلين أن علياً في السحاب ومحمد بن العنفية في جبال رضوى وأن محمد بن الحسن بسرداب سامي وأن الحاكم بجبل مصر وأن الأبدال الأربعين رجال الغيب بجبل لبنان فكل هذا ونحوه من قول أهل الإفك والبهتان »^(٢) .

وقال ابن خلدون عن هؤلاء المتصوفة الذين ابتدعوا هذه المراتب والوظائف للأولياء :

« إن هؤلاء المتأخرین من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه وملئوا الصحف منه مثل الheroی في كتاب المقامات له وغيره وتبعهم ابن

(١) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (٤٤٢/١١) وأخرج هذا الحديث البخاري بنحوه

(٢) وأحمد في « المستند » (٥/٨٨) .

(٣) نفس المرجع (٤٤٣/١١) .

عربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنعم الإسرائييلي في قصائدهم وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرة من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة مذهبًا لم يعرف لأولهم فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم وظهر في كلام المتتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان وقد أشار إلى ذلك ابن سينا في كتاب «الإشارات» في فصول التصوف منها فقال : « جل جناب الحق أن يكون شرعي لكل وارد أو يطلع عليه إلا واحد بعد الواحد » وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي وإنما هو من أنواع الخطابة وهو بعينه ما تقوله الرافضة ودانوا به ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء ^(١) .

وقال أحمد أمين المصري :

« إن الصوفية اتصلت بالتشيع اتصالاً وثيقاً وأخذت فيما أخذت عنه فكرة المهدي وصاغتها صياغة جديدة وسمته قطباً وكانت مملكة من الأرواح على نمط مملكة الأشباح وعلى هذه المملكة الروحية القطب وهو نظير الإمام أو المهدي في التشيع والقطب هو الذي يدبر الأمر في كل عصر وهو عماد السماء ولو لا وقعت على الأرض ويلي القطب النجباء » ^(٢) .

ومما سبق يتبين لنا أن القول بهذه المراتب التي وضعها المتتصوفة ما

(١) « مقدمة ابن خلدون » الفصل الحادي عشر في علم التصوف (ص ٤٧٣) .

(٢) « ضحي الإسلام » لأحمد أمين (ص ٢٤٥) .

هي إلا بدعة قلد فيها المتصوفة للشيعة وليس من الإسلام في شيء وأن قول المتصوفة بأن هذا الكون يسironه هؤلاء المجموعة الذين أطلقوا عليهم هذه المراتب والأسماء محض افتراء وكذب وبهتان لا أساس له من الصحة وذلك لأن هذا الكون ملك لله سبحانه وتعالى من سماوات وأرضين ولذا فهو المسير له سبحانه والمتصف فيه لا يشركه في هذا لا ملك مقرب ولانبي مرسلاً ولا ولبي صالح عابد لله فضلاً عن أن يشركه فيه دجاجلة المتصوفة وكهانهم .

يقول الشيخ حسين بن مهدي النعيمي في معرض رده على المتصوفة الذين يزعمون أن الأولياء لهم القدرة على التصرف في هذا الكون ويقضون حوائج من توجه إليهم :

« وبالجملة فاختصاصه تعالى بكونه القوي القادر القاهر يدبر الأمر وحده وغير ذلك من أسمائه وصفاته أمر ظاهر منكشف وحدار من الاستدراك عليه بقولك : إلا من جعله الله قاهراً مدبراً للأمر ، كما تجاسر خواص عباد الموتى فإنه زيادة مضادة للمعنى المقصودة بتلك الأسماء والصفات .

وإن زعمت أن أول ذلك الاستدراك وعقد القلب عليه بمانع المضادة المذكورة فقل لي هل أتاك به عن الله من سلطان صحيح بل هل هو موافق للفطرة السليمة والعقل الصحيح وبماذا تجيب السريع الحساب بعد نزولك دار الملامة؟؟ فإياك والهوى في مزالق التقليد الأعمى ومتالفة المهلكة بنسبة خصائص الفقير العاجز إلى القوي الغني الحميد فما أشنعها من فرية وتعطيل وما أقبحه من جهل بما لل العلي الجليل .

هذا الله العزيز الحكيم يقول : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًّا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَبْتَثَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٌ ﴾ (١) . هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه بل ظالموн في ضلال مبين ﴿ (٢) .

ويقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمْسِكُمْ ثُمَّ يُحِيِّكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ ﴾ (٣) .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٤) .

ثم قال الشيخ : « وكذلك إخراج شيء من مقتضيات أسماء ربنا سبحانه وتعالى وصفاته عن محله لآيات : ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٥) .

ونسبة ما للقوى القادر إلى الضعيف العاجز من ربوبية أو إلهية ومعبدية أو مقتضياتهما ، حسب أو مثلاً وما في معناهما أقبح شرك بالله وتنديد.

يقول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ ﴾ (٦) .

ويقول سبحانه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَحَدَّدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ

(١) « لقمان : (١٠ - ١١) .

(٢) الروم : (٤٠) .

(٣) الحديد : (٣) .

(٤) الحج : (٧٤) .

(٥) الأنعام : (١) .

اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًّا لِلَّهِ ﷺ»^(١).

ثم قال الشيخ : « ولكننا لا نعلم أن الله سبحانه وتعالى جعل شرك القوم وتنديدهم هو ذهابهم إلى اتخاذ الند والشبيه له صفات ربوبيته من حكمته وعلمه وقدرته وقوته وصفة الخلق والرزق والإحياء والإماتة وغيرها فأضافوها إلى أندادهم وجعلوها مثلاً له في ذلك متصفه بتلك النعوت أو أن المسألة لها كانت شركاً بأولئك الآلهة لأن التصرف والتصريف استقلالاً أو نيابة أو لأن لها بالبعد عنها والاستشفاع بها أثراً مقطوعاً بحصوله ونيله كما ترى عليه اليوم بعض عباد القبور أو عاقبهم فيما يصفون لها بل غاية ذلك فيما قص الله علينا - أن شفاعتهن لترتجي .

وحاصل الأول أن القصد الأول وهو الحاصل بالتوجه والمسألة إذ هما عينه واقع لا ما وراءه من نية أنها هي المحصلة لما سأله لتأهلها وصححة انبعاثه عن تأثيرها فلا نعلم .

ولكن القوم عمدوا إلى ما تقتضيه تلك الصفات العلا وتستتبعه وتنادي به أن يكون من الآثار وال العلاقات المعمولة بحسب ما ينبغي ويتجه لتلك الصفات فنقلوه عن هذه الجهة وقطعوه منها إلى غيرها وصرفوه لذلك الغير كدعاء الأوثان والتأله لأحد من الأغيار ثان وحكم بسوى ما رسمه منزل القرآن وسوق الهدايا إلى ما لم يأذن به والقربان والتعلق في نفع أو دفع بعد ميت أو مكان أو زمان على النحو الذي سمعت فيما مر لك أيها الإنسان .

وشائع شرك الوثنية وعامته هو فيما يعلم كل عاقل من هذا القبيل ولقد تتبعنا في كتاب الله من فصول تراكييه وأصول أساليبه فلم نجده تعالى حكى

(١) البقرة : (١٦٥) .

عن المشركين أن عقيدتهم في آلهتهم وشركائهم التي عبدوها من دونه أنها تخلق وترزق وتحيي وتميت وتنزل من السماء ماءً وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي .

بل إذا صاح عليهم الأمر واشتد بهم الكرب فزعوا إلى الله وحده فإذا سئلوا عن حقيقة دينهم هل هو شرك في الربوبية دانوا وأذعنوا للرب وحده بالاختصاص بكل ذلك والانفراد وهذا واضح لمن ألقى السمع للقرآن فيما حكى عنهم بقوله : ﴿ قُلْ لَمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ^(٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ^(٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَعْقُونَ ^(٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلْكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يَجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ^(٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَإِنِّي تُسْحِرُونَ ^(١) .

ثم قال : « فتأمل ذلك وتصفحه بفكر صاف ونظر ثاقب وعقل سليم وتدبر صحيح سيما من بيده كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه .

واعتبر عقائد عباد الموتى وصرفهم التدبير الإلهي بالملحظة لما لم يقع ليقع وال نسبة لما وقع إليها قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نَعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ تُؤْفَكُونَ ^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمْتَكِّمُ ثُمَّ يُحِيِّكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ ^(٣) .

(١) المؤمنون : (٨٩ - ٨٤).

(٢) فاطر : (٣).

(٣) الروم : (٤٠).

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُمْ مُنَبِّهِنَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَخَدْتُمْ مَنْ دُونَهُ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًا قُلْ هَلْ يَسْتُوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتُوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾^(٢) .

ثم قال رحمه الله :

« تأمل دين عباد القبور اليوم خصوصاً الغالين منهم إذا مسهم الضر أنابوا إليه ويررون قاتلهم الله « إذا دهمتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور » ثم يذوقون الرحمة من الله مع كفرهم هذا فيقولون : كرامة الشيخ وبرهانه وإذا أخفق سعيهم يقولون : هو غائب أو ساخت .

وهذه قضية واقعة فاشية في الكثير أو الأكثر وإن السالم من حماها نظر لا يكاد يذكر والاستفهام في قوله تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ وقوله : ﴿ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ وقوله : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يؤتى بمثله للتقرير على المخاطب بما يعلمه وهو أمر ثابت عنده .

ومن المعلوم أن خالق الحب والنوى وبارئ النسيم عندهم هو الله العلي العظيم فانظر هداي الله وإياك بعين الاعتبار وتأمل بقلب شهيد قول الله تعالى : ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكْتُ أَيْمَانَكُمْ مِنْ

(١) الروم : (٣٣) .

(٢) الرعد : (١٦) .

شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَإِنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَحِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴿١﴾ .

وقوله : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيَّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرَ الْأُمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَقَوَّنَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرِفُونَ ﴿٢﴾ . ﴿٢﴾ .

وقوله : ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ .

وقوله : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدِأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدِأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَإِنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ .

وقوله : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبِعَ أَمْنَ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٥﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلِبُهُمُ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفُ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٦﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ

(١) الروم : (٢٨) .

(٢) يونس : (٣٢ - ٣٣) .

(٣) يونس : (٣٣) .

(٤) يونس : (٣٤) .

(٥) يونس : (٣٥) .

(٦) الحج : (٧٣) .

﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يَعْثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرٌةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ .^(١)

ثم قال بعد أن ذكر هذه الآيات :

« واعلم أن ذكرنا لهذه الآيات الكريمة عظة لمن يقول : إنني من المسلمين وإيقاظاً له إن كان ممن عمه داء عباد القبور فيتفقد نفسه ويحذر من كيد عدوه ويعرف لماذا قص الله من أنباء من سبق ونعني أفعالهم وجعلها آيات تتلى وبتها في العالمين وكررها في كتابه الحكيم المبين ليعلم أن الشيطان الذي أضل السابقين وأوقعهم في الشرك الويل لم يسامنه ولم تضع أوزاره بين أمة محمد ﷺ وأن أمة محمد لم تغير سنن الله فيها ولا طبائع البشرية المعرضة للغفلة والنسيان والجهل والكفر والفسق والعصيان فمن علم ذلك أخذ حذره دائمًا وكان على بصيرة من أمره فلم يقدم على عمل إلا على هدى من كتاب ربه ونور من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم تسلیماً كثيراً .

فينظر العبد : أي شيء هو في هذه المقامات وهل دب فيه غائلة هذا من داء الأمم وهو لا يشعر »^(٢) .

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) :

(١) النحل : (٢٠ - ٢٢) .

(٢) « معارج الألباب في مناهج الحق والصواب » لحسين بن مهدي التعمي (ص ٢٠٥ - ٢٠٠) باختصار .

(٣) الأعراف : (٥٤) .

« ألا أداة يفتح بها القول الذي يهتم بشأنه لأجل تبنيه المخاطب لمضمونه وحمله على تأمله والخلق في أصل اللغة التقدير وإنما يكون في شيء يقع فيه واستعمل بمعنى الإيجاد بقدر أي ألا إن لله الخلق فهو الخالق المالك لذوات المخلوقات وله فيها الأمر وهو التشريع والتكون والتصرف والتدبير فهو المالك والملك لا شريك له في ملكه ولا في ملكه »^(١).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا أيضاً تحت قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنِّي خَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ الآية :

« بدأ بنفي القدرة على التصرف فيما ليس من شأن البشر التصرف فيه لعدم تسخير الله تعالى إياه لهم بإقدارهم على أسبابه وثني بنفي علم الغيب الخاص بالله تعالى فقال : ﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ أي لا أقول لكم إنني أعلم الغيب وهو ما حجب الله علمه عن الناس بعدم تمكينهم من أسباب العلم به كونه مما لا تدركه مشاعرهم الظاهرة والباطنة لأنها لم تخلق مستعدة لإدراكه ولا لطرق الاستدلال عليه أو لأنها مستعدة له بالقوة غير متمكنة من أسبابه بالفعل كعالم الآخرة فالغيب من جنس المعلومات كخزائن الله من جنس المقدورات يراد بهما ما اختص بالله تعالى فلم يمكن عباده من علمه والتصرف فيه أي لم يعطهم القوى ولم يسخر لهم الأسباب الموصلة إلى ذلك . . . ».

ثم قال بعد كلام طويل :

« فعلم مما قررناه أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لم يعطوا علم الغيب بحيث يكون إدراكه من علومهم الكسبية كما أنهم لم يعطوا قوة

(١) « تفسير المنار » لمحمد رشيد رضا (٤٥٤/٨).

التصرف في خزائن ملك الله وهي ما لم يمكن البشر من أسبابه فيكون من أعمالهم الكسبية ولا أعطاهم إياه أيضاً على سبيل الخصوصية كما أظهرهم على بعض الغيب الذي هو موضع الرسالة ونفي ادعاء الرسول لكل من الأمرين يتضمن التبرؤ من ادعاء الإلهية أو ادعاء شيء من صفات الإله وهو أولى ويستلزم الأول لأن كلاً منها خاص بالإله الذي هو على كل شيء قادر وبكل شيء علیم وقدرته وعلمه صفتان ذاتيتان له ويتضمن بيان جهل المشركين بحقيقة الإلهية وحقيقة الرسالة إذا كانوا يقترحون على الرسول من الأعمال ما لا يقدر عليه إلا من له التصرف فيما وراء الأسباب ومن الإخبار بما يكون في مستقبل الزمان ما لا يعلمه إلا من كان علم الغيب صفة له كسائر الصفات . . .

وإذا كان الله تعالى لم يؤت الرسل ما لم يؤت غيرهم من أسباب التصرف في المخلوقات ومن علم الغيب وكان كل من التصرف بالقدرة الذاتية وعلم الغيب خاص به عز وجل يستحيل أن يشاركه فيه غيره فمن أين جاءت دعوى التصرف في الكون وعلم الغيب لمن هم دون الرسل منزلة وكرامة عند الله تعالى من المشائخ المعروفين وغير المعروفين حتى صاروا يدعون من دون الله تعالى ما عز نيله بالأسباب والسنن الإلهية .

وقد قال المفسرون أن نفي النبي ﷺ لهذين عن نفسه هو عبارة عن نفي ادعاء الإلهية وبيان لكون ما اقترحوه عليه مما لا يقدر عليه غير الله تعالى فضلال المشركين في فهم الرسالة وجعلهم إياها شعبة من الربوبية لا يزال متشاراً في أذهان الناس حتى بعض المؤمنين باسم القرآن المتبarkين بحمله مصحفه وورقه وبالتجني به في المآتم وغيرها الجاهلين بما أنزل لبيانه من توحيد الله تعالى وشئون ربوبيته وألوهيته ومن حقيقة الرسالة ووظيفة

الرسل ومن معنى الجزاء على العقائد والأعمال دع ما دون هذه الأصول
 الثلاثة من أمور الدين إذ نرى بعض هؤلاء المعدودين في عرفهم وعرف
 الناس من أتباع القرآن يدعون التصرف في خزائن الله وعلم الغيب لمن دون
 الرسل «^(١)».

وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في كتابه الذي ألفه في الرد على
 من ادعى أن للأولياء تصرفًا في الحياة وبعد الممات في سبيل الكرامة :

« هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء
 تصرفات في حياتهم وبعد الممات ويستغاث بهم في الشدائيد والبلائيات وبهم
 تكشف المهامات فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات مستدلين على
 أن ذلك منهم كرامات قالوا : منهم أبدال ونقباء وأوتاد ونجاء وسبعون
 وسبعة وأربعون وأربعة والقطب هو الغوث للناس وعليه المدار بلا التباس
 وجوزوا لهم الذبائح والنذر وأثبتو لهم فيها الأجور قال : وهذا الكلام فيه
 تفريط وإفراط بل فيه ال�لاك الأبدي والعقاب السرمدي لما فيه من روائح
 الشرك المحقق ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ومخالفة لعقائد الأنمة وما
 اجتمعت عليه الأنمة وفي التنزيل : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ
 الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُولَهُ مَا تَوَلَّٰ وَنُصْلِهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٢)
 إلى أن قال : الفصل الأول فيما انتحلوه من الإفك الوخيم والشرك العظيم
 ... إلى أن قال : فأما قولهم أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات
 فيرده قوله تعالى : ﴿إِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾^(٣) قوله : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ﴾

(١) «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا (٤٢٥ - ٤٢٢/٧) باختصار .

(٢) النساء : (١١٥) .

(٣) النمل : (٦١) .

رَبُّ الْعَالَمِينَ^(١) وقوله : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) ونحوه من الآيات الدالة على أنه المتفرد بالخلق والتدبير والتصريف والتقدير ولا شيء لغيره في شيء ما بوجه من الوجوه فالكل تحت ملكه وقهره تصرفًا وملکًا وإحياء وإماتة وخلقاً وتمدح الرب سبحانه بانفراده في ملكه بآيات من كتابه كقوله : ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾^(٣).

وقوله : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾^(٤).

وذكر آيات في هذا المعنى ثم قال : فقوله في الآيات كلها ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي من غيره فإنه عام يدخل فيه من اعتقدته من ولی وشیطان تستمدہ فإن من لم يقدر على نصرة نفسه كيف يمد غيره إلى أن قال : فكيف يتصور لغيره من ممكن أن يتصرف إن هذا من السفاهة لقول وخيم وشرك عظيم إلى أن قال : « وأما القول بالتصريف بعد الممات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصريف في الحياة ثم ذكر الآيات التي تدل على أن كل بني آدم وغيرهم من المخلوقات ميتون وذكر الحديث الذي يدل على أن ابن آدم إذا مات انقطع عمله إلا من إحدى ثلاث المستثنية في الحديث وهي الصدقة الجارية والولد الصالح الذي يدعو لوالديه والعلم النافع ».

ثم قال : « فجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت وأن أرواحهم ممسكة وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان فدل ذلك أن ليس للميت تصرفًا في ذاته فضلاً عن غيره بحركة وأن روحه

(١) الأعراف : (٥٤).

(٢) المائدة : (١٢٠).

(٣) فاطر : (٣).

(٤) فاطر : (١٣).

محبوسة مرهونة بعملها من خير وشر فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره فالله سبحانه يخبر أن الأرواح عنده وهؤلاء الملحدون يقولون أن الأرواح مطلقة متصرفة قل أأنتم أعلم أم الله ॥ .

ثم قال : « وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات لهم من الكرامات فهو من المغالطة لأن الكرامة شيء من عند الله يكرم بها أولياءه لا قصد لهم فيها ولا تحدي ولا قدرة ولا علم كما في قصة مريم بنت عمران وأسيد بن حضير وأبي مسلم الخولاني » .

ثم قال : « وأما قولهم : فيستغاث بهم في الشدائـد . فهذا أقبح مما قبله وأبدع لمصادمته قوله جل ذكره : ﴿أَمْنٌ يُجِيبُ الْمُضْطَرَ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾^(۱) .
وقوله : ﴿قُلْ مَنْ يُنْجِيْكُمْ مِنْ ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ .

وذكر آيات في هذا المعنى ثم قال : فإنه جل ذكره قرر أنه الكاشف للضر لا غيره وأنه المتعين لكشف الشدائـد والكرب وأنه المتفرد بإجابة المضطرين وأنه المستغاث لذلك كله وأنه القادر على دفع الضر وال قادر على إيصال الخير فهو المنفرد بذلك فإذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من ملك ونبي وولي ^(۲) .

وقال الشيخ السيد محمد صديق حسن وهو يتحدث عن الأشياء التي يختص الله بها سبحانه وتعالى دون غيره من المخلوقات وأن أحداً إذا صرفها لغيره يصبح قد وقع في الشرك .

(۱) النمل : ۶۲ .

(۲) « تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد » (ص ۲۳۲) .

قال : « الشيء الثاني أن التصرف في العالم بمحض الإرادة أي من دون أسباب عادية كتصرفه تعالى بلفظ كن والقضاء بكل شيء والإحياء والإماتة وتوسيعة الرزق وتقديره والصحة والمرض والفتح والهزيمة والإقبال والإدبار وإنجاح المرام وقضاء الحاجات ودفع البليات والإعانة في المشكلات والإغاثة عند حلول الآفات وفي أوقات المكرورات كل ذلك شأن الله تعالى ليس هذا شأن لأحد من الأولياء والأنبياء والمشائخ والشهداء والجن والشياطين والملائكة .

فمن ثبت مثل هذا التصرف لأحد غير الله ويطلب منه المرادات وينذر على هذا التوقع ويوجب على نفسه النذور لهم ويدعوهم عند المصائب والمصاعب فهو مشرك بالله الذي لا إله إلا هو ولا حكم إلا له وحده لا شريك له .

ويقال لهذا الإشراك في التصرف أي إثبات التصرف لغير الله كإثباته لله تعالى سواءً اعتقد أن قدرة هذا التصرف حصلت له بنفسه أو أعطاه الله إياها فالشرك ثابت على كل حال ^(١) .

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري تحت عنوان « شرك الربوبية ومظاهره في الأمة الإسلامية » :

« ... وهذا بيان مقتضب لتلك المظاهر الشركية في بعض أفراد الأمة الإسلامية نذكرها تحذيرًا منها وتعليمًا بأن عقيدة المؤمنين الحقة خلو من كل مظاهر الشرك وأثاره لابتنائها على هدي الكتاب والسنة كتاب الله وسنة رسوله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(١) « الدين الخالص » لمحمد صديق حسن (٣٠٤ / ٣٠٥) .

١ - اعتقاد كثير من عوام المسلمين وأشباههم أن هناك في الكون أقطاباً وأبدالاً من الأولياء والصالحين لهم قدر من التصرف معين في حياة الناس فهم يولون ويعزلون ويعطون ويمعنون ويضرون وينفعون كما شاع بين عوام المسلمين أن لهؤلاء الأقطاب والأبدال ديواناً يطلق عليه ديوان الصالحين منه تصدر القرارات والمراسيم بربح فلان وبحاجة وخيبة فلان وخسارته ومن هنا تعلقت قلوب كثير من الناس بالصالحين وهتفت بهم الألسنة واستغيث بهم ودعوا عند الشدائيد ونودوا للخلاص من المحن وهو مظهر واضح للشرك في الربوبية لما فيه من اعتقاد التصرف والتدمير في الكون لغير الله تعالى أو له ولغيره معه سبحانه وتعالى .

٢ - اعتقاد كثير من المنتسبين إلى العلم أن لأرواح الأولياء والصالحين تصرفاً بعد موتهم وشاع هذا الاعتقاد الكاذب الباطل ورسخ في نفوس كثير من المسلمين حتى أصبحت الأضرحة والمشاهد والقبور ملاداً لكل خائف ومستشفى لكل مريض فمن أصحابه كرب أو نزل به ضييم أو حلت به نكبة فزع إلى تلك الأضرحة والمشاهد والقبور وأناخ بساحتها وتعلق بأهداب أصحابها راجياً منها تفريح كربه وقضاء حاجته . . . وهذا من خصائص الربوبية إذ هو من التدمير للخلق الذي اختص به رب تبارك وتعالى

ثم قال :

٣ - تقديس المشايخ من رجال التصوف والطريقين والمشعوذين وطاعتهم في غير طاعة الله فقال : وطاعة رسوله بل فيما هو مكروه لله ورسوله عليه السلام وقبول ما يشرعون لهم من البدع وما يسنون لهم من سنن الباطل واتباعهم في ترك الهدى ومعاداتها ومعاداة أهلها والداعين إليها والاستجابة المطلقة لهم بحيث يمكنونهم من نفوسهم فيسلطون عليها ومن أرواحهم

فيهيمون عليها فاعتقدوا فيهم أنهم يعلمون سرهم ونجواهم وأنهم يكاشفونهم في كل أحوالهم ويطلعون منهم على كل مخبآت نفوسهم فذلوا لهم وهانوا وضعفوا أمامهم واستكانوا لهم حتى مكنوهم من أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

فهل هذا الخضوع والذل والطاعة المطلقة والتسلیم التام لهم لا يعد شركاً في ربوبية الله تعالى وهل أولئك الرجال الذين استعبدوهم لا يعدون أرباباً والله لهم «^(١)».

والخلاصة التي نخرج بها من هذا المطلب بعد أن أوردنا أدلة عديدة من كتاب الله عز وجل تدل على تفرد الله سبحانه وتعالى بخلق هذا الكون وتصريفه وأنه لا يشركه فيه أحد من خلقه كائناً من كان وذكرنا نبذة من أقوال العلماء قديماً وحديثاً يتبيّن لنا بوضوح وصراحة لا غموض فيها أن موقف الإسلام من المراتب التي ابتدعها المتصوفة للأولياء والوظائف التي ادعوها بأنهم أهل لها هو الرفض التام وذلك لأنها تتصادم مع العقيدة الإسلامية والتي تؤكّد بأن هذا الكون المتصرف الوحيد فيه هو الله سبحانه وتعالى وأنه لا يشركه فيه لا ملك مقرب ولانبي مرسلاً ولا ولی محظوظ عند الله وذلك لأن التصرف في هذا الكون من شأن ربوبية خاص به سبحانه وتعالى وكما رأينا في أقوال العلماء التي مرت آنفاً يعتبر الاعتقاد بأن في هذا الكون أحداً من الخلق له التصرف التام في هذا الكون شركاً بالله عز وجل ويدخل في هذا الحكم أولئك المتصوفة الذين يعتقدون أن هذا الكون تسييره مجموعة من الأولياء كما سبق لنا في المطلب الأول من هذا المبحث حيث أوردنا نصوصاً

(١) «عقيدة المؤمن» للشيخ أبي بكر الجزائري (ص ٧٥).

كثيرة تثبت بأن المتصوفة يعتقدون هذا والذي نرجوه من المتصوفة هو أن يتراجعوا عن هذه المعتقدات الوثنية ويرجعوا إلى عقيدة التوحيد الصافية التي جاء بها محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والتسليم إذا أرادوا النجاة والفوز في الدنيا والآخرة وذلك لأن أي مدعو من دون الله لا يستطيع أن يقدم أي عون لمن يتوجه إليه بالدعاء والاستغاثة ومما يدل على هذا الآيات التالية :

أولاً : قوله تعالى : ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الْضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾^(١).

ثانياً : قوله تعالى : ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِيكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾^(٢).

ثالثاً : قوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قَطْمَرٍ ﴾^(٣) إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُونَ دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُفُّرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ^(٤).

* * *

(١) الإسراء : (٥٦).

(٢) سبا : (٢٢).

(٣) فاطر : (١٣ - ١٤).

المبحث الثالث

اعتقادهم بأن الأولياء يعلمون الغيب
وتحت مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي ثبت
بأنهم يعتقدون بأن الأولياء
يعلمون الغيب .

المطلب الثاني : بيان أن علم الغيب خاص بالله
تعالى وحكم من يدعي علم
الغيب .



المطلب الأول

ذكر النصوص التي تثبت بأن الصوفية يعتقدون بأن الأولياء يعلمون الغيب

لقد ادعى الصوفية بأن الأولياء يعلمون الغيب كله وأنه لا يغيب عنهم شيء حتى أنهم ليعلمون ما في اللوح المحفوظ فضلاً عن الأشياء الموجدة في هذا الكون معنا بل أنهم يعلمون العوالم كلها على ما هي عليه بكل ما فيها من فروق من المبدأ إلى المعاد وأنهم يعلمون كل شيء كيف كان وكيف هو كائن وكيف يكون ويعلمون ما لم يكن لو لم يكن يعلمون كل ذلك علمًا أصلياً حكماً كشفيًا ذوقياً وأنه لا يخفى عليهم شيء في الأرض ولا في السماء وهذا ما سيتضح لنا إن شاء الله الآن حينما نسرد النصوص التي تثبت بأن المتصوفة بالفعل رفعوا الأولياء إلى منزلة الإله في معرفة الغيب وأن الإنسان حينما يقرأ هذه النصوص التي سأوردها عنهم سيقتصر بأن المتصوفة بالفعل يعتقدون في الأولياء ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله سبحانه وتعالى لأنه هو الذي يعلم الغيب وحده وهو أنا أشرع في ذكر النصوص التي تثبت بأن المتصوفة يعتقدون أن الأولياء يعلمون الغيب كله ولا يخفى عليهم شيء.

* من الصوفية الذين زعموا أن الأولياء يعلمون الغيب عبد الكريم الجيلي فقد زعم بأنه رأى العوالم العلوية والسفلى بعد أن كشف الله له الحجب وأنه شاهد الملائكة جمیعاً وتبادل الحديث معهم والرسل والأنبياء

إليك نص كلامه في هذا المجال قال :

« وفي هذا المشهد اجتماع الأنبياء والأولياء بعضهم بعض أقامت فيه بزبيد بشهر ربيع الأول سنة ثمانمئة من الهجرة النبوية فرأيت جميع الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والأولياء والملائكة العالين والمقربين وملائكة التسخير ورأيت روحانية الموجودات جميعها وكشفت عن حقائق الأمور على ما هي عليه من الأزل إلى الأبد وتحققت بعلوم الألوهية لا يسع الكون أن نذكرها فيه .

ثم زعم بأنه رأى نوحاً عليه السلام في السماء الثانية جالساً على سرير خلق من نور الكبراء بين أهل المجد والثاء فسلم عليه وتمثلت بين يديه فرد على السلام ورحب به وقام .. إلى أن قال : وروحانية الملك الحاكم على جميع ملائكة هذه السماء عجائب من آيات الرحمن وغرائب من أسرار الأكون لا يسعنا إذاعتها في أهل هذا الزمان » .

ثم واصل الجيلي افتراطاته فادعى بأنه رأى في السماء الثالثة يوسف عليه السلام وأنه دار بينهما حديث وأنه كان يعلم تلك العلوم التي أخبره بها يوسف قبل أن يتفوه بها .

حيث قال : « اجتمعت في هذه السماء مع يوسف عليه السلام فرأيته على سرير من الأسرار كائناً عن رمز الأنوار عالماً بحقيقة ما انعقدت عليه أكلة الأحبا متحققاً بأمر المعاني مجاوزاً عن قيد الماء والأواني فسلمت عليه تحية وافد إليه فأجاب وحيا ثم رحب بي » ثم زعم الجيلي أن السماء الرابعة هي قلب الشمس وأن فيها إدريس وأن أكثر الأنبياء في دائرة هذا الفلك المكين مثل عيسى وسليمان وداود وإدريس وجرجيس .. وغيرهم .

وهنا كما نرى ذكر الجيلي اسم نبي لم نجد له ذكر في القرآن ولا في السنة فمن أين علم ذلك !!؟

ثم واصل الجيلي وصفه للسماءات وما تحتويها فقال في وصف السماء

الخامسة :

« هي سماء الكوكب المسمى بهرام وحاكم هذه السماء هو الملك المسمى عزراائيل وهو روحانية المريخ صاحب الانتقام والتوبيخ » .

وذكر الجيلي أيضاً أنه رأى في السماء السادسة موسى عليه السلام ودار بينهما حديث طويل .

ثم قال : إنه رأى في السماء السابعة إبراهيم عليه السلام قائماً في هذه السماء وله منصة يجلس عليها على يمين العرش من فوق الكرسي وهو يتلو آية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكَبِيرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ...﴾ .

إلى أن قال إنه صعد سدرة المنتهى وأنه رأى هناك الملائكة وأنها على هيئات مختلفة وأمامهم سبعة ثم ثلاثة ثم ملك مقدم يسمى عبد الله وأنهم أخبروه أنهم لم يسجدوا لأدم^(١) .

ثم بدأ عبد الكريم الجيلي في وصف الأرضي السبعة فقال :

« أما الطبقة الأولى من الأرض فأول ما خلقها الله تعالى كانت أشد بياضاً من اللبن وأطيب رائحة من المسك فاغترت لما أهبط آدم عليها بعد أن عصى الله تعالى وهذه الأرض تسمى أرض النفوس ... دورة كرة هذه

(١) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي .

الأرض مسيرة ألف عام ومائة عام وستة وستون عاماً ومائتا يوم وأربعون يوماً . . . ثم سلك الإسكندر الجانب الجنوبي وهو الظلمات حتى بلغ ياجوج وmajog وهم في الجانب الجنوبي من الأرض لم تطلع الشمس على أرضهم أبداً ثم سلك الجانب الشمالي حتى بلغ محلاً منه لم تغرب الشمس فيه وهذه الأرض يقضاء على ما خلقها الله تعالى عليه هي مسكن رجال الغيب وملكها الخضر عليه السلام وهي قريبة من أرض بلغار وبلغار ، بلدة في العجم لا تجب فيها صلاة العشاء أيام الشتاء لأن شفق الفجر يطلع قبل غروب شفق المغرب فيها . . . وهذه الأرض أشرف الأرضي وأرفعها قدرأ لأنها محل النبيين والمرسلين والأولياء والصالحين »^(١) .

ثم تطرق الجيلي لذكر المعجزات التي وهبها الله لداود وسليمان عليهما السلام وصرح بأن هذه المعجزات ليست مقصورة عليهما بل الأقطاب والأفراد من الأولياء يشاركونهم فيها بل ويزيدون عليها وهذا نص كلامه :

« وهذا الأمر الذي جعله الله لداود وسليمان عليهما السلام غير محصور فيهما ولا مقصور عليهما وإلا فكل واحد من الأفراد والأقطاب له التصرف في جميع المملكة الوجودية ويعلم كل واحد منهم ما اختلرج في الليل والنهار فضلاً عن لغة الطيور وقد قال الشبلي رحمه الله : « لو دبت نملة سوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء ولم أسمعها لقلت أني مخدوع أو ممكور بي » وقال غيره : « لا أقول ولم أشعر بها لأنها لا تدب إلا بقوتي وأنا محركها فكيف أقول لا أشعر بها وأنا محركها »^(٢) .

(١) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (ص ٩٧ / ٢ - ١١٢) .

(٢) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (١٢٢ / ١) .

إذا نظرنا في النصوص السابقة نجد أن عبد الكريم الجيلي صرخ بأن الأولياء يعلمون الغيوب بشتى أصنافها فليس هناك من حاجة تخفى على الأولياء كبرت أو صغرت وهذا طبعاً حسب زعمه وإنما فالغيب علمه خاص بالله عز وجل لا يشركه فيه أحد من خلقه .

وقال عبد الكريم الجيلي في مكان آخر من كتابه « الإنسان الكامل » في معرض حديثه عن الأولياء :

« فإذا كشف الحجاب وفتح لهم الباب علم العوالم بأجمعها على ما هي عليه من تفارييعها من المبدأ إلى المعاد وعلم كل شيء كيف كان وكيف هو كائن وكيف يكون وعلم ما لم يكن ولم لا يكون ما لم يكن ولو كان ما لم يكن كيف كان يكون كل ذلك علمًا أصلياً حكمياً كشفياً ذوقياً من ذاته لسريانه في المعلومات علمًا إجماليًا تفصيلاً كلية جزئياً مفصلاً في إجماله ومنهم من تجلى الله عليه بصفة السميع فيسمع نطق الجمادات والنباتات والحيوانات وكلام الملائكة واختلاف اللغات وكان بعيد عنه كالقريب »^(١).

وهكذا كما رأينا في النصوص السابقة التي أوردتها عن عبد الكريم الجيلي نرى بوضوح كامل بأنه ادعى أن الأولياء يعلمون علم الغيب وأنه بهذا القول فقد زعم بأن الأولياء يشاركون الله في هذه الخاصية التي أخبرنا بأنها خاصة به وأنه لا يعلم الغيب إلا هو .

* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب عبد العزيز الدباغ فقد زعم هذا الرجل بأن الأولياء يعلمون الغيب وأنه هو بنفسه من الأولياء الكبار الذين يعلمون الغيب ولا يخفى عليهم منه شيء .

(١) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي (٦٤ - ٦٣/١).

فقد قال أَحْمَدُ الْمَبَارِكُ تَلَمِيذُهُ :

« وسمعته رضي الله عنه يقول مرة أخرى السماوات والأرضون بالنسبة إلى كالموzonة في فلة من الأرض يصدر هذا الكلام منه رضي الله عنه وما أشبهه إذا شهدنا منه زيادة بل هو في زيادة دائمًا رضي الله عنه وقد كنت معه ذات يوم خارج باب الفتوح فجعل يذكر لي أكابر الصالحين مع كونه أمياً فقلت : فمن أين تعرفهم ؟ فقال رضي الله عنه : أهل الفتح الكبير مسكن أرواحهم قبة البرزخ فمن رأيناها فيها علمنا أنه من الأكابر ثم جرى بيننا ذكر الشيخ سيدى إبراهيم الدسوقي فقلت هو من الأكابر فجعلت أذكر مناقبه والغرائب التي نقلت من كراماته فقال رضي الله عنه : لو عاش سيدى إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه من زمانه إلى زماننا ما أدرك ما في المقامات ولا ترقى مثل ما ترقى أخوك عبد العزيز - يعني نفسه - من أمس إلى اليوم والله ما قاله أخوك افتخاراً وإنما تعريضاً وتحدى معكم بنعمة الله »^(١).

وقال عبد العزيز الدباغ في معرض حديثه عن بعض الأشياء التي يشاهدها المفتوح عليه وهو الولي :

أما في المقام الأول فإنه يكشف فيه بأمور منها :
أفعال العباد في خلواتهم ومنها مشاهدة الأرضين السبع والسماءات السبع ومنها مشاهدة النار التي في الأرض الخامسة وغير ذلك مما في الأرض والسماء ومن الأشياء التي يشاهدونها اشتباك الأرضين بعضها ببعض وكيف تخرج من أرض إلى أرض أخرى وما تمتاز به عن أرض أخرى والمخلوقات التي في كل أرض ومنها مشاهدة اشتباك الأفلاك بعضها ببعض وما نسبتها من السماوات وكيف وضع النجوم التي فيها ومنها مشاهدة الشياطين وكيف

(١) « الإبريز » للدباغ (ص ١٦٨).

توالدها ومنها مشاهدة الجن وأين يسكنون ومنها مشاهدة سير الشمس والقمر
والنجوم . . .

ثم قال : « وأما ما يشاهده في المقام الثاني فإنه يكاشف بالأنوار
الباقية كما كوشف في المقام الأول بالأمور الظلمانية الفانية فيشاهد في هذا
المقام الملائكة والحفظة والديوان والأولياء الذين يعمرونها .

وأما المقام الثالث : فإنه يشاهد فيه أسرار القدر في تلك الأنوار
المتقدمة .

وأما المقام الرابع : فإنه يشاهد فيه النور الذي ينبعط عليه الفعل
ويتحلل فيه كانحلال السم في الماء فالفعل كالسم والنور كالماء . . .

وفي المقام الخامس يشاهد انزال الفعل عن ذلك النور فيري النور نوراً
والفعل فعلاً والمفتوح عليه لا يغيب عليه ما في الأرحام فضلاً عن غيره»^(١).

وقد بالغ عبد العزيز الدباغ في إثبات علم الغيب للأولياء فزعم أن
الأولياء يعلمون كل الغيوب بما في ذلك الأمور التي ذكرها الله في كتابه
وأخبرنا بأنها من الغيوب التي لا يطلع عليها غيره والتي هي في سورة لقمان
في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمٌ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا
تَدْرِي نَفْسٌ مَّا ذَرَّ بِهَا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ
خَبِيرٌ﴾^(٢) .

حيث ذكر تلميذه ابن المبارك أنه قال :

« قلت للشيخ عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه : أن علماء الظاهر من

(١) « الإبريز » للدباغ (ص ١٥١) وما بعدها .

(٢) لقمان : (٣٤) .

المحدثين وغيرهم اختلفوا في النبي ﷺ هل كان يعلم الخمس المذكورات في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمٌ السَّاعَةَ وَيَنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ خَيْرٌ﴾^(١) .

فقال رضي الله عنه وعن سادتنا العلماء :

«كيف يخفى أمر الخمس عليه والواحد من أهل التصرف من أمته الشريفة لا يمكنه التصرف إلا بمعرفة هذه الخمس»^(٢) .

وقال عبد العزيز الدباغ أيضًا :

«إن الجنين إذا سقط من بطن أمه يراه العارف في تلك الحالة إلى آخر عمره»^(٣) .

وقال أحمد بن المبارك تلميذ عبد العزيز الدباغ :

«سمعت الشيخ عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه يقول : في ذات كل ملك خمسة رؤوس لكل رأس يمين وشمال وفوق سبعة فله فوق تسعه أفواه مجموع ذلك ثلاثة وستون فما في كل رأس فإذا ضربت عدد الرؤوس الخمسة في عدد الأفواه السابقة كان الخارج ثلاثة عشر فم وخمسة عشر فمًا والجمجمة يكون فيه ثلاثة أسنان وقد يكون فيه خمسة أسنان وقد يكون فيه سبعة أسنان فإذا كان فيه ثلاثة فالخارج من ضربها في عدد الأفواه تسعمائة وخمسة وأربعون لساناً وإن كان فيه خمسة كان الخارج ألف لسان وخمسمائة لساناً وخمسة وسبعون لساناً وإن كانت سبعة كان الخارج ألفي لسان ومائتي لسان

(١) لقمان : (٣٤) .

(٢) «الإبريز» للدباغ (ص ٢٧٤) .

(٣) «الإبريز» للدباغ (ص ١٥٣) .

وخمسة ألسن وإذا تكلم الملك بكلمة خرج صوته بها من هذه الألسن كلها
فسبحان الملك الخلاق العظيم^(١).

إذا نظرنا في النصوص المتقدمة نرى بوضوح أن عبد العزيز الدباغ
ادعى بأن الأولياء لديهم المقدرة على علم كل الغيوب حتى تلك الأشياء التي
أخبرنا الله بها في كتابه بأنها خاصة به سبحانه وتعالى ولهذا فقد صرخ الدباغ
بأن الأولياء شركاء لله في معرفة علم الغيب الذي ذكر الله في كتابه بأنه من
خصائصه سبحانه.

وقد ذكرت نماذج من الحكايات التي أوردها عنه تلميذه بأنه اطلع على
أمور كثيرة عن طريق الكشف ومنها ذكره للأوصاف السابقة التي وصف بها
الملائكة وهي أوصاف أتى بها من عند نفسه متبعاً هواه فقط وإنما ليس له
دليل لا من كتاب الله ولا من سنة رسول الله لإثبات هذه الأوصاف
للملائكة الكرام ولكنه اتباع للهوى فقط ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى
من الله.

وقد ذكر تلميذ عبد العزيز الدباغ بأنه سمع شيخه وهو يتحدث في
مراتب الأولياء :

« وسمعته رضي الله عنه يقول : ليس كل من يحضر الديوان من
الأولياء يقدر على النظر في اللوح المحفوظ بل منهم من يقدر على النظر فيه
ومنهم من يتوجه إليه ب بصيرته ويعرف ما فيه ومنهم من لا يتوجه إليه لعلمه
بأنه ليس من أهل النظر إليه قال رضي الله عنه كالهلال فإن رؤية الناس إليه
مخالفة »^(١).

١) « الإبريز » للدباغ (ص ١٦٩).

وأظن بعد هذه النماذج التي ذكرتها عنها قد ثبت لنا بالتأكيد بأن الرجل من المتصوفة الكبار الذين زعموا علم الغيب لأنفسهم وزعموا أن الأولياء يعلمون الغيب .

* ومن الصوفية الذين زعموا أن الأولياء يعلمون الغيب أحمد الرفاعي فقد قال متحدّثاً عن الدرجات التي يمر بها الإنسان حتى يصل إلى مرحلة الغوثية والتي إذا وصلها الإنسان يصبح الغيب عنده كالمشاهدة فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهذا نص كلامه :

« إن العبد ما يزال يرتقي من سماء إلى سماء حتى يصل إلى محل الغوث ثم ترتفع صفتة إلى أن تصير صفة من صفات الحق فيطلعه على غيبه حتى لا تنبت شجرة ولا تخضر ورقة إلا بنظره ويتكلم هناك عن الله بكلام لا تسعه عقول الخلائق . . . وكان يقول : إن القلب إذا تخلى من حب الدنيا وشهوتها صار كالبلور وأخبر صاحبه بما مضى وبما هو آت من أحوال الناس »^(١) .

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن الرفاعي صرّح بأن الولي إذا وصل إلى مرحلة الغوثية يطلعه الله على الغيب فلا يخفى عليه شيء وهذا شرك للولي في خاصة اختص الله بها من بين مخلوقاته وأخبرنا في كتابه بأنه لا يعلم الغيب أحد إلا هو سبحانه وتعالى .

* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب عبد الوهاب الشعراي وهكذا نماذج من كلامه :

فقد قال الشعراي في معرض حديثه عن شيخه وأستاذه علي

(١) « قلادة الجوادر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر » (ص ١٤٨) .

الخواص^(١) البرلس كان رضي الله عنه أمياً لا يكتب ولا يقرأ وكان رضي الله عنه يتكلم على معاني القرآن العظيم والسنة المشرفة كلاماً نفيساً يحتر فيه العلماء وكان محل كشفه اللوح المحفوظ عن المحو والإثبات فكان إذا قال قوله لابد وأن يقع على الصفة التي قال وكانت أرسل له الناس يشاورونه عن أحوالهم فما كان قط يحوجهم إلى كلام بل كان يخبر الشخص بواقعته التي أتى لأجلها قبل أن يتكلم فيتحير الشخص^(٢).

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن الشعراي وصف شيخه بأنه كان يتكلم في تفسير القرآن والسنة بكلام يتحير العلماء تجاهه مع أنه أمي لم يقرأ ولم يكتب فمن أين إذًا هذا العلم الغزير ولعله من اللوح المحفوظ بل إنه من اللوح المحفوظ لأنه زعم بأن شيخه كان محل كشفه اللوح المحفوظ وإذا كان شيخه كذلك فقد زعم الشعراي بأن شيخه شريكًا لله في خاصة اختص الله بها ، وكما هو واضح أمامنا في النص الذي نقلناه عن الشعراي فقد ذكر بأن شيخه كان يعلم ما في ضمائير الناس قبل أن يتحدثوا بما يريدون ونحن نقول هذا لا يمكن أن يكون إلا لله وأن الشعراي ليس بصادق في هذا الكلام ولكن الغلو ومجاوزة الحدود في مقام الأولياء المزعومين دفعه إلى الكذب لهم .

(١) قال عنه الشعراي : ومنهم شيخي وأستاذتي علي الخواص البرلس رضي الله تعالى عنه كان رضي الله عنه أمياً لا يكتب ولا يقرأ وكان رضي الله عنه يتكلم على معاني القرآن العظيم والسنة المشرفة كلاماً نفيساً يحتر فيه العلماء (١١١) وكان محل كشفه اللوح المحفوظ عن المحو والإثبات .. وسمعت سيدي محمد بن عنان يقول الشيخ علي البرلس أعطي التصرف في ثلاثة أرباع مصر . قلت : وهذا كله كذب وافتراء وغلو زائد . انظر : « الطبقات » (٢/١٥٠) .

(٢) « الطبقات الكبرى » للشعراي (٢/١٥٠) .

وقد ذكر الشعراي عن شيخه علي الخواص أنه قال :

« لا يكمل إيمان عبد حتى يصير الغيب عنده كالشهادة في عدم الريب
ويسري منه الإيمان في نفس العالم كله فیأمنوه على القطع على أنفسهم
وأموالهم وأهليهم »^(١).

وقال الشعراي عن إبراهيم العريان^(٢) أنه كان إذا دخل بلد سلم على
أهلها كباراً وصغاراً بأسمائهم حتى كأنه تربى بينهم وكان رضي الله عنه يطلع
على المنبر ويخطب عرياناً فيقول السلطان ودمياط باب اللوق بين القصرين
وجامع طولون الحمد لله رب العالمين فيحصل للناس بسط عظيم . . . وكان
يخرج الريح بحضره الأكابر ثم يقول هذه ضرطة فلان ويحلف على ذلك
فيخجل ذلك الكبير منه^(٣).

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن الشعراي وصف شيخه العريان
الذي كان يخطب عرياناً أمام الناس وهذا طبعاً حرام فإن سترا العورة من
الأشياء التي أوجبها الإسلام ولا ندري كيف وصف الشعراي شيخه هذا
بالولي وهو منحط إلى هذا المستوى والشعراي أورد هذه الحكاية عنه
حتى يثبت بأن الأولياء يعلمون الغيب وهذا يظهر بوضوح في زعمه بأن
شيخه إذا دخل قرية يسلم على أهلها بأسمائهم لأنه يعلم الغيب وعلم
الغيب وصف خاص بالله سبحانه فلا ندري كيف تجرا الشعراي أن يصرح
بأن الأولياء يعلمون الغيب والله عز وجل يقول في كتابه : « عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا

(١) « الطبقات للشعراي » (١٥٦/٢).

(٢) انظر ترجمته في « طبقات الشعراي » فقد وصفه بأوصاف لا تليق بپسان عادي فضلاً عن
يزعم بأنه ولی (١٤٢/٢).

(٣) « الطبقات الكبرى » للشعراي (١٤٢/٢).

يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ^(١)

* ومن الصوفية الذين يزعمون بأن الأولياء يعلمون الغيب على حرام
ابن العربي برادة فقد قال واصفًا شيخه التيجاني :

« . . . ومن كماله رضي الله عنه ونفوذه بصيرته الربانية وفراسته
النورانية التي ظهر مقتضاها في معرفة أحوال الأصحاب وفي غيرها من إظهار
مضمرات وإخبار بمخفيات وعلم بعواقب الحاجات وما يتربّ عليها من
المصالح والآفات وغير ذلك من الأمور الواقعات » ^(٢) .

وقال في « رماح حزب الرحيم » :

« وينبغي على المريد أن يعتقد في شيخه أنه يرى أحواله كلها كما يرى
الأشياء في الزجاجة » ^(٣) .

وقال في « بغية المستفيد » :

« وأما مكاشفته رضي الله عنه بمعنى إخباره بالأمر قبل وقوعه فيقع
وقد ما أخبر به فلا يكاد ينحصر ما حدث به الثقات عنه رضي الله عنه ومن
إخباره بالغيب عن طريق كشفه رضي الله عنه بإخباره بأمور لم تقع إلا بعد
وفاته إما بالتصریح أو التلویح » ^(٤) .

إذا نظرنا في النصوص السابقة نرى بوضوح أن علي حرام قد وصف
شيخه بأنه كان يعلم ما في ضمائير الناس وكان يخبر بالمغيبات ويعلم عواقب

(١) الجن : (٢٦) .

(٢) « جواهر المعانى » (١/٥٣) .

(٣) « رماح حزب الرحيم » (١/٥٢) .

(٤) « بغية المستفيد » (ص ٢٤٧ - ٢٤٦) .

الأمور التي تصير عليها في النهاية وأنه كان يخبر بالأمر قبل وقوعه وأنه ينبغي على كل مريد أن يعتقد أن شيخه مطلع عليه أينما كان وهذه أمور غيبية لا يمكن أن يعلم بها أي مخلوق مهما كان لا ملك مقرب ولانبي مرسلا ولا ولية لأن علم الغيب خاص بالله عز وجل وكما نرى على حرازم فقد اعتقد في شيخه بأنه يعلم الغيب وبذا يصبح بأنه أشرك شيخه في خاصية اختص الله بها من بين مخلوقاته جمیعاً.

* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب إبراهيم الدسوقي حيث ادعى هذا الرجل بأن الأولياء يعلمون كل الغيوب وإليك نص كلامه فقد قال :

«إن للأولياء الاطلاع على ما هو مكتوب على أوراق الشجر والماء والهواء وما في البر والبحر وما هو مكتوب على صفحة قبة خيمة السماء وما في حياة الإنسان والجان مما يقع لهم في الدنيا والآخرة»^(١).

* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب أبو الحسن الشاذلي فقد ادعى هذا الرجل بأن الإنسان قد يصل إلى مرحلة يكشف له فيها كل شيء موجود في هذا الكون بل قد يصل إلى مشاهدة حياة كل شيء ومحبي هذه الأشياء بمعنى أنه قد يصل إلى مرحلة يرى فيها الله وإليك نص كلامه فقد قال :

«من عبد الله باسمه الحي واستغرق فيه ليلاً ونهاراً شاهد حياة كل شيء وكوشف بسر الملك والملكون .

ومن عبد الله باسمه الأحد المحيي وأكثر منه ولا حد لأكثره شاهد

(١) «جمهرة الأولياء» للمنوفي (ص ٢٤٢).

حياة كل شيء ومحيه .

ومن ذكر بهم جمیعاً صعدت روحه إلى الملا الأعلى وصعدت روحه إلى العرش ليكتب عند الله من الكاملين الصديقين «^(١)» .

* ومن الصوفية الذين زعموا أن الأولياء يعلمون الغيب لسان الدين الخطيب فقد ادعى هذا الرجل بأن الإنسان من الممكن أن يصل إلى مرحلة يرى فيها كل الغيبات المحجوبات وإليك نص كلامه قال :

« النفوس عند صفاتها تتشبه بالملا الأعلى وتتنفس فيها أمثلة الكائنات المتعشقة فيه بنوع ما وتشاهد المحجوبات وتأثر في العوالم السفلية » «^(٢)» .

* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب ابن عجيبة الحسني فقد زعم هذا الرجل بأن الله سبحانه وتعالى قد قسم الخلق إلى قسمين قسم وهم العوام والقسم الآخر الخواص الذين يكشف الله لهم الغيبات وإليك نص كلامه فقد قال :

« إن الحق سبحانه قسم الخلق قسمين وفرقهم فرقتين : قسم اختصهم بمحبته وجعلهم من أهل ولايته ففتح لهم الباب وكشف لهم الحجاب فأشهدهم أسرار ذاته ولم يحجبهم عنه بآثار قدرته » «^(٣)» .

* ومن الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب أبو القاسم القشيري فقد ادعى بأن الإنسان وهو يترقى في درجات السلوك التي وضعها الصوفية لمريدهم قد يصل إلى مرحلة يصبح لا يخفى عليه شيء من هذا

(١) « أبو الحسن الشاذلي » للدكتور عبد الحليم محمود (ص ٦١٤) .

(٢) « روضة التعريف بالحب الشريف » (ص ٤٦٣) .

(٣) « إيقاظ الهم في شرح الحكم » لابن عجيبة الحسني (ص ٧٧) .

الكون فقد قال وهو يتحدث في بيان درجات السلوك :

ثم من خلال هذه الأحوال قبل وصوله إلى هذا المقام الذي هو نهاية
كان يرى جملة الكون يضيء بنور كان له حتى لم يخف من الكون عليه شيء
وكان يرى جميع الكون من السماء والأرض ورؤيه عيان ولكن بقلبه وكان لا
يرى في هذا الوقت بعين لأنه شيء ولكن لم يكن هذه رؤيه علم بل لو
تحرك في الكون ذرة أو نملة^(١).

إذا نظرنا في النص السابق نجد أن القشيري ادعى بأن الإنسان قد يصل
إلى مرحلة يرى فيها كل شيء في هذا الكون حتى حركات الذرة والنملة
الصغيرة بمعنى أنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهذا
وصف لا يليق إلا بالله فما أجرأ المتصوفة على الله وتعديهم على حقوقه
ووصف أوليائهم المزعومين بها .

ويقول الشعرياني :

« وأما سيدى على الخواص فسمعته يقول : « لا يكمل الرجل عندنا
حتى يعلم حركات مریده في انتقاله في الأصلاب وهو نطفة من يوم **﴿الست**
بربكم﴾ إلى استقراره في الجنة أو في النار »^(٢) .

وهنا كما نرى في هذا النص فقد ساوي هذا الرجل بين علم الله وعلم
الأولياء فماذا بقي لله؟! سبحانه هذا بهتان عظيم .

* وهذا أحمد الرفاعي يزعم بأن الله أطلعه على سبعة مداين وكل
سكنها لا يذكرون الله وهم ليسوا من الجن ولا من الإنس وأن الله يأمر

(١) « رسالة ترتيب السلوك » للقشيري من « مجموعة الرسائل القشيرية » (٢/٧٣٥).

(٢) « الكبريت الأحمر » (٢/٣).

الملائكة بأخذ ذنوب أمة محمد وقدفها على تلك المدن السبعة وكل من يصاب منهم بذنب من الذنوب التي ارتكبها فرد من أفراد أمة محمد عليه السلام يصبح من أهل الجنة .

إليك نص كلامه فقد قال إبراهيم الأعزب :

« كنت قائماً في بعض الليالي في موضع هناك للسيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه فأيقظني وقال : أي إبراهيم لا أخبرك أظهرني الله سبحانه في هذه الساعة على سبعة مدائن كل مدينة منها بقدر هذه الدنيا سبع مرات وهي مملوئة من الخلق ليسوا من الجن ولا من الإنس وما فيهم من يذكر الله تعالى وكل ليلة عند غروب الشمس يأمر الله تعالى الملائكة فيأخذون ذنوب أمة محمد عليه السلام وينفضوها على تلك المدائن السبعة وكل من أصاب منهم ذنباً فهو من أهل الجنة » ^(١) .

* وهذا أبو العباس أحمد بن أبي الخير الصياد يدعى بأنه يعرف الجنة قسراً ورأى الشمس في العجلة يجرها ملكان وهذا نص كلامه، فقد ذكر عنه صاحب كتاب « المحاسن الغالية » أنه قال :

« والله إني لأعرف الجنة قسراً قسراً وأعرف النار حانوتاً حانوتاً وأعرف أصحابها في الدنيا واحداً واحداً »
وذكر عنه أنه قال أيضاً :

« كشف لي عن الشمس فرأيت ملكين عظيمين يجرانها على العجلة في الفلك من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق » ^(٢) .

(١) « قلادة الجواهر » (ص ١٩٣) .

(٢) « نشر المحاسن الغالية » (ص ٧٦) .

* وهذا علي بن أحمد بن خضر المطوعي المشهور بين الناس بخشيش الحمصاني قال عنه النبهاني :

« أحد أكابر الأولياء العارفين وأخبر بأنه اطلع على بحر الظلمات أي المحيط الأطلسي وأن به بلداً لا تبصر أهلها إلا في الظلمة وأنه رأى خلف جبل قاف أرضًا تتحرك بنفسها تسمى الرجراج ليس بها ساكن وأنه رأى إرم ذات العماد وأنه اجتمع بالخضر عليه السلام فوجده يظهر في صور مختلفة وبالقطب فوجده يلبس كل يوم لباساً غير لون الآخر »^(١).

قيل لأبي يزيد : دخلت إرم ذات العماد؟ فقال : « دخلت ألف مدينة لله في ملكه أدناها ذات العماد ثم عدد المدن وذكرها فقال : « البيته وتاویل وتاریعی وجابلق وجابرس ومسک »^(٢).

وقال البريلوي أحمد رضا مؤسس الطريقة البريلوية إحدى الطرق الصوفية بالقاربة الهندية ناقلاً عن أمثاله من المتصوفة :

« إن النبي لا يخفى عليه شيء من الخمس المذكورة في الآية الشريفة وكيف يخفى عليه ذلك والأقطاب السبعة من أمته الشريفة يعلمونها وهم دون الغوث فكيف بسيد الأولين والآخرين الذي هو سبب كل شيء ومنه كل شيء ». .

ثم قال : « وكيف يخفى أمر الخمس عليه والواحد من أهل التصرف من أمته الشريفة لا يمكنه التصرف إلا بمعرفة هذه الخمس فاسمعوا هذا يا منكرين ولا تكونوا لأولياء الله مكذبين فإن تكذيبهم خراب للدين وسينتقم

(١) « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (٣٧٩/٢).

(٢) « قوت القلوب » لأبي طالب المكي (٧/٢).

الله من الجاحدين وأعادنا الله بعباده العارفين »^(١) .

وقال البريلوي أيضًا :

« الكامل قلبه مرآة الوجود العلوى والسفلى كله على التفصيل ». .

وقال أيضًا : « ليس الرجل من يقيده العرش وما حواه من الأفلاك والجنة والنار وإنما الرجل من نفذ بصره إلى خارج هذا الوجود كله »^(٢) .

ونقل الكلبادى عن أبي عبد الله الأنطاكي^(٣) أنه قال :

« إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فإنهم جواسيس القلوب يدخلون في أسراركم ويخرجون من هممكم »^(٤) .

وقال محمد محبي الدين الأحمدي الشناوى حفيد الشعراوى الصوفى وهو يتحدث عن مناقب جده الشعراوى :

« وكان رضي الله عنه يشهد بقلبه تطور أعماله ثم تصعد إلى أماكنها من السماوات والأفلاك ومعرفة الأملالك الذين شاركهم في العمل من حملة العرش وملائكة الستور والملائكة الذين نصفهم نار ونصفهم ثلج وذلك لأن أعماله الموافقة لأعمالهم تصعد مع أعمالهم إلى حضرة الله تعالى ومعلوم أن أهل كل حرف يعرفون بعضهم »^(٥) .

(١) « خالص الاعتقاد » للبريلوى (ص ٥٣ - ٥٤) نقلًا عن البريلوية لإحسان (ص ٩٢ - ٩٥) .

(٢) نفس المرجع .

(٣) هو أحمد بن عاصم الأنطاكي من أقران بشر بن الحارث والسرى السقطي والحارث المحاسبي وكان أبو سليمان الداراني يسميه جاسوس القلب لحدة فراسته انظر « الرسالة » للقشيري .

(٤) « التعرف لمذهب أهل التصوف » للكلبادى (ص ٣٣) .

(٥) كتاب « المناقب الكبرى » لمحمد محبي الدين الأحمدى الشناوى (ص ١٠٨) .

وقال عبد الله بن محمد المشربي العلوي التيجاني :

« قال لشيخنا التيجاني : إن القطب منذ وقت جلوسه على كرسي القطبانية لا تقع بينه وبين رسول الله حجابية أصلًا وحيثما جال رسول الله من حضرة الغيب ومن حضرة الشهادة إلا وعين قطب الأقطاب متمكنة من النظر إليه لا يحجب عنه في كل لحظة من اللحظات »^(١).

ويقول محمد المهدي السراقي وهو يتحدث عن علم الأولياء ناقلاً عن أحد المتصوفة قال بعض العارفين :

« أرباب القلوب والمشاهدات قد أنطق الله في حقهم كل ذرة في الأرض والسماءات بقدرته التي أنطق بها كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان الواقع الذي هو ليس بعربي ولا أعجمي وليس فيه حرف وصوت ولا يسمعه أحد إلا بالسمع العقلي الملکوتي دون السمع الظاهر الحس الناسوتي وهذا النطق الذي بكل ذرة من الأرض والسماءات مع أرباب القلوب إنما هو مناجاة السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فإنها كلمات تستمد من بحر كلام الله »^(٢).

ويقول أحمد عز الدين عبد الله خلف وهو يتحدث عن الدسوقي ويقرر بأنه من الذين فتح الله لهم الغيوب .

يقول عنه : « صاحب المحاضرات القدسية والمراجعة الأعلى في المعارف والمنهاج الأنسني في الحقائق . . . والباع الطويل في التصريف النافذ والكشف الخارق عن حقائق الآيات والفتح المضاعف في معنى المشاهدات وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود وأبرزه رحمة للخلق

(١) « إنذار وإفادة إلى باائع دينه بالشهادة » لعبد الله بن محمد المشربي (ص ٧٧) .

(٢) « جامع السعادات » لمحمد مهدي السراقي (١٣٦/١) .

وصرفه في العالم ومكنته في أحكام الولاية وقلب له الأعيان وأنطقه بالمعنيات «^(١)».

ويقول محمد بن يحيى التاذفي الحلبي القادري وهو يتحدث عن مناقب أحد القادريين :

« ومنهم الشيخ القدوة حياة بن قيس الحراني رضي الله عنه كان من أجلاء المشائخ وعظماء العارفين . . . صاحب الفتح السنوي والكشف الجلي . . . وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الخلق وصرفه في الوجود وقلب له الأعيان وخرق له العوائد وأنطقه بالمعنيات وهو أحد أركان هذا الشأن وهو أحد الأربعة المتصرفين في قبورهم تصرف الأحياء »^(٢).

ونقلوا عن عبد القادر الجيلاني أنه قال :

وأعلم نبت الأرض كم من نباتة وأعلم رمل الأرض كم هو رملة
وأعلم علم الله أحصى حروفه وأعلم موج البحر كم هو موجة

* * *

أنا الواحد الفرد الكبير بذاته وإن شئت أفننت الأنام بلحظة
ملكت بلاد الله شرقاً ومغرباً و قالوا يا هذا تركت صلاتك
ولم يعلموا أنني أصلني في مكة مريدي تمسك بي وكن بي واثقاً
فأحميك في الدنيا ويوم القيمة^(٣)

ويقول أبو عثمان :

« العارف تضيء له أنوار العلم فيبصر به عجائب الغيب »^(٤).

(١) « السيد إبراهيم الدسوقي » لأحمد عز الدين (ص ٩٢).

(٢) « قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر » لمحمد يحيى التاذفي (ص ١١٥).

(٣) « فتوح الغيب » للجيلاني (ص ٢٣٢).

(٤) « سراج الطالبين » (ص ٢١).

وقال عبد الله بن محمد المشربي العلوي التيجاني :

« قال لشيخنا التيجاني : إن القطب منذ وقت جلوسه على كرسي القطبانية لا تقع بينه وبين رسول الله حجابية أصلًا وحيثما جال رسول الله من حضرة الغيب ومن حضرة الشهادة إلا وعين قطب الأقطاب متمكنة من النظر إليه لا يحجب عنه في كل لحظة من اللحظات »^(١) .

ويقول محمد المهدى السراقي وهو يتحدث عن علم الأولياء ناقلاً عن أحد المتصوفة قال بعض العارفين :

« أرباب القلوب والمشاهدات قد أنطق الله في حقهم كل ذرة في الأرض والسماءات بقدرته التي أنطق بها كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان الواقع الذي هو ليس بعربي ولا أعمجمي وليس فيه حرف وصوت ولا يسمعه أحد إلا بالسمع العقلي الملکوتي دون السمع الظاهر الحس الناسوتي وهذا النطق الذي بكل ذرة من الأرض والسماءات مع أرباب القلوب إنما هو مناجاة السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فإنها كلمات تستمد من بحر كلام الله »^(٢) .

ويقول أحمد عز الدين عبد الله خلف وهو يتحدث عن الدسوقي ويقرر بأنه من الذين فتح الله لهم الغيوب .

يقول عنه : « صاحب المحاضرات القدسية والمعراج الأعلى في المعارف والمنهاج الأنسنى في الحقائق . . . والباع الطويل في التصريف النافذ والكشف الخارق عن حقائق الآيات والفتح المضاعف في معنى المشاهدات وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود وأبرزه رحمة للخلق

(١) « إنذار وإفادة إلى باائع دينه بالشهادة » لعبد الله بن محمد المشربي (ص ٧٧) .

(٢) « جامع السعادات » لمحمد مهدي السراقي (١٣٦/١) .

وصرفه في العالم ومكنته في أحكام الولاية وقلب له الأعيان وأنطقه بالمعنيات «^(١)».

ويقول محمد بن يحيى التاذفي الحلبي القادري وهو يتحدث عن مناقب أحد القادريين :

« ومنهم الشيخ القدوة حياة بن قيس الحراني رضي الله عنه كان من أجلاء المشائخ وعظماء العارفين . . . صاحب الفتح السنوي والكشف الجلي . . . وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الخلق وصرفه في الوجود وقلب له الأعيان وخرق له العوائد وأنطقه بالمعنيات وهو أحد أركان هذا الشأن وهو أحد الأربعة المتصرفين في قبورهم تصرف الأحياء »^(٢).

ونقلوا عن عبد القادر الجيلاني أنه قال :

وأعلم نبت الأرض كم من نباتة وأعلم رمل الأرض كم هو رملة
وأعلم علم الله أحصى حروفه وأعلم موج البحر كم هو موجة

* * *

أنا الواحد الفرد الكبير بذاته أنا الواحد الفرد الكبير بذاته
ملكت بلاد الله شرقاً ومغرباً ملكت بلاد الله شرقاً ومغرباً
وقالوا يا هذا تركت صلاتك وقالوا يا هذا تركت صلاتك
مريدي تمسك بي وكن بي واثقاً مريدي تمسك بي وكن بي واثقاً
فأحميك في الدنيا ويوم القيمة^(٣)

ويقول أبو عثمان :

« العارف تضيء له أنوار العلم فيبصر به عجائب الغيب »^(٤).

(١) « السيد إبراهيم الدسوقي » لأحمد عز الدين (ص ٩٢).

(٢) « قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر » لمحمد يحيى التاذفي (ص ١١٥).

(٣) « فتوح الغيب » للجيلاني (ص ٢٣٢).

(٤) « سراج الطالبين » (ص ٢١).

المطلب الثاني

بيان أن علم الغيب خاص بالله تعالى

وحكم من يدعى علم الغيب

مما سبق في المطلب الأول تبين لنا أن الصوفية بالفعل يدعون أن الأولياء يعلمون الغيب كله وأنهم لا يخفى عليهم شيء في السموات والأرض^(١).

وإذا عرضنا هذا المعتقد على الكتاب والسنّة سنجد بأنه يتصادم مع ما فيهما وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد قرر في كتابه بأن علم الغيب خاص به وأنه لا يشركه فيه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا جنٍ ولذا فكل من يدعى علم الغيب فهو مفترٍ على الله.

والنصوص التي تدل على اختصاص الله بعلم الغيب من الكتاب والسنّة كثيرة جداً وسأذكر منها نماذج فقط للرد على هؤلاء المتصوفة الذين يدعون علم الغيب وسأذكر أولاً النصوص القرآنية ثم سأتابع ذلك بذكر النصوص النبوية.

أولاً : النصوص القرآنية التي تدل على اختصاص علم الغيب بالله سبحانه وتعالى ونفيه عن غيره كائناً من كان :

لقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بأن مفاتيح الغيب عنده وحده سبحانه وتعالى وأنه لا يعلمها غيره من الخلق سواء كانوا ملائكة أو أنبياء أو جنًا وأخبرنا بأن علم ما في هذا البر والبحر من الموجودات وأن كل

(١) انظر (ص ٦٧٥ - ٦٩٤).

ورقة تسقط وأن كل حبة في ظلمات الأرض وأن كل رطب ويابس علمه خاص بالله سبحانه وتعالى وأنه لا يحصل شيء في هذا الكون إلا ما كان مسجلاً في اللوح المحفوظ وأنه العالم بكل ما يقترفه الإنسان من الأعمال الصالحة والطالحة وهذه هي الآية التي تدل على أن مفاتيح الغيب خاصة به سبحانه وتعالى :

* قال تعالى : ﴿ وَعِنْهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا
يَابْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾^(١) وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّ أَكْمَمُ بِاللَّيلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ
يَعْشُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلُ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يَنْبَثِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٢) .

قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآيات :

« قوله : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ أي ويعلم الحركات حتى من الجمادات فما ظنك بالحيوانات ولا سيما المكلفون منهم من جنهم وإنهم كما قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ .

وقال ابن عباس : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ قال : «ما من شجرة في بر ولا بحر إلا وملك موكل بها يكتب ما يسقط منها».

وقال عبد الله بن العارث في معنى هذه الآية وهي قوله تعالى : ﴿ وَمَا
تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ قال :

« ما في الأرض من شجرة ولا مغز ابرة إلا وعليها ملك موكل يأتي الله بعلمه رطوبتها إذا رطبت وبيوستها إذا يبست » .

(١) الأنعام : (٥٩ - ٦٠) .

وقال ابن عباس أيضاً :

« خلق الله النون وهي الدواة وخلق الألواح فكتب فيها أمر الدنيا حتى ينقضي ما كان من خلق مخلوق أو رزق حلال أو حرام أو عمل بر أو فجور وقرأ هذه الآية : ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ آخر الآية »^(۱).

وقال الإمام الشوكاني في معنى قوله تعالى : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ :

« المفاتيح جمع مفتاح بالفتح وهو المخزن : أي عنده مخازن الغيب جعل للأمور الغيبية مخازن تخزن فيها على طريق الاستعارة أو جمع مفتاح بكسر الميم وهو المفتاح جعل للأمور الغيبية مفاتح يتوصل بها إلى ما في المخازن منها على طريق الاستعارة أيضاً ، والمعنى أن الله عنده خاصة مخازن الغيب ، أو المفاتح التي يتوصل بها إلى المخازن ».

وقوله : ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ جملة مؤكدة لمضمون الجملة الأولى وأنه لا علم لأحد من خلقه بشيء من الأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمهها . . . وفي هذه الآية الشريفة ما يدفع أباطيل الكهان والرمليين وغيرهم من المدعين ما ليس من شأنهم ولا يدخل تحت قدرتهم ولا يحيط به علمهم ولقد ابتلي الإسلام وأهله بقوم سوء من هذه الأجناس الضالة والأنواع المخدولة .

ثم قال وقوله : ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ خصهما بالذكر لأنهما من أعظم مخلوقات الله أي يعلم ما فيهما من حيوان وجماجم علمًا مفصلاً لا يخفى عليه منه شيء أو خصهما بالذكر لكونهما أكثر ما يشاهد الناس ويتطلعون لعلم ما فيهما^(۲).

(۱) « تفسير ابن كثير » (۱۳۷/۲).

(۲) « فتح القيدير » للشوكاني (۱۲۳/۲).

وأخرج أحمد والبخاري وغيرهما عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله ، لا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم ما تفيض الأرحام إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ولا تدرى نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله »^(١) .

وقال الشيخ محمد رشيد رضا في معرض حديثه تحت هذه الآية :

« فإن قيل ما حكمة تخصيص هذه الأشياء بالذكر؟ قلنا: إن المعلوم أو ما يتعلق به العلم إما موجود وإما معدوم والموجود إما حاضر مشهود وإما غائب في حكم المفقود وليس في الوجود شيء غائب عن الله تعالى فعلمه تعالى بالأشياء إما علم غيب وهو علمه بالمعدوم وإما علم شهادة وهو علمه بالموجود وأما أهل العلم من الخلق فمن الموجودات ما هو حاضر مشهود لديهم ومنها ما هو حاضر غير مشهود لأنه لم يخلق لهم آلة للعلم به كعالم الجن والملائكة مع الإنسان ومنها ما هو غائب عن شهودهم وهم مستعدون لإدراكه لو حضر فكل ما خلقوا غير مستعدين لإدراكه دائمًا أو في بعض الأحوال فهو إن غاب عنهم غيب إضافي وقد بين الله تعالى لنا في هذه الآية أن خزائن علم الغيب كلها عنده وعنه مفاتيحها وأسبابها الموصولة إليها وإن عنده من علم الشهادة ما ليس عند غيره وذكر على سبيل المثل علمه بكل ما في البر والبحر من ظاهر وخفى ثم خص بالذكر ثلاثة أشياء مما في البر إحاطة علمه بكل ورقة تسقط من نبتة وكل حبة تسقط في ظلمات الأرض وكل رطب ويابس »^(٢) .

وقال الشيخ محمد رشيد رضا أيضًا في قوله تعالى : « وَعِنْهُ مَفَاتِحُ

(١) البخاري مع الفتح (٨/٣٧٥) .

(٢) « تفسير القرآن الحكيم » لمحمد رشيد رضا (٤/٤٥٨) .

الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ يدل على كونه تعالى متنزهاً عن الضد والنـد وتقريـره أن قوله : **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ** يـفيد الحـصر أي عنـده لا عنـد غيرـه ولو حـصل موجودـا آخر واجـب الـوجود لـكان مـفاتـح الغـيب حـاصلة أـيضاً عنـد ذلك الآخر وحيـنـئـذ يـبطل الحـصر^(١).

وقـال الإمام الأمـين الشـنقيـطي في معـنى قولـه تعالى : **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ** الآية ، بينـ تعالى المرـاد بـمـفاتـح الغـيب بـقولـه : **إِنَّ اللَّهَ عَنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيَنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَا ذَرَتْ كُسْبًا غَدَأً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْمٌ خَبِيرٌ**^(٢).

ومن كلـ ما سـبق من أـقوـال المـفسـرين نـستـتجـ أنـ كـلـهـم صـرـحـوا بـأنـ عـلمـ الغـيبـ خـاصـ بالـلـهـ سـبـحانـهـ وـتعـالـىـ وـأنـهـ لاـ يـشـرـكـهـ فـيـهـ أـحـدـ مـنـ خـلـقـهـ كـائـنـاـ مـنـ كانـ.

* ومنـ الآـيـاتـ الـتـيـ تـدـلـ عـلـىـ أـنـ عـلـمـ الغـيبـ خـاصـ بالـلـهـ سـبـحانـهـ وـتعـالـىـ وـأنـهـ لاـ يـشـرـكـهـ فـيـهـ أـحـدـ مـنـ خـلـقـهـ قـولـهـ تـعـالـىـ : **Qُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يَعْثُونَ**^(٣).

ويـستـوـيـ فـيـ هـذـاـ الـمـلـائـكـةـ وـالـأـنـبـيـاءـ وـالـرـسـلـ وـالـأـوـلـيـاءـ الـحـقـيقـيـوـنـ أوـ الـأـوـلـيـاءـ الـمـزـعـومـوـنـ فـإـنـهـ لاـ يـعـلـمـ أـحـدـ الغـيبـ إـلـاـ اللـهـ سـبـحانـهـ وـتعـالـىـ جـلتـ قـدرـتـهـ .

* فـمـنـ الآـيـاتـ الـتـيـ تـدـلـ عـلـىـ أـنـ الـمـلـائـكـةـ لـاـ يـعـلـمـوـنـ الغـيبـ قـولـهـ .

(١) « تـفـسـيرـ القرآنـ الـحـكـيمـ » لـمـحمدـ رـشـيدـ رـضاـ (٤٦١/٤).

(٢) « أـصـوـاءـ الـبـيـانـ » لـالـشـنـقـيـطـيـ (٢/١٧٤).

(٣) النـملـ : (٦٥).

تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةَ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِلُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(١) وَعَلِمَ آدَمُ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةَ فَقَالَ أَنْبَيْتُنِي بِالْأَسْمَاءِ هُوَلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٢) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾^(٣) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِالْأَسْمَاءِ فَلَمَّا أَنْبَيْتَهُمْ بِالْأَسْمَاءِ هُمْ قَالُوا أَلَمْ أَقْلِ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تَبَدُّونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾^(٤).

فإذا نظرنا في هذه الآية نخرج بنتيجة أن الملائكة لا يعلمون الغيب وذلك لأنهم لو كانوا يعلمون الغيب لما عجزوا عن معرفة الأسماء التي علمها الله لآدم عليه السلام في حين أن مسمياتها كانت معروضة عليهم ولهذا لم يجد الملائكة المخرج من هذا الطلب الذي وجهه الله إليهم سوى أن يسلموا بأنهم لا يعلمون من الأشياء إلا ما علمهم الله إياه فقالوا : ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ورد الله عليهم بقوله : ﴿ أَلَمْ أَقْلِ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تَبَدُّونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ .

وكذلك الرسل وهم أشرف خلق الله لا يعلمون الغيب إلا ما أوحاه الله إليهم سبحانه وتعالى

قال الإمام الذهبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى : ﴿ عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾^(٥) إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنَ يَدِيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصِدًا ﴾^(٦) لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطُوا بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾^(٧) .

(١) البقرة : (٣٣ - ٣٠) .

(٢) الجن : (٢٨ - ٢٦) .

قال ابن الجوزي : «**﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾** هو الله عز وجل لا شريك له في ملکه **﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾** أي يطلع على غيه الذي لا يعلمه أحد من الناس **﴿إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾** لأن الدليل على صدق الرسل أخبارهم بالغيب» والمعنى أن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من الغيب وفي هذا الدليل على من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر والله أعلم «^(۱) .

* ومن الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قوله تعالى :

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةَ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَنِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۚ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شَئْتَمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ ۲۴ فَأَزَّلْنَاهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقْرٌ وَمَتَاعٌ إِلَيْهِ حِينٌ ۝ ۲۵ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ۝ ۲۶ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا إِنَّمَا يَأْتِينَكُم مِنِي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَىيَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ۲۷ » ^(۲) .

ووجه الاستدلال بالأية أن آدم عليه السلام لو كان يعلم الغيب هل كان يأكل من الشجرة التي حرمتها الله عليه في حين أن خروجه من الجنة مترب على أكله منها حتماً الجواب لا ولكنه لما جهل الغيب أكل منها فكان سبباً لخروجها منها وإذا كان آدم عليه السلام وهونبي من أنبياء الله لا يعلم الغيب فمن باب أولى دجاجلة المتصوفة لا يمكنهم أن يعلموا الغيب .

* ومن الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قوله تعالى :

(۱) «**الكبائر**» للذهبي (ص ۲۷۴) .

(۲) البقرة : (۳۸ - ۳۴) .

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامٌ قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴾ ٦٩ ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيهِمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرُهُمْ وَأَوْجَسْ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ قَوْمًا لُوطٍ ﴾ ١٠ ﴾

فالرسل المذكورون في هذه الآية هم من الملائكة وقد جاءوا إلى إبراهيم عليه السلام بصورة بشر فظنه ضيوفاً من البشر مثله فذبح لهم العجل وقدمه إليهم ولكنهم لم يأكلوا منه شيئاً لأنهم ملائكة والملائكة لا تأكل ولا تشرب فلما قبضوا أيديهم عن الأكل خاف منهم إبراهيم عليه السلام فأخبروه بأنهم مرسلون إلى قوم لوط لقلب الأرض بهم وهذا يدل دلالة قاطعة على أن علم الغيب خاص بالله تعالى وأنه لا يعلمه أحد مهما كانت منزلته عند الله لأنه لو كان إبراهيم يعلم الغيب لما ذبح العجل لضيافة الملائكة لأنهنبي من أنبياء الله ويعلم أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولذا أقول : إن ادعاء المتصوفة بأن الأولياء يعلمون الغيب ادعاء باطل وإفك وافتراء على الله .

* ومن الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قول الله تعالى عن لوط عليه السلام : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلًا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرَعاً وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ ٧٧ ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمٌ يَهْرُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلَ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمُ هُؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُنُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ ٧٨ ﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ ٧٩ ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ ٨٠ ﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا

(١) هود : ٦٩ - ٧٠ .

امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصَّبُحُ الْيَسَ الصَّبُحُ بِقَرِيبٍ ﴿١﴾ .

فلو كان لوط عليه السلام يعلم الغيب لما وقف ذلك الموقف العصيب مستميتاً في الدفاع عن أضيفاه ضد رغبة قومه الأئمة في حين أنهم ملائكة أرسلهم الله لإهلاك أولئك القوم وإذا كان لوط عليه السلام وهونبي من أنبياء الله يجهل علم الغيب فمن باب أولى أن يجهل علم الغيب أولياء ومشائخ المتصوفة لأنهم أدنى من الأنبياء بمراتب كثيرة ولذا أقول: إن دعوى الصوفية إن الأولياء تنكشف لهم الغيب دعوى لا دليل عليها وإنما هي محض افتراء قالوها اتباعاً لأهوائهم فقط وإنما فادلة الكتاب والسنة كلها ضدهم .

* ومن الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قول الله عز وجل عن يعقوب عليه السلام حين ضاع منه ابنه يوسف وأخيه : ﴿قَالَ بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرْ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِينِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾٨٣﴿ وَتَوَلَّتْ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾٨٤﴿ قَالُوا تَالَّهُ تَفَتَّ تَذَكُّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾٨٥﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَشِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَأسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَأسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾٨٦﴾ .

فلو كان يعقوب عليه السلام يعلم الغيب لعلم بمكان يوسف في هذا الوقت الطويل الذي عاشه حزيناً عليه ثم تبعه أخيه بنيامين ولكنه لما كان علم الغيب خاص بالله سبحانه وتعالى لم يعلم بمكانهما حتى ذهب إخوة يوسف فاكتشفوا مكانه في مصر والقصة معلومة وهي طويلة تحتاج إلى صفحات

(١) هود : (٧٧ - ٨١) .

(٢) يوسف : (٨٣ - ٨٧) .

والذي يهمنا منها هو أن يعقوب عليه السلام لم يعلم بمكان يوسف في هذه المدة الطويلة التي غاب عنها وإذا كان يعقوب عليه السلام وهونبي من أنبياء الله يجهل الغيب فمن باب أولى دجاجلة الصوفية أن يجهلوا الغيب.

* ومن الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قول الله عز وجل : ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ إِمْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِيَّ أَتِيكُمْ مِنْهَا بَخْرٌ أَوْ جَذْوَةً مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ ٢٩ ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبَقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَرَ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلَنِي مُدْبِرًا وَلَمْ يَعْقِبْ يَا مُوسَى أَقْبِلَ وَلَا تَخْفَ إِنْكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ ١﴾ .

قصة موسى مع شعيب عليهما السلام معروفة حيث إن موسى كان راعياً عند شعيب فلما قضى موسى الأجل الذي حدداه سار بأهله مسافراً بهم إلى بلده مصر فأبصر من جانب الجبل ناراً تتقد ف قال لأهله : انتظروا فقد أبصرت ناراً لعلي أتكم منها بخبر عن الطريق الذي أضلتناه أو أتكم بقطعة من الحطب فيها النار تستدفئون بها من البرد .. فلما وصل عليه السلام النار ناداه الله تعالى من جانب الوادي الذي هو عن يمين موسى في ذلك المكان المبارك عند الشجرة بأنني أنا الله رب العالمين اطرح عصاك التي تحملها فألقاها فلما رأها تتحرك كأنها جان من الحيات ولدى هاريًّا منها ولم يرجع على عقبه فنودي أقبل ولا تخف من الذي تهرب منه فإنك في أمان من أن يضرك .

فلو كان موسى عليه السلام يعلم الغيب لما فزع وفر من عصاه في حين أنها ستعود عصا كما كانت ولكن لما كان علم الغيب خاصاً بالله تعالى لم

(١) القصص : (٣١ - ٢٩) .

يعلمه موسى عليه السلام وإذا كان موسى عليه السلام لم يعلم الغيب وهونبي من أنبياء الله فمن باب أولى أن يجهله دجاجلة الصوفية وهم أبعد ما يكونون عن اتباع الكتاب والسنة .

* ومن الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قول الله تعالى عن داود عليه اسلام : ﴿ وَهَلْ أَتَكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمَحْرَابَ ﴾ ٢١﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَرَغَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخْفَ خَصْمَانِ بَغْنِي بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الْصِّرَاطِ ﴾ ٢٢﴿ إِنَّ هَذَا أَخْيَ لَهُ تَسْعُ وَتَسْعُونَ نَعْجَةً وَلَيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّزْنِي فِي الْمُخَطَّابِ ﴾ ٢٣﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمْتَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَسْعِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودَ أَنَّمَا فَتَاهُ فَاسْتَغْفِرْ رَبِّهِ وَخَرَ رَأْكِعًا وَأَنَابَ ﴾ ٢٤﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ ١١﴾ .

فلو كان داود عليه السلام يعلم الغيب لما جلس للقضاء بين الخصميين في حين أنهما أرسلا فتنة له ولكنه لما كان يجهل الغيب حكم بينهما وقد تاب وأناب إلى الله فغفر الله له كما هو واضح بين الآيات .

وإذا كان داود عليه السلام وهونبي من أنبياء الله يجهل الغيب فمن باب أولى أن يجهله شيخ المتصوفة لأنهم أدنى من الأنبياء مهما علت درجتهم فادعاؤهم الاطلاع على علم الغيب كذب وافتراء محض .

* ومن الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قول الله تعالى عن سليمان عليه السلام : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لَيْ لَا أَرَى الْهُدُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ ٢٥﴿ لَا عَذَبَنَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا ذَبَحَنَهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلطَانٍ مُّبِينٍ

(١) ص : (٢١ - ٢٥) .

فمكثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحْطَتُ بِمَا لَمْ تُحْطِ به وَجَهْتُكَ مِنْ سَبَّاً بِنَبَأِ يَقِينٍ ٢١
 إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلَّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ٢٢
 وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ
 عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ٢٤ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَءَ فِي السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلَمُونَ ٢٥ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
 الْعَظِيمِ (١)

سليمان عليه السلام آتاه الله ملكاً لم يؤته أحداً بعده وقد جمع جنوده من جميع الأجناس في مسير لهم وتفقد عليه السلام أنواع الطير فقال ما الذي جعلني لا أرى الهدى أخطأه بصرى فلم أره وقد حضر أم هو غائب لم يحضر فلما أخبر أنه غائب أقسم ليعدن الهدى عذاباً شديداً أو ليقتلنه إن لم يأته بحجة واضحة تبين لسامعها صحتها فمكث سليمان عليه السلام وقتاً قصيراً حتى جاءه الهدى فسأله عليه السلام عن تخلفه وغيته فقال : أحيطت بعلم لم تحظ به أنت وجئتك من سبباً بخبر يقين لقد وجدت امرأة تملك سبباً وقد أوتيت كل شيء في الدنيا من العتاد والآلة ولها عرش عظيم من ذهب قوائمه من الجوهر واللؤلؤ ووجدت هذه المرأة وقومها يعبدون الشمس فيسجدون لها وحسن لهم إبليس عبادتهم هذه فمنعهم بذلك أن يتبعوا دين الله الحق فهم لا يهتدون له ولا يسلكونه . . . زين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله الذي يخرج المخبأ في السماوات والأرض من الغيث والنبات ويعلم السر من أمور خلقه والعalanة فهو وحده الذي لا معبد سواه ولا تصلح العبادة إلا له سبحانه وتعالى .

ومقصود من إيراد هذه القصة أن سليمان عليه السلام لم يعلم بمكان

(١) التمل : (٢٠ - ٢٦) .

الهدهد التي اتجه إليها مع أنه نبي من أنبياء الله حتى جاء الهدهد وأخبره بهذه المملكة العظيمة التي كانت غائبة عن سليمان عليه السلام وإذا كان الأنبياء يجهلون الغيب فمن باب أولى أن يجهله غيرهم .

وهناك آيات كثيرة تدل على أن علم الغيب خاص بالله تعالى وتنفيه عما سواه من المخلوقات .

* من هذه الآيات قول الله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبِ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُعْثُرُونَ ﴾^(١) .

فإذا نظرنا في هذه الآية نجدها صريحة في حصر علم الغيب في الله وحده ونفيه عما سواه يقول الإمام القرطبي المفسر الكبير رحمه الله تعالى تحت هذه الآية :

« فإنه لا يجوز أن ينفي الله سبحانه وتعالى شيئاً عن الخلق ويثبته لنفسه ثم يكون له في ذلك شريك إلا تسمع قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبِ إِلَّا اللَّهُ ﴾ وقول الله تعالى : ﴿ لَا يُجْلِيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ﴾^(٢) قوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ ﴾^(٣) فكان هذا كله مما استأثر الله بعلمه لا يشركه فيه غيره .

* ومن الآيات التي تدل على أن علم الغيب محصور في الله قول الله تعالى : ﴿ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَأَنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾^(٤) .

إذا نظرنا في هذه الآية نجد بوضوح وصراحة قد بيّنت بأن علم الغيب

(١) النمل : (٦٥) .

(٢) الأعراف : (١٨٧) .

(٣) القصص : (٨٨) .

(٤) يونس : (٢٠) .

خاص بالله سبحانه وتعالى ومحصور فيه لا يشركه فيه أحد من خلقه مهما كانت درجة ذلك لأن «إنما» من أدوات الحصر .

* ومن الآيات التي تدل على أن علم الغيب خاص بالله تعالى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(۱) .

وفي هذه الآية أيضاً نرى أن علم الغيب حصره الله سبحانه وتعالى في نفسه وذلك لأن تقديم الجار والمجرور من أدوات الحصر ولذا أقول : إن من ادعى علم شيء من علم الغيب فقد ادعى بأنه قد شارك الله في خاصية خص الله بها نفسه .

* ومن الآيات التي تدل على أن علم الغيب خاص بالله تعالى قوله سبحانه : ﴿وَلَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحُ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(۲) .

* ومن الآيات التي تدل على أن علم الغيب خاص بالله سبحانه وتعالى قوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرُهُ وَأَسْمِعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾^(۳) .

* وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَادِ الصُّدُورِ﴾^(۴) .

* وقال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلَعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾^(۵) .

(۱) هود : (۱۲۳) .

(۲) النحل : (۷۷) .

(۳) الكهف : (۲۶) .

(۴) فاطر : (۳۸) .

(۵) آل عمران : (۱۷۹) .

وبالجملة فكل هذه الآيات التي تقدم ذكرها تدل دلالة واضحة وصريحة على اختصاص الله تعالى بعلم الغيب وحده دون من سواه فلا يعلم الغيب ملك مقرب ولا نبي مرسل فكيف بمن سواهما .

كما وردت آيات أخرى كثيرة تبني عن الرسول محمد ﷺ علم الغيب مع أنه أفضلي الخليقة على الإطلاق ومعلوم أنه إذا كان الرسول وهو أحب خلق الله إليه لم يعلمه الغيب فغيره من باب أولى أن يجهل علم الغيب ومن هذه الآيات قول الله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ بِالْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَانُ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾^(١) .

قال الشيخ محمد رشيد رضا تحت هذه الآية :

« وإذا كان الله تعالى لم يؤت الرسل ما لم يؤت غيرهم من أسباب التصرف في المخلوقات ومن علم الغيب وكان كل من التصرف بالقدرة الذاتية وعلم الغيب خاصاً به عز وجل يستحيل أن يشاركه غيره فيه فمن أين جاءت دعوى التصرف في الكون وعلم الغيب لمن هم دون الرسل متزلة وكرامة عند الله تعالى من المشائخ المعروفيين وغير المعروفيين »^(٢) .

وقال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ ﴾^(٣) .

ففي هذه الآية قد حكى الله لنا على أن عيسى عليه السلام أستد علم

(١) الأنعام : (٥٠) .

(٢) « تفسير المنار » لمحمد رشيد رضا (٤٢٥/٧) .

(٣) المائدة : (١١٦) .

الغيب إلى الله وحده وتبرأ هو من علم الغيب وإذا كان عيسى عليه السلام كذلك وهو من الرسل الكرام فغيره من باب أولى أن يتغنى عنه علم الغيب. هذا ما يتعلّق بما جاء في القرآن من الآيات التي تدل دلالة واضحة على أن علم الغيب خاص بالله تعالى .

ثانيًا : الأدلة من السنة على أن علم الغيب خاص بالله تعالى :

لقد وردت في السنة النبوية أحاديث كثيرة تدل على أن علم الغيب خاص بالله سبحانه وتعالى وأنه لم يعلم الغيب للرسول محمد ﷺ وهو أحب خلق الله إليه فضلاً عن غيره .

* من هذه الأحاديث ما روتته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قال : «من حديثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب وهو يقول : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ ومن حديثك أنه يعلم الغيب فقد كذب وهو يقول : لا يعلم الغيب إلا الله»^(١) .

فإذا كان محمد بن عبد الله سيد ولد آدم لا يعلم الغيب فلا شك أن غيره من باب أولى كائناً من كان لا يعلم الغيب.

* ومنها حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما تغيب الأحاجم إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا ولا يعلم متى يأتي المطر أحداً إلا الله ولا تدرى نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»^(٢) .

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة :

«استعار للغيب مفاتيح بما نطق به الكتاب العزيز ﴿وَعِنْهُ مَفَاتِحُ

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (١٣/٣٦١) .

(٢) البخاري مع الفتح (١٣/٣٦١) .

الغَيْبِ ﴿٤﴾ وليقرب الأمر على السامع لأن أمور الغيب لا يحصيها إلا عالمها وأقرب الأشياء إلى الاطلاع على ما غاب الأبواب والمفاتيح أيسر الأشياء لفتح الباب فإذا كان أيسر الأشياء لا يعرف موضعها فما فوقها أخرى إلا يعرف ^(١).

* وعن إياس بن سلامة قال : حدثني أبي أنه كان مع النبي ﷺ إذ جاءه رجل بفرس له يقودها عقوق ومعه مهرة له يبيعها فقال : من أنت؟ قال : «أنانبي الله» قال : ومانبي الله؟ قال : «رسول الله» قال الرجل : متى تقوم الساعة؟ فقال ﷺ : «غيب ولا يعلم الغيب إلا الله» قال : متى تمطر السماء؟ فقال ﷺ : «غيب ولا يعلم الغيب إلا الله» قال الرجل : ما في بطن فرسي هذا؟ فقال ﷺ : «غيب ولا يعلم الغيب إلا الله». قال : أرني سيفك فأعطيه النبي ﷺ سيفه فهزه الرجل ثم رده إليه فقال ﷺ : إنك لم تكن تستطيع الذي أردت ^(٢) ». يقول : إياس وكان الرجل قال اذهب إليه فاسأله عن هذه الخصال ثم اضرب عنقه ^(٣).

* وروى الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب بن حفصة رجل من أهل الباذية جاء إلى النبي ﷺ فسألته عن الساعة ووقتها وقال : إن أرضنا أجدبتك فمتى يتزل الغيث؟ وتركت امرأتي حبل فماذا تلد؟ وقد علمت أين ولدت فبأي أرض أموت؟ فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيَنْزَلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّا ذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ^(٤).

(١) «فتح الباري» (١٣/٣٦٥).

(٢) «أسباب التزول» للنبي سبور (ص ١٩٨).

(٣) نفس المرجع السابق (ص ١٩٩) والآية من سورة لقمان : (٣٤).

وروى خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ بن عفراط رضي الله عنها قالت : جاء النبي ﷺ يدخل حين بنى عليّ فجلس على فراش ك مجلسه فجعلت جويرات لنا يضربن بالدف ويندب من قتل من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن : وفيها نبي يعلم ما في غد فقال ﷺ : « دعي هذه وقولي بالذى كنت تقولين »^(١) .

فإذا نظرنا في الحديث السابق نرى أن الرسول ﷺ حرص على تصحيح العقيدة الإسلامية في مسألة الغيب ولو أغنيه من الأغنيات مما كانت الجارية تنسب إليه ﷺ شيئاً من علم الغيب حتى أمرها من فوره بأن تترك هذا القول : « فلا يعلم ما في غد إلا الله » وطلب منها أن تعود إلى ما كانت تتغنى به من ذكر أوصاف البطولة والفاء فما بالنا نرى الناس في هذه الأيام يتسللون في هذه المسألة الخطيرة وينسبون علم الغيب لكل من هب ودب من أولياء وكهنة وسحرة ومنجمين ويزعم المتصوفة أن الله قد كشف عن شيوخهم الحجاب فأشركواهم بهذا الزعم في خاصية هي لله تعالى وحده وكما سبق لنا فقد أسس المتصوفة عقيدتهم تجاه الأولياء على الادعاء بأنهم يعلمون الغيب معرضين عن الأدلة الشرعية والتي مصدرها كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ .

وعن طريق هذا الادعاء والزعم الباطل شكروا الناس في مصادر الشرع الصحيحة ألا وهو كتاب الله وسنة رسوله وشرعوا لهم شرائع أخرى زاعمين بأنهم يطلعون على الغيب ويتلقون علوماً عن الله خاصة بهم دون غيرهم من الأمة الإسلامية .

(١) البخاري مع الفتح (٩/٢٠٢).

موقف علماء الإسلام ممن يدعي علم الغيب :

لقد وقف علماء الإسلام الأجلاء الذين فهموا كتاب الله عز وجل وسنة رسوله محمد ﷺ فهماً صحيحاً موقعاً مشرقاً من كل من يدعي علم الغيب وشنعوا عليهم ادعاءهم هذا بل حكمو عليهم بالكفر والضلال .

* ومن هؤلاء العلماء الذين شنعوا على كل من يدعي علم الغيب الإمام أبو حيان المفسر المشهور رحمه الله حيث قال مشنعاً على المتصوفة الذين يدعون علم الغيب مع جهالتهم بالأحكام الشرعية تحت قوله تعالى : «وَعِنْهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ»^(١) :

قال : « ولقد يظهر من هؤلاء المتسبة إلى الصوفية أشياء من ادعاء علم المغيبات والاطلاع على علم عواقب أتباعهم وأنهم معهم في الجنة مقطوع لهم ولأتباعهم بها يخبرون بذلك على رءوس المنابر ولا ينكر ذلك أحد هذا مع خلوهم عن العلوم يوهمون أنهم يعلمون الغيب وفي « صحيح مسلم » عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « ومن زعم أن محمداً يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفريدة »^(٢) .

والله تعالى يقول : « قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ »^(٣) .

وقد كثرت هذه الدعاوى والخرافات في ديار مصر وقام بها ناس صبيان العقول يسمون بالشيخوخ عجزوا عن مدارك العقل والنقل وأعياهم طلاب العلوم .

(١) الأنعام : (٥٩) .

(٢) « صحيح مسلم » مع النووي (٨/٢) .

(٣) النمل : (٦٥) .

لم يكن للخليل ولا الكليم
أبصر اللوح ما به من رقم
ودرى ما يكون قبل الهجوم
أنا صدقت بافتراء عظيم^(١)

فارتموا يدعون أمراً عظيماً
بينما المرء منهم في انسفال
فجئي العلم منه غصاً طرياً
إن عقلي لفي عقال إذا ما

وقال الإمام القرطبي رحمة الله في تكثير من أدعى شيئاً من علم الغيب:

« قال علماؤنا : أضاف سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه إلا من اصطفى من عباده « رسلاه » فمن قال : إنه يتزل الغيث غداً وجزم به فهو كافر أخبر عنه بأماراة ادعها أم لا ، وكذلك من قال : إنه يعلم ما في الرحم فهو كافر ، فإن لم يجزم وقال : إن النوء يتزل الله به الماء عادة وإن سبب الماء على ما قدره وسبق في علمه لم يكفر إلا أنه يستحب له إلا يتكلم به فإن فيه تشبيهاً بكلمة أهل الكفر جهلاً بلطف حكمته لأنه يتزل متى شاء مرة بنوء كذا ومرة دون النوء .

قال الله تعالى : « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر »^(٢) .

قال : وأما من أدعى الكسب في مستقبل العمر فهو كافر أو أخبر عن الكوائن المجملة أو المفصلة في أن تكون قبل أن تكون فلا ريبة في كفره أيضاً »^(٣) .

وقال القرطبي أيضاً في حكم اتخاذ المنجمين والذهب إليهم وأن من

(١) « البحر المحيط » لأبي حيان (١٤٩/٤) .

(٢) أي في الحديث القدسي الذي رواه البخاري مع الفتح (٣٣٣/٢) .

(٣) « تفسير القرطبي » (٢/٧) .

فعل ذلك فقد ارتكب من كبائر الذنوب .

قال علماؤنا : « وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان بإتيان المنجمين والكهان لاسيما بالديار المصرية فقد شاع في رؤسائهم وأتباعهم وأمرائهم اتخاذ المنجمين بل انخدع كثير من المتنسبين للفقه والدين فجأوا إلى هؤلاء الكهنة والعرافين فبهرجو عليهم بالمحال واستخرجو منهن الأموال فحصلوا من أموالهم على السراب والآل ومن أدیانهم على الفساد والضلال وكل ذلك من الكبائر لقوله عليه السلام : « لم تقبل له صلاة أربعين يوماً »^(١) فكيف بمن اخذهم وأنفق عليهم معتمداً على أقوالهم »^(٢) .

والخلاصة التي نخرج بها هو أن علم الغيب خاص بالله سبحانه وتعالى لا يشركه فيه أحد وذلك لما ذكرناه من نصوص قرآنية من كتاب الله تعالى ونصوص نبوية من سنة رسوله محمد ﷺ وأقوال العلماء وأن من يدعى الاطلاع على المغيبات التي لا يمكن أن يطلع عليها غير الله سبحانه وتعالى فقد كفر كما قال علماؤنا الأجلاء فيما سبق ومن هنا نقول : إن المتصوفة الذين ادعوا علم الغيب قد وقعوا في انحراف عقدي خطير فيجب عليهم إن كانوا أحياء أن يتوبوا من هذا المعتقد الفاسد ويرجعوا إلى المعتقد الصحيح والذي هو أن الغيب علمه خاص بالله سبحانه وتعالى أما ما سواه من المخلوقات فليس لديهم القدرة على الاطلاع على علم الغيب وقد أثبت ذلك فيما سبق بإيراد نصوص قرآنية وأحاديث نبوية على أن الأنبياء والملائكة وهم أفضل المخلوقات لم يعلموا الغيب فغيرهم من باب أولى أن لا يكون مؤهلاً للاطلاع على الغيوب والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمأب .

(١) « مسند أحمد » (٤/٦٨) .

(٢) « تفسير القرطبي » (٧/٣) .

المبحث الرابع

توجه الصوفية إلى الأولياء بالدعاء والاستغاثة

وتحت مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي ثبتت
بأنهم يتوجهون إلى الأولياء
بالدعاء والاستغاثة.

المطلب الثاني : حكم الإسلام في دعاء غير الله .

المطلب الأول

ذكر النصوص التي ثبت بأنهم يتوجهون إلى شيوخهم بالدعاء والاستغاثة

لقد بينا في المبحث السابق بأن الصوفية يعتقدون أن الأولياء يعلمون الغيب وذلك بإيراد نصوص من بطون كتبهم ومن أفواه مشائخهم الذين يعتبرونهم أئمة في الأوساط الصوفية ثم أتبعنا ذلك بالرد عليهم وإبطال مزاعمهم وأثبتنا بأن الغيب خاص بالله سبحانه وتعالى لا يشركه فيه لا ملك مقرب ولانبي مرسلاً ولا ولی محبوب عند الله لأن علم الغيب من الخصائص التي اختص الله بها دون غيره من المخلوقات^(١).

واعتقاد المتصوفة في الأولياء بأنهم يتصرفون في الكون ويعلمون الغيب أدى بهم هذا الاعتقاد الفاسد إلى اعتقاد النفع والضر في الأولياء فتوجهوا إليهم بالدعاء والاستغاثة طالبين منهم تفريح الكرب والنجاة من النار والدخول إلى الجنة وهذا ما نريد أن نبينه الآن في هذا المبحث إن شاء الله وسأبدأ أولاً بذكر النصوص التي ثبت توجههم إلى شيوخهم بالدعاء والاستغاثة ثم سأتابعه في المطلب الثاني ببيان حكم الإسلام في دعاء غير الله.

وها أنا أشرع فأقول :

(١) انظر (ص ٦٧٥ - ٦٧٨).

« لقد اشترط الصوفية على المريد الذي يريد أن يصل إلى مرتبة الولاية الصوفية أن يعلق قلبه دائمًا بشيخه قائماً وقاعدًا حتى ذاكرًا ويتوجه إليه بالدعاء والاستغاثة في كل ما يريد » .

وإليك النصوص التي ثبتت على أنهم يشترطون هذا .

قال محمد أبو الهدى الصياد الرفاعي :

« إن من ضاق حاله لمهمة أو لحاجة أو عسر عليه مقصد أو كان عليه دين أو كان في سجن أو بعنى عليه ظالم فليتوضاً ويصل إلى ركعتين ويصل إلى النبي ﷺ مائة مرة ويكون ذلك العمل في بيته حال ويزر الفاتحة للنبي ويتوجه قائماً للشرق ليزور البصرة لفلاة أم عبيدة محل مرقد الغوث الحسيني سيدى السيد أحمد الرفاعي وينادى بالاعتقاد والانكسار: يا وسيلة الطالبين يا كعبة الطائفين يا غوث الخلق يا باب الحق يا أشجع الفوارس يا أبا المدد .. يا مصد الطلاب يا معجزة الرسول يا سر الله يا درة الغيب يا سيف القدرة يا نائب النبي الجليل يا خليفة إبراهيم الخليل يا مبرد النار يا مبدل السموم ... يا موصل كل أعرج يا قطب الأقطاب المتصرفين يا مظهر حضرة القدس في كل مكان وأمان يا صاحب الآيات الباهرة يا كنز العنایات يا صاحب التصرف في الحياة والممات ... أغثني توجه لجذك خير الأنام وقوموا بقضاء حاجتي .. أدركني يا أحمد الأولياء رضي الله عنك أغثني »^(١) .

وفي النص السابق أمر الصيادي كل من أصيب بأمر يكرهه ويريد أن يرفع عنه بالتوجه إلى قبر أحمد الرفاعي ويدعوه ويستغيث به طالباً منه الإغاثة وتفریج ما به ولا حاجة إلى تجدید أماكن الشاهد في النص لأن كل شواهد

(١) « قلادة الجواهر » (٢٣٧) .

واضحة وهذا شرك صريح ينصل عن ملة الإسلام لأنه فيه القول بجواز صرف عبادة لغير الله » .

ويقول عبد المجيد محمد الخاني النقشبendi :

« اعلم أيها الأخ المؤمن أن الرابطة عبارة عن ربط القلب بالشيخ الكامل وحفظ صورته بالخيال ولو عند غيبته أو بعد وفاته ولها صور أهونها أن يتصور المريد صورة شيخه الكامل بين عينيه ثم يتوجه إلى روحانيته في تلك الصورة ولا يزال متوجهاً إليه بكليته حتى يحصل له الغية أو أثر الجذب . . . وهكذا يداوم على الرابطة حتى يفني عن ذاته وصفاته في صورة الشيخ . . . فتربيه روحانية الشيخ بعد ذلك إلى أن توصله إلى الله تعالى ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب فالرابطة يستفيض الأحياء من الأموات المتصرفين »^(١) .

ففي هذا النص أمر عبد المجيد أن يربط الإنسان الصوفي قلبه بشيخه دائماً وأبداً ويتوجه إليه بكل حواسه إذا أراد أن تقضى له حوائجه لأن الأولياء لهم التصرف في هذا الكون أحياءً وأمواتاً فيجب على كل صوفي التوجه إلى أهل التصرف كلما أراد شيئاً من الأشياء ونحو نقول : وأين الله أيها الصوفي الوقع الذي قال في كتابه : « **وإذا سألك عبادي عنِّي فـإني قـرـيب أـجـيب دـعـة الدـاعـ إذا دـعـانـ** »^(٢) .

وهكذا المتصوفة أصبحوا دعاة إلى الوثنية والشرك فأوقعوا ملايين من الأمة الإسلامية في الشركيات حيث أمرتهم بالتوجه إلى الأولياء أحياءً وأمواتاً .

(١) « السعادة الأبدية » (٢٢ - ٢٣) .

(٢) البقرة : (١٨٦) .

ويقول ابن عجيبة الحسني متحدثاً عن آداب المريد مع شيخه :

« للقوم في لقاء المشائخ آداب منها أنهم إذا قربوا المتنزل رفعوا أصواتهم بالهيللة والذكر فلا يزالون كذلك حتى يصلوا إلى الزاوية ومنها تقبيل يد الشيخ ثم رجله إن جرت بذلك عادة الفقراء فهو من أحسن التعظيم . . . ومنها جلوسهم بين يديه على نعت السكينة والوقار خافضين أصواتهم ناكسين رءوسهم غاضبين أبصارهم فلا يكلمونه حتى يبدأهم بالسلام »^(١).

« فإن تعذر عليه « أي على المريد » الوصول إلى الشيخ وقد عرض له مرض أو أمر فليشخص شيخه بين عينيه بصفته وهيئته ويشكر له فإنه يبرأ بإذن الله وإن كان مع جماعة واستحيا فليشتتك إليه في قلبه »^(٢).

ففي النص السابق أمر ابن عجيبة المريد إذا لم يستطع الوصول إلى شيخه لسبب من الأسباب أن يتوجه إليه بقلبه ويشكره إليه حاله حتى يفرج ما به من مصائب وهذه دعوة صريحة إلى التوجة إلى غير الله بالدعاء والاستغاثة لتفريح الكرب والنصل كما هو أمامنا واضح جداً ولا يحتاج إلى شرح أو تحديد الشاهد منه .

ويقول سراج الدين الرفاعي الصيادي ويشاركه أبو الهدى الصيادي متحدثاً عن آداب المريد مع شيخه :

« ومن آداب المريد الالزمة : أولاً حفظ قلب شيخه ومراعاته في الغيبة والحضور والتواضع له ولذريته وأقاربه وثبوت القدم على خدمته وأوامره

(١) « الفتوحات الإلهية » لابن عجيبة (ص ٣٠٨) .

(٢) « الفتوحات الإلهية » لابن عجيبة (ص ٣٣٩) .

كليها وجزئيها وربط القلب به واستحضار شخصه في قلبه في جميع المهام واستمداد همه والفناء فيه وأن يكون ملازمًا له لا يفترق عنه طرفة عين ولا ينكر عليه ما ظهر منه من صفة عيب فلربما يظهر من الشيخ ما لا يعلمه المريد كما وقع لبعضهم أنه دخل على شيخه فرأى عنده امرأة جميلة يلاعبها ويغافلها ويجتمعها فخرج منكراً على شيخه فأخذ منه حالاً جميلاً استفاده من شيخه ومع ذلك أن المرأة امرأة الشيخ وزوجته^(١).

ففي النص السابق أمر الرفاعي للمريد أن يراعي شيخه سواء كان حاضراً أو غائباً ويحذر من الوقوع فيما يكرهه الشيخ لأن المتصوفة يعتقدون أن الشيخ يعلم كل ما يجري في هذا الكون ثم أمره أيضاً أن يستحضر أمامه دائماً شخصية شيخه إذا أراد أن تقضي له مهماته ويطلبها من شيخه وحذره أيضاً من إنكار المنكر على شيخه حتى لا يسلب ما استفاده من شيخه وذلك لأن المتصوفة يعتقدون أن مشائخهم أعلى وأعظم من أن ينكر عليهم وهذا سأ تعرض له إن شاء الله حينما نتكلم في الآثار التي نتجت عن الفكر الصوفي في العالم الإسلامي^(٢).

ونحن نقول إن الشيخ بشر لا يعلم الغيب ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولذا لا يستحق هذه الأمور التي أمر الصيادي المريد أن يقوم بها نحو شيخه.

وذلك لأن المطلوب من المؤمن بالله وبرسوله حقاً هو أن يراقب الله في السر والعلن لأنه هو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وأن

(١) «قلادة الجوادر» للصيادي (٢٧٨) وكذلك «تنبيه الأخوان» لأحمد سكيرج.

(٢) انظر (٩٦٤ - ١٠٠١).

يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى في كل ما يطلبه من دفع شر أو جلب خير .
ولذا أقول : إن دعوى الصيادي هذه هي دعوة وثنية لأنه حتى الناس
على عبادة الشيوخ .

ويقول يوسف العجمي :

« ومن شأن المريد إذا ذكر الله تعالى أو فعل عبادة من العبادات أن
يستحضر نظر شيخه إليه ليتأدب ويضم شتات قلبه »^(١) .

ولا ندري ماذا يرد العجمي من هذا الكلام أ يريد أن ينوي شيخه مع الله
في أي عبادة من العبادات أم لا !!؟

وإلا فما الداعي أن ينوي شيخه ونظره إليه . . وهل الشيخ يعلم
الغيب !!

ويقول علي بن عثمان خليفة الشيخ أحمد الرفاعي حائزاً أتباعه بالتوجه
إليه في كل ما يريدون تحقيقه في هذه الدنيا :

« يا سادة من كان له منكم حاجة فليلزموني بها ومن شكى إلى سلطانه
أو شيطانه أو زوجته أو دابته أو أرضه إن كانت لا تنبت أو نخلة لا تثمر أو
دابة لا تحمل فليلزموني بها فإني مجيب له »^(٢) .

ففي النص السابق أمر الرفاعي أتباعه أن يتوجهوا إليه ويدعوه في كل ما
يريدون وأكد لهم بأنه يسجّبهم وينفذ لهم كل ما يطلبون وهذه دعوة صريحة
إلى الشرك بالله سبحانه وتعالى .

(١) « الأنوار القدسية » (٩٨/٢) ونحوه في « تنبيه الإخوان على أن الطريقة التيجانية لا يلمسها إلا من له إذن صحيح » لأحمد سكيرج كل الكتاب من أوله إلى آخره في آداب المريد .

(٢) « روضة الناظرين » (ص ٨٤) .

ويذكر الصيادي قصة قوم في بيروت يستغيثون بالبدوي وهو في قبره في مصر ويسألونه بحق النبي ﷺ أن ينجيهم من قبضة الإفرنج والصلبيين .

يقول الصيادي :

« وذكر أن جماعة من أهل بيروت أسرهم الإفرنج فألههم الله أن يقولوا : يا سيدى أحمد يا بدوى إن الناس يقولون إنك تأتى بالأسرى إلى بلادهم وقد سألك بالنبي ﷺ أن تردننا إلى بلادنا فمكنتهم البدوى من الهروب من الإفرنج »^(١) .

فهذه القصة فيها دعوة صريحة إلى التوجه إلى الشيوخ بالدعاء والاستغاثة والزعم بأنهم يغيثون من استغاث بهم ولم يورد هذه القصة إلا لتشجيع الناس لكي يقدم على عبادة البشر ويتركوا عبادة الله .

وروى النبهاني عن عامر العراقي أنه أتى الشيخ إبراهيم الأعزب مودعاً فقال له إبراهيم : إذا وقعت بشدة فناد باسمي ، قال عامر : ففي صحراء خراسان أخذتنا خيالة (قطاع الطرق) فذكرت قول الشيخ وكان بجانبي رفقة فاستحييت من ذكر اسمه بلساني لأنهم لا يفهمون مثل ذلك فاختلجم في صدرى الاستغاثة به فلم ينم ذلك حتى رأيته على جبل يومئ بعصا إليهم فجاءوا بجميع أموالنا^(٢) .

ففي هذا النص ذكر النبهاني بأن هذا الصوفي توجه إلى شيخه الصوفي بالدعاء والاستغاثة فأغاثه كما زعم هو وإن كنا نحن نعتقد اعتقداً جازماً بأنه لم يغثه لأنه ليس باستطاعته أن يغيث نفسه بعد أن مات ودخل تحت الثرى

(١) « قلادة الجواهر » (ص ٤٠٢) .

(٢) « جامع كرامات الأولياء » للنبهاني (٣٩٤/١) .

فضلاً عن أن يغيب غيره والذي يهمنا من النص هو أن هذا الرجل توجه إليه بالدعاة والاستغاثة.

وذكر محمد أبو الهدى الصيادى الرفاعى أنه لما مات الشيخ عبد الله البلتاجى زاره يوسف العجمى فضاعت حمارته فى الطريق فجأة إلى قبر البلتاجى وقال له :

« يا عبد الله رد على حمارتى وإلا لم أعد أزورك فطلع الشيخ عبد الله من القبر وأتاه بالحمارة من البرية وقال : يا يوسف إذا جئت لزيارتـنا مرة أخرى فقيد حمارتك بقيد من حديد »^(١).

والشاهد في النص أن هذا الرجل الصوفى توجه إلى شيخه بالدعاة والاستغاثة طالباً منه رد حمارته التي ضاعت منه وأنه بالفعل ردـها إليه كما زعم هو .

ورأى أحد مریدي الشیخ عز الدین الصیادی أن ینقطع عن مجلسه وتعذر له بأعذار عديدة وفي إحدى الليالي رأى القيامة قد قامت وأنهم جاءوا به إلى جهنم فلما قذفوه في النار صاح (يا شیخی) فمد شیخه عز الدین الصیادی يده واجتبه قبل أن يصل وقد لفح النار ثیابه فاستيقظ مذعوراً مروعـاً وقام لوقته ذاهـباً إلى شیخه المذکور فلما دخل عليه أكب على رجلـيه معترضاً قال له شیخه عز الدین : « لفح اللہ کما مس ثیابك جئتنا وصانک اللہ من النار ». .

قال المرید : « لقد رأیت أثر لفح اللہ فی ثیابی وفی جبة أکمام سیدی حيث صارت دخانـاً »^(٢) .

(١) « قلادة الجوادر » (ص ٤١٣) .

(٢) « إرشاد المسلمين » (ص ١٠٢) وكذلك « خزانة الأمداد في تاريخ بنى صياد » (ص ٢٩ - ٣٠) .

وهكذا يتضح لنا في النص السابق أن هذا الصوفي زعم بأن أحد المريدين استغاث بشيخه لكي ينجيه من جهنم وبالفعل استجاب له ونجاه كما زعم هو والذي يهمنا من النص هو استغاثة هذا الرجل بشيخه عز الدين الصيادي تاركاً وراءه الله سبحانه وتعالى الذي يجيب المضطر إذا دعاه والذي هو بإمكانه أن يغيث من استغاث به أما هؤلاء المتصرفون الذين يزعمون هذه المزاعم فهم كذبة فجرة لا يملكون لأنفسهم دفع الضر ولا جلب النفع فضلاً عن أن يملكون لغيرهم .

أما الآن فإليك جملة من النصوص الشعرية التي قالها المتصرفون متوجهين إلى مشائخهم طالبين منهم الإغاثة وتفریج الكرب .

فقد قال محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي متوجهًا إلى شيخه الرفاعي بالدعاء والاستغاثة :

يا رفاعي وقعت في اعتابك	فتدارك عبداً يلوذ ببابك
يا رفاعي يا غوث كل البرايا	لا تضيع طفلاً جميلاً الرجال بك
أنت غوث الوجود مفتح كنز الـ	وجود والخير صح من ميزابك
أنت حصن الملهوف والباذل الـ	المعروف والعاجزون من أحزابك

* * *

ولأنا عبدك الذي باعتقاد	علقت راحتاه في ثوابك
فتحرك بهمة وأغثني	وتذكر تشرفي بانتسابك
رضي الله عنك أدرك فاني	يا رفاعي وقعت في اعتابك ^(١)

(١) «الكتز المطلسم» للصيادي (ص ٦١ - ٦٢).

وهكذا كما نرى في هذا النص وصف الصيادي شيخه الرفاعي بأنه غوث البرايا وغوث كل هذا الوجود بكل ما فيه ووصفه بأنه حصن لكل ملهوف أصيب بكارثة وملجأ له ثم طلب منه في الأخير أن يغيثه وذكر له بأنه قد وقع في اعتابه طالباً الإغاثة وفرج ما به من كروب وهذه كلها أمور لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى فهو غيث البرايا والوجود بأكمله وهو الذي يغاث من استغاث به أما غيره من المخلوقات فلا يصح أن يوصف بهذه الأوصاف التي وصف الصيادي شيخه الرفاعي بها فإن هذا دعاء والذدعاء عبادة لا يجوز صرفه لغيره سبحانه ومن صرفة لغير الله فقد وقع في الشرك والمهم هذا النص كله من أوله إلى آخره شرك جلي

ويقول محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي أيضاً موجهاً الناس وداعياً لهم إلى التوجه بالدعاء والاستغاثة بالرفاعي :

لذا بباب الجليل الرفاعي ولك الأمان مسلم الدواعي
وتململ برحبه فمحاه حرم الوصول قاطع الانقطاع
فهو في العارفين كعبة بيت الله
وصل محراب جامع الانتفاع
وملاذى وملجأى ونصيري ومغيثى ومنقذى من ضياع
فعليه الرضا من الله ما صلى مصل وطاف بالبيت ساعي^(١)
ويقول الصيادي أيضاً واصفاً بشيخه الرفاعي :

يلاذ به إن جار في الدهر حادث ويحمي بعلياه إذا الزمن اعتدى^(٢)

ويقول الصيادي أيضاً مستغثاً بشيخه الرفاعي :

(١) « ديوان الفيض » المددي (ص ١٢٠ - ١٢١) .

(٢) « تنوير أبصار » (ص ١) .

ودوماً إليه في الصعب التجاهي
فذا مأمني من كل عاد وعاديه
ولا منجد أيام تسطو أعاديه
وقدت أؤدي في القيام حسائيه^(١)

به أحتمي إن سامي عذر غادر
ومن كرب أستغيث باسمه
وما لي سواه في الأنام وسيلة
وما لي إله إذا جئت خائفاً

إذا نظرنا في النصوص السابقة نجدها كلها من أولها إلى آخرها شرك
بوح واضح لا غموض فيه .

فقد أمر الصيادي من أراد تحقيق مأرب من المأرب أن يلوذ بالرفاعي
ويتململ بحمى الرفاعي ، ثم صرخ الصيادي بأن الرفاعي هو ملاذه الوحيد
وملجأه ونصيره ومغايشه ومنقذه من الضياع وهذه كلها أوصاف لا تليق إلا بالله
ومن زعم أن هذا يجوز وصف مخلوق به فقد وقع في الشرك الأكبر .

ثم وصف الصيادي شيخه الرفاعي بأنه الملاذ إذا حدث أي حادث في
هذا الكون وأنه الحمى الوحيدة الذي يحتمي به إذا خاف الإنسان أن يصاب
بأي مكره في هذا الزمن وهذا أيضاً لا يكون إلا لله فإنه هو الملاذ الوحيد
لكل من أراد النجاة في هذا الكون .

ثم صرخ الصيادي بأنه يحتمي بالرفاعي من غدر كل غادر في هذه
الدنيا وأنه دائماً في كل الصعب لا ينجي إلا إليه لأنه ملجأه الوحيد الذي
ليس له ملجاً سواه وأنه يستغيث به باسم الرفاعي إذا أصيب بأي كرب من
الクロب في هذه الدنيا لأنه مأمنه الوحيد الذي يحتمي به ويطلب منه النجدة
والنصرة .

وهكذا الصيادي نسي خالقه الذي قال في كتابه : **﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ﴾**

(١) « الكنز المطلسم » (ص ٨٤ - ٨٥) .

دَآخِرِينَ^(١).

والذي قال أيضاً : ﴿وَإِذَا سَأَلْتَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ
إِذَا دَعَانِ﴾^(٢).

والذي يقول أيضاً : ﴿أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ
وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾^(٣).

فتوجه الصيادي إلى شيخه الرفاعي بتلك الأدعية التي سبق ذكرها والتي هي كلها شركيات كما نراها أمام أعيننا فإنما لله وإنما إليه راجعون.

ويقول محمد نور أفندي متوجهاً إلى الرفاعي بالدعاء والاستغاثة :

يا ابن الرفاعي الرفيع مقامه
شرفت قياع العراق جميعها
كم نظرة وجهتها لمضيع
ولكم صرفت القلب نحو عویجز
يا من يؤمل كل يوم ملمة
يا صاحب العلمين يا بحر الندى
أدعوك غوناً يا ابن بنت محمد
لا تقطعن رحمي لذنب مسني

يا سيد الأقطاب والسدادات
فغدت بقبرك مهبط البركات
فجمعت الأمر منه بعد شتات
فرفعت رتبته إلى الغايات
يا من يؤم حماه للفضحات
يا عمدتي أبداً وحسن نجاتي
يا سيدتي يا علي الدرجات
وأقل دائمًا بفضلك عشراتي^(٤)

(١) غافر : (٦٠).

(٢) البقرة : (١٨٦).

(٣) النمل : (٦٢).

(٤) « الكنز المطلسم » (ص ٨٠ - ٨١).

إذا نظرنا في هذا النص نرى بوضوح أن النص من أوله إلى آخره شرك صريح حيث وصف محمد نور أفندي شيخه الرفاعي بأنه هو الأمل الوحيد عند حصول أي ملمة وإن حماه هو الذي يأمه كل من أصيب بفضائح في هذه الدنيا حتى يسترها عليه وأنه عمدته وحصنه الوحيد وأخيراً طلب منه الإغاثة وإقالة عثراته التي قد تقع منه .

وهذه أوصاف لا يجوز أن يوصف بها غير الله سبحانه وتعالى ومن صرفها لغير الله كما فعل هذا الصوفي فقد وقع في الشرك الأكبر .

ويقول عبد القادر أفندي الكاتب الثاني للسلطان عبد الحميد في مدح الرفاعي :

الجم المناقب من سلالة أحمد بعد النبي لخطبها المتلدد وإن الغوث شيخ الكل يقصد إمام القوم والشهم الممجد متى ناديته في الحال يوجد فإنني من نوالك صرت أحسد وجرد سيفك العصب المهند يؤمل منك أن يحمى وينجذ وبابك دائمًا للخير مرصد ولا أحد من الأعتاب يطرد ^(١)	شيخ الورى ابن أبي رفاعة أحمد غوث الخلقة والغياث المرتجى قصدت الغوث شيخ الكل أحمد أبو العلمين مولانا الرفاعي فيما لله من غوث جليل تداركني أبا العليا بلطف وأدراك مسرعاً واردد حسودي وكيف لا تجبر أبا هموم وأنت الغوث يا شيخ البرايا ملاذ الكل في الدنيا حماه
---	--

إذا نظرنا في الأبيات السابقة نجد أن الغلو فيها واضح حيث وصف

(١) « الكتز المطلسم » (ص ٨١) .

هذا الصوفي للرفاعي بأنه غوث كل الخليفة وأنه الغيث المرجح وأنه قد قصد الغوث الرفاعي وكل الناس يقصدونه لتفريح ما بهم من الكرب ثم وصف الرفاعي بأنه متى ناداه أي إنسان يأتيه حالاً ويقضي له قرضه ثم طلب من الرفاعي أن يتداركه بلطفه وهو مسرع ثم قال وأنت الغوث يا شيخ البرايا وأنه بابه يقصده كل من يريد الحصول على الخير وأنه المنجد الوحيد وملاذاً لكل من في هذه الدنيا وحماء ولا يطرد أحد من اعتاب قبره .

ولا عجب في هذا فإن الصوفية يعتقدون بأن الاستغاثة بالأئبياء والأولياء جائزة مطلقاً بلا قيد ولا شرط أحياءً وأمواتاً كما قال الشهاب الرملي : إن الاستغاثة بالأولياء والأئبياء والعلماء والصالحين جائزة فإن لهم إغاثة بعد موتهم كحياتهم^(١) .

ويقول أحد المتصوفة في السيد البدوي وداعياً كل من أصيب بمصيبة وأراد أن تنفرج عنه بالتوجه إلى السيد البدوي^(٢) :

يا من رماه الدهر بالإزعاج	ناد بعزم يا أبا فراج
فهذه الأزمان من الحوادث إن أنت	وهو الملاذ لنا وعون الراجي
وهو المراد إذا الخطوب تراكمت	وهو المجيب لدعوة المحتاج
وهو الطبيب لنا ومرهم طبه	ييرى ضعيف الحال دون علاج ^(٣)

وقال فيه أحد المتصوفة أيضاً :

وهو المجيب لسائل يتول	إذ باسمه عند المخاوف يهتف
وهو الملاذ إذا الخطوب تراكمت	وهو المعاذ في الشدائـد يعرف

(١) « مشارق الأنوار في نور أهل الاعتبار » لحسن العدوى (ص ٦٧) .

(٢) « السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة » (ص ٢٨٠) .

(٣) « السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة » (ص ٢٨١) .

وهو الذي في الكرب يكشف غمه
وهو الذي تلقى السعادة عنده
وهو الذي عمن اعتابه
كل المخاوف والمتاعب يكشف^(١)

ويقول فيه آخر :

إني أتيتك راجياً ومؤلاً
أنقذ مريدك من الأسرار
وانظر علي بنظرة علوية
أنجو بها من عصبة الفجار
أنا والذين معي فإنك عارف^(٢)
والله مطلع على الأسرار

وقال الآخر متوجهاً إلى السيد البدوي أيضاً بالدعاء والاستغاثة :

أتيت محاك الرب استمطر الندى
وبذل إيمان حالي من مضارع
وحاشا وكلما أنيب وإن لي
فؤاداً بقصد الغير ما هو قانع
نحوتك أرجو منك سالف عادتي
أغيرك نحوه المؤمل أو سوى^(٣)
رحابك أهل تشني اليد المطامع

وقال فيه آخر :

ومما أبغى يا أبا الفتىان في خطب حاج القلب من حسراته
من لي سواك أرومك في كشفه
أو أرجي إن ضقت من وثباته
عار عليك إذا أردت خويديماً قصر الفؤاد عليك في حاجاته^(٤)

إذا نظرنا في النصوص السابقة نجد أن هؤلاء المتتصوفة قد غلو في
السيد البدوي غلواً شديداً حتى رفعوه إلى منزلة الألوهية فصرفوا له أنواعاً

(١) «السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة» (ص ٢٨١).

(٢) «متابعة الأسرار ومطالعة الأنوار» (ص ٥١).

(٣) «السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة» (ص ٢٨١ - ٢٢٠).

(٤) «السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة» (ص ٣١٩).

عديدة من العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله حيث توجهوا إليه بالدعاء والاستغاثة وهذا يعتبر شركاً بالله سبحانه وتعالى .

وقال عبد الرحمن حسنين الشريف مستغيثًا بمشائخه المتصوفة وواصفًا لهم بأنهم أصحاب التصريف في هذا الكون ومجيبو كل من دعاهم وطالبًا منهم الإغاثة لنفسه وهذا نص كلامه فقد قال :

ألا يا سادتي أنتم رجال
هم السادات أرباب العطايا
هم الخلفاء للتصريف دوماً
وفي الأخرى مریدهم بعزم
إذا قال تابعهم أغيشوا
أبا العلمين يا درعي وحصني
دسوقي يا أبا العينين أدرك
أهل أجنح لغيركم وأنتم
وهل يخفاكم حالياً فحاشاً
هملوا وانظروا قد ضاق حالياً
ملوك العالمين على التوالي
بذى الدنيا لهم هم عوالي
ينال الخير مع رتب الكمال
عبيدكم أتوه بكل حال
أغشني أنه ضاق حالياً
معنى لائذاً من سوء حالياً
ملوك الأرض بل أنتم رجالياً
بأن يرضيكم ذلي وآلبي^(١)

إذا نظرنا في الأبيات السابقة نرى بوضوح أن الشرك فيها بالله سبحانه وتعالى واضح حيث وصف فيها الأولياء بأنهم أهل التصرف في هذا الكون وهم أرباب العطايا وأن كل من توجه إليهم وصار مریداً لهم يكون عزيزاً باستمرار وأن أي أحد من أتباعهم يستغيثوا به يغيثونه ثم توجه إلى شيخه قائلاً له أنت درعي وحصني وطالباً منه أن يغيثه إذا ضاق حاله ثم صرخ في الأخير بأنه لا يمكن أن يلتفت إلى غيرهم وهم الذين بأيديهم مقاليد الأمور في هذا الكون ثم أكد بأنهم لا يخفى عليهم شيء من حاله فهم يعلمون كل ما يكون في هذا الكون لأنهم أهل التصرف وكيف يتمكنون من التصرف

(١) « الرسالة الخيرية » لخير الدين الشريف الخلوي (ص ١٧٠ - ١٧١) نقلأً عن « مصرع الشرك والخرافة » (ص ٤٩٨) .

المطلق في هذا الكون وهم لا يعلمون حال من غاب عنهم من مريديهم إذا فالنص كله من أوله إلى آخره يحتوي على شرك بواح .

وهذا أحد المتسبين إلى الطريقة القادرية واسمه الشيخ عبد المجيد بن الشيخ محمد بن الشيخ صوفي الملقب بالشيخ عطا يقول مادحًا للشيخ عبد القادر الجيلاني ومستغيثًا به من دون الله :

وقال الشيخ أweis القادري الصومالي متوجهاً إلى مشائخه المتتصوفة
ومستغيثاً بهم لتفريح الكرب وطالباً منهم المدد قال:

ولا نرتقي المقام إلا بذكركم علينا تفضلوا بحسن حماكم لقلب الجريح في حمايا بحبنكم تميل بها الأعناق في شأن شأنكم سلونا من الرحمن حفظاً لدينكم	علونا علونا مذ سلکنا طريقكم فجودوا لنا الأمداد والفضل والعطایا أيا جملة الأحباب أنتم صباية إذا ما جلى العشاق بالجذبة ألسنا وكونوا لنا عوناً وحفظاً مؤبداً
--	---

^(١) « جلاء العينين » (ص ٥٩) .

فغيثوا أweis الواله ذا قيم ولو كان في الخطأ يرجو لقاءكم^(١)

إذا نظرنا في النصين الأول والثاني السابقين نجد فيهما الغلو الشديد حيث قال صاحب النص الأول بأنه يلوذ بعد القادر الجيلاني ويلتجئ إليه ليكشف عنه ما به من كرب ووصفه بأن غوثه عم جميع الورى ثم قال إنه ينادي باسم الشيخ عبد القادر الجيلاني في كل حال سواء كان في وقت الشدة أو وقت الرخاء وبهذا فاق في شركه المشركين الذين بعث إليهم الرسول ﷺ حيث إن أولئك المشركين كانوا يشرون بالله في وقت الرخاء فقط أما في وقت الشدة فكانوا يخلصون الدعاء لله سبحانه وتعالى كما قال تعالى في كتابه : ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلْكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ .

أما النص الثاني فقد صرخ أweis القادري فيه بأنه ارتفع مقامه وعلا منذ سلك طريق المتصوفة وأنه لا يمكن أن يرتقي أي مقام إلا بذكر مشائخه المتصوفة ثم توجه إليهم طالباً منهم المدد والفضل والعطايا ثم طلب منهم أن يكونوا لهم عوناً وأن يحفظوهم دائمًا وأبداً.

ثم طلب منهم طالباً خاصاً لنفسه أن يغاثوه وينقذوه مما يصيبه من المكاره والنكبات والمصائب في هذه الدنيا.

وهذه كلها شركيات بالله سبحانه وتعالى التي بعث الله الرسول لمحاربتها وإخراج الناس من ظلمات الشرك والخرافة إلى نور التوحيد الخالص.

(١) «الجوهر النفيس في خواص الشيخ أweis» (ص ٥٢).

وقال أحد المادحين لأويس القదري :

ذكرنا الصالحين إذا ألمت بنا كروب يضيق بها ضميري

بأهل الفضل من قطب وغوث
نلوذ بهم كجبلاني وليث
ونرجو فيضمهم بهمي كفيث

رضا الله عن شيخي وغوثي أويس الفاضل الفرد الكبير
زيارتة لنا ندب أكيد نروم بها نجاة من سعير
ملاذ عمدتي جاهي وعونى به أرجو من الرحمن صوني

من الآفات بل وقضاء ديني

غياثي ملجأي هو نور عيني إمام سيد سندي نصيري
لنا منه الأساتذة الهداء كغوث سيدى علوى الكبير
لنا الأقطاب أعلام ستون وأوتاد وأمجاد سيف

على الأعدا لهم سر منيف

مئون لنا حضر ألوف كشيخي الزيلعي القطب الوقور

ملادي يا مرادي يا نفيس
ومسندنا وعمدتنا الأنليس

مليح أنت يا شيخي أويس ومادح أحمد الهادي النذير

بشر مدحيمكم والنظم أهجو

على أعدائكم غوثي وألجو
بكم لأنال أمالى وأنجو^(١)

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن هذا المادح لأويس القادرى قد توجه إليه بالدعاء والاستغاثة من دون الله حيث وصفه بأنه ملجأه ومغيثه وملاذه ومراده وعمدته وجاهه ثم ذكر بأن من أصحاب هذه الطريقة القادرية الأقطاب والأوتاد وقد علمنا فيما سبق أن الأقطاب والأوتاد هم الذين يسرون أمر هذا الكون حسب المعتقد الصوفى المنحرف.

ونحن نقول باختصار أن المغيث والملاذ والملجأ الحقيقى هو الله سبحانه وتعالى أما سواه من المخلوقات فإنهم لا يستطيعون أن ينقذوا أنفسهم فضلاً عن أن ينقذوا غيرهم وهذه أدعية شركية تؤدي بصاحبها إلى الانسلان كليلة من الإسلام لو قالها وهو عالم بأنها شرك بالله وأى شرك أعظم من هذا؟!!

وقال صاحب كتاب «الجوهر النفيس» مادحًا للشيخ أويس القادرى
ومتجهًا إليه بالدعاء والاستغاثة :

مدد هيأ غوثنا النفيس ونفحـة منك يا أنيس

أنت إمام لنا رئيس

مدد مدد شيخنا أويـس مدد غـوثـنا أويـس

أنت غـيثـة الورى ظهـير

(١) «الجوهر النفيس في خواص الشيخ أويس» (ص ١٩٧ - ٢٠١).

و شمس دین کذا شہیر

أَخْبَارُكُمْ وَبِحُسْنَ ذَاعَتْ

شهرتكم في الأنام شاعت أنت الشفا شيخنا أweis

ملاهي و من داء کا

ومن کروں و من ملاہی

بكم نلوذ إذا اتسمت بنا الكروب وكذا وهمت

كل الأعادي بنا وعمت^(١)

إذا نظرنا في النص السابق نجد كله يدور حول الاستغاثة بالشيخ
ودعائهم من دون الله وكما نعلم فالدعاء عبادة وصرف العبادة لغير الله شرك
بواح .

وقال أحد المادحين لأويس القادري متوجهاً إليه بالدعاء والاستغاثة :

أويس القادری شاهر	مدد يا صاحب العاطر
فأسعدنـي أـبا شاعر	أـبـث إـلـيـك حاجـاتـي
يقـفـ يـوـمـاـ يـعـدـ ظـافـرـ	بـهـيـ الـوـجـهـ بـابـكـ مـنـ
بتـاجـ الـأـولـيـاءـ فـاخـرـ	تـقـيـ أـنـتـ تـوجـنـيـ
محـبـتـكـ مـأـذاـكـ	ثـبـتـنـيـ يـاـ مـلاـذـيـ فـيـ

(١) «الجوهر النفيس في خواص الشيخ أويس» (ص. ١٩٠).

فتى كالغوث قم بادر
 رأى في النوم يا سامر
 غدى لضرير حكم زائر
 ليس يفلح دائمًا خاسر
 ثم حي يسمع الزائر
 مرتبطة من الفاطر
 يا صاحب العاطر
 الغريب مبيد للكافر
 بكم ينجو من الضائر^(١)

زيارته عظيم يا
 سعيد من زاره أو
 ظهير كن لنا ولمن
 فقاتل شقيق
 قريب في ضريح
 كشيخه عبد قادرنا
 لئيما لا يكون وصيكم
 مناء يملجأي مأوي
 يقيناً من أنا لجنا

وقال أحد القاديرية مادحًا للشيخ أويس القادي ومقرًا له بأنه غياث
 جميع من هذا الورى :

حي شافع غياث الورى معين منجي كاشف الكروب

وقد ذكر القاديرية للشيخ أويس القادي الصومالي عدة أسماء وادعوا
 بأن من قرئت عليه هذه الأسماء يرأ في حينه^(٢) .

كما نرى في البيت السابق ادعى فيه هذا القادي الصوفي بأن غياث
 جميع ما في هذا الكون هو شيخه أويس القادي وهذا شرك جلي واضح
 لكل منصف كفيل بإخراج الإنسان من الانسلالخ منه إذا قاله وهو يعرف أنه
 شرك .

وقال الشيخ علي بن محمد زويله الصومالي القادي في مدحه شيخه

(١) «الجوهر النفيس في خواص الشيخ أويس» (ص ٢١٢).

(٢) انظر «الجوهر النفيس في خواص الشيخ أويس» (ص ١٥).

محبي الدين العلي ومسعياً به من دون الله :

مجد يحتوي على بلوغ المسرة
معادى مریديه مصیب بمحنة
له الخارقات كالتراب بكثرة
میازیب علم الله محبي الطريقة
على سل له الإله رفع البلية
من الضر والأذى وضیف المعیشة
هو الغار للمرید عند الأزمة
بدینا وأخرى رب جد لي بسرعة
يلوذ بمحبی الدين مع حسن نیة^(۱)

فلاح لمن في جوفه حب شیخنا
قریب لمن ناداه باسمه قاهر
له العز والتصریف في الكون والعلا
مربی ومرشدی ملاذی به مؤمن
مهین ذلیل لاذ فی حماکمو
نلوذ بمحبی الدين نور البصائر
هو الغوث للأئم واللیث للعدی
لا بغی بمدحه بلوغ المطالب
يمینا بأن الله ینجی جميع من

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن علي بن محمد بن زويلة قد
ادعى بأن شیخه محبی الدين العلي له التصرف في السموات والأرض وأنه
ملاذہ الوحید وادعى بأنه يلوذ به إذا أصیب بضر أو أذى أو أصیب بضيق
معیشی ووصفه بأنه هو الغوث لهذا الأئم کله وهذا شرك جلي واضح الذي
بعث الرسل وأنزلت الكتب من أجل محاربته .

وقال السيد جعفر الصادق^(۲) مادحاً لمحمد الطیب الحسن أحد أفراد
الطريقة الختمية المشهورة متوجهاً إليه بالدعاء والاستغاثة :

أنت الغیاث إذا ناداك ذو كرب أنت العیاذ ملاذ الخائف الحزن
أنت الصفوح عن الزلات يا أملی كجذك المصطفی المعهود بالمن

(۱) « تذكرة أهل اليقين في مناقب الشیخ محبی الدين » (ص ۸۶) .

(۲) هو السيد جعفر الصادق بن محمد عثمان المیرغنى السوداني حفید محمد عثمان المیرغنى
مؤسس الطريقة الختمية والتي انتشرت انتشاراً واسعاً في السودان وأرتيريا .

أنت الرحيم وقام الله كل ردى
 ودمت تهدي الورى ما دمت في الزمن
 عين العناية يا سر الرعاية
 يا نور الهدایة هادی واضح السنن
 قطب الطريقة غوث السالكين أغث
 من جاءكم قاصداً يا كامل الفطن
 يا ضنو مجد أخاك فضل حليف ندى
 يا روح روحي وروح الجسم والبدن
 أنبذ كلام وشاة عهم عمه
 باءوا بخزي النار والهم والحزن^(١)

فالنص السابق وصف فيه هذا الصوفي شيخه بأنه الغياث لكل من
 أصيب بكربة وناداه وأنه العياذ والملاذ لكل خائف ثم وصفه بأنه غوث لكل
 من سلك طريق المتصوفة وطلب منه أن يغيث كل من جاءه قاصداً له وهذا
 فقد نسي الله نهائياً وأله الشيخ وصرف له أنواعاً من العبادات لا يجوز صرفها
 لغير الله .

والخلاصة التي نخرج بها من هذا المطلب بعد إيرادنا لنصوص عديدة
 من كتب عديدة من كتب المتصوفة ومن مشائخ عديدين أن المتصوفة بالفعل
 نسوا الله عز وجل نهائياً وصرفوا الدعاء والاستغاثة لمشايخهم وهذا أمر لا
 يجوز في الإسلام لأن الدعاء والاستغاثة عبادة لا يجوز صرفها لغير الله .

وفي المطلب الآتي سنذكر حكم الإسلام في دعاء غير الله وبه سيقرر
 حكم صرف الدعاء لغير الله وذلك بإيراد أدلة من الكتاب والسنة وأقوال
 العلماء قديماً وحديثاً إن شاء الله تعالى .

(١) «الديوان الكبير» لجعفر الصادق الميرغني (ص ٧٣) وانظر كذلك كتاب «الزيارات»
 لمحمود العدوبي (ص ٢٩) وكذلك «سفينة اللجوء» (ص ٤١) .

المطلب الثاني

حكم دعاء غير الله في الإسلام

إذا أردنا أن نعرف حكم الإسلام في دعاء غير الله فلابد وأن نرجع إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله محمد ﷺ ونقرأ فيما بتدارس حتى نعرف حكم الإسلام في دعاء غير الله .

وإذا رجعنا إليهما فسنجد بأنهما دلاة واضحة على أن دعاء غير الله شرك وإلى جانب ذلك فقد صرخ كثير من أئمة العلم في عصور مختلفة بأن دعاء غير الله شرك وكفر وسأبدأ أولاً بذكر الأدلة من القرآن الكريم التي تدل على أن دعاء غير الله شرك ثم سأتابع ذلك بنصوص من السنة النبوية ثم سأتابعه بأقوال العلماء وذلك حتى نقطع الحجة على أولئك الصوفية القبوريين الذين يتوجهون بالدعاء والاستغاثة إلى مشائخهم في السراء والضراء معرضين عن الله سبحانه وتعالى .

أولاً : الأدلة من القرآن الكريم التي تدل على أن دعاء غير الله شرك:

لقد تنوّعت دلالة القرآن الكريم على كفر من دعا غير الله تعالى وجاءت بأساليب شتى وطرق متنوعة وإليك نماذج من هذه الأساليب .

أولاً : توجد في القرآن الكريم آيات تدل على أن الدعاء عبادة وهذا يدل على أن من صرفة لغير الله تعالى قد أشرك بالله تعالى معه غيره وكفر لأن من صرف شيئاً من العبادات لغير الله تعالى فقد أشرك والله سبحانه وتعالى قد أمر عباده أن يخلصوا له العبادة ونهاهم عن أن يشركوا به في كثير من الآيات القرآنية .

* ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
الَّذِينَ حَنَفُوا﴾^(١).

* ومنها قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾^(١)
وأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢) ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ﴾^(٣) ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾^(٤).

* ومنها قوله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا﴾^(٥).

* ومنها قوله تعالى : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا
يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٦).

فالآيات المتقدمة كلها تحت على إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى
وحده لا شريك له وتنهى عن أن يشرك فيها معه غيره وما دام الأمر كذلك
فيجب أن يفرد الله سبحانه بالدعاء أيضاً لأنَّه عبادة وصرف العبادة لغيره
سبحانه شرك جلي والشرك بالله يعتبر ظلماً عظيماً كما قال تعالى حكاية عن
لقمان : ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لَابْنِهِ وَهُوَ يَعْظِهِ يَا بُنْيَ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ
عَظِيمٌ﴾^(٧).

* ومن أمثلة الآيات التي تدل على أن الدعاء عبادة قوله تعالى :
﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ

(١) الآية : (٥).

(٢) الزمر : (١١ - ١٤).

(٣) النساء : (٣٦).

(٤) الكهف : (١١٠).

(٥) لقمان : (١٣).

جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿١﴾

* ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۚ ۝ وَإِذَا حَشَرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۝﴾^(٢).

* ومنها قوله تعالى : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيقًا ۝ فَلَمَّا اعْتَزَلُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۝﴾^(٣).

والقصد من إيرادها في هذا المطلب هو الإثبات بأن الدعاء عبادة من أجل العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله سبحانه وتعالى .

ثانيًا : هناك آيات قرآنية كثيرة وصفت صرف الدعاء لغير الله شركًا أو كفراً ووصفت الذين يدعون غير الله بأنهم مشركون أو كفرون .

* من هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشَرِكِكُمْ وَلَا يُبَيِّنُكُمْ مُثْلُ خَبِيرٍ ۝﴾^(٤).

* ومنها قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَنْتُكُمُ السَّاعَةُ أَغْيَرُ اللَّهَ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ ۝ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْسِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ۝﴾^(٥).

* ومنها قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ۝﴾^(٦).

(١) غافر : (٦٠) .

(٢) الأحقاف : (٥ - ٦) .

(٣) مريم : (٤٨ - ٤٩) .

(٤) فاطر : (١٤) .

(٥) الأنعام : (٤٠ - ٤١) .

(٦) الجن : (٢٠) .

* ومنها قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا أَخْرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابَهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾^(١) .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله في هذه الآية رحمه الله :

« والآية نص في أن دعاء غير الله والاستغاثة به شرك أكبر »^(٢) .

* ومنها قوله تعالى : ﴿قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلَّوْا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾^(٣) .

ومنها قوله تعالى : ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾^(٤) .

فقد بيّنت هذه الآية أن الذي يكره إخلاص الدعاء لله تعالى ويفرح ويستبشر إذا دعي أصحاب القبور كافر مشرك .

فهذه الآيات التي سبق ذكرها آنفًا تدل دلاله صريحة على أن من دعا غير الله تعالى مشرك كافر .

ثالثاً : هناك آيات في القرآن الكريم تدل على أن دعاء الله وحده في الشدة إخلاص وتوحيد وأن دعاء غير الله في الرخاء شرك وكفر واتخاذ أنداد لله تعالى .

فمن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلُكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(٥) .

(١) المؤمنون : (١١٧) .

(٢) « تيسير العزيز الحميد » .

(٣) الأعراف : (٣٧) .

(٤) غافر : (١٢) .

(٥) العنكبوت : (٦٥ - ٦٦) .

* ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نَعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكْمُ الْضُّرُّ
فِيْلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾^(٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الْضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ يَرْبَهُمْ يُشْرِكُونَ
لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾^(١)
﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾^(٥٤)

* ومنها قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا
خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ
تَمْتَعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾^(٢).

* ومنها قوله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ
أَتَتُكُمُ السَّاعَةُ أَغْيَرُ اللَّهَ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٣) بَلْ إِيَاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا
تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَسْوُنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾^(٤).

رابعاً : هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم وصفت من دعا غير الله بأنه
ظالم وضال ، والظلم والضلال كثيراً ما يطلقان على الكفر كما في حديث
ابن مسعود مرفوعاً أينا لم يظلم نفسه . . . وفيه « ألم تسمع قول لقمان إن
الشرك لظلم عظيم »^(٤).

وقد ذكر الشاطبي استعمالات الضلال في القرآن الكريم ثم خرج بنتيجته
إلى أن الضلال في غالب الأمر إنما يستعمل في موضوع يزل صاحبه لشبهة
تعرض أو تقليد من عرضت له الشبهة فيتخذ ذلك الزلل شرعاً ودينًا يدين به
مع وجود واضحة الطريق الحق ومحض الصواب^(٥).

(١) النحل : (٥٣ - ٥٥).

(٢) الزمر : (٨).

(٣) الأنعام : (٤٠ - ٤١).

(٤) البخاري مع الفتح (٨٧/١).

(٥) « الاعتصام » للشاطبي (١٣٩/١).

* فمن الآيات التي تدل على أن الشرك ظلم عظيم قوله تعالى حكاية عن لقمان : ﴿يَا بُنْيَ لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

فلقمان عليه السلام بدأ وصاياه لابنه بتحذيره من الشرك لأن المهلك الذي لا نجاة لأحد إلا إذا تخلى عنه وتاب وأناب إلى الله .

* ومن الآيات التي تدل على أن الشرك ضلال بعيد قوله تعالى :

﴿وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٢).

* ومنها قوله تعالى : ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلُ﴾^(٣).

* ومن الآيات التي تدل على أن من يدعوا غير الله ظالم قوله تعالى :

﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

* ومن الآيات التي تدل على أن من يدعوا غير الله ضال قوله تعالى :

﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾^(٥).

* ومنها قوله تعالى : ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيئُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٌ كَفَيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَلْعَنَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾^(٦).

(١) لقمان : (١٣).

(٢) النساء : (١١٦).

(٣) المائدة : (١٢).

(٤) يونس : (٦).

(٥) الحج : (١٢).

(٦) الرعد : (١٤).

ثانيًا : الأدلة من السنة المشرفة على أن دعاء غير الله شرك :

لقد رويت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تدل على أن الدعاء عبادة من هذه الأحاديث :

قول النبي ﷺ : « الدعاء هو العبادة »^(١) .

إذا نظرنا في الحديث السابق نرى بوضوح أن الرسول صرخ فيه بأن الدعاء عبادة وما دام كذلك فصرفه لغير الله شرك .

وهناك أحاديث كثيرة تدل على وجوب إفراد الله بالدعاء والسؤال والاستعانة من هذه الأحاديث حديث ابن عباس في وصية النبي ﷺ له : « إذا سألت فاسأله وإذا استعن فاستعن بالله »^(٢) .

وهناك أحاديث تدل على أن من دعا غير الله تعالى يدخل النار دخول الخلود وهذا يدل على أن دعاء غير الله كفر بالله وشرك به .

من هذه الأحاديث حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ كلمة وقلت أخرى ، قال النبي ﷺ : « من مات وهو يدعون دون الله ندأ دخل النار » وقلت أنا : من مات وهو لا يدعو لله ندأ دخل الجنة^(٣) .

فالآحاديث المتقدمة كلها تدل بمجموعها على أن دعاء غير الله يعتبر شركاً بالله سبحانه وتعالى وكتاب الله عز وجل وسنة رسوله محمد ﷺ فيهما الكفاية لمن أراد الهدى إلا أنني أريد أن أذكر جملة من أقوال العلماء

(١) « سنن الترمذى » (٤٢٦/٥) .

(٢) « سنن الترمذى مع تحفة الأحوذى » (٢١٩/٧) وابن السنى في « عمل اليوم والليلة » (ص ٢٠٢) وابن أبي عاصم في « السنة » (١٣٨/١) .

(٣) « صحيح البخارى » مع الفتح (١٧٦/٨) .

قديماً وحديثاً التي صرحو فيها بأن دعاء غير الله يعتبر شركاً.

ثالثاً : أقوال العلماء في حكم دعاء غير الله :

أريد في هذه الفقرة أن أذكر نبذة من أقوال العلماء وذلك من أجل إقناع بعض الناس الذين لا يذعنون للقرآن والسنة مهما ذكرت لهم من أدلة إلا إذا قلت لهم إن العالم الفلاسي قال كذا وكذا ولكي أؤكد على أن من اعتبر دعاء غير الله شركاً ليس المتأخرين فقط والذين يسمونهم بالوهابية بل هذا الحكم هو حكم الله وحكم رسوله وهو مذهب أهل السنة والجماعة على مدار التاريخ الإسلامي الطويل وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

* فمن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركاً بالله سبحانه وتعالى الشيخ الإمام صنع الله بن صنع الله الحلبي الحنفي^(١) .

فقد قال رحمة الله : « هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم ويستغاث بهم في الشديد والبليات وبهم تكشف المهمات فإذاً قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات » . . . إلى أن قال : « وهذا كلام فيه تفريط وإفراط بل فيه الهلاك الأبدي والعقاب السرمدي لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ومخالفة لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة »^(٢) .

* ومن العلماء الذين استنكروا التوجه بالدعاء إلى غير الله واعتبروه

(١) هو صنع الله بن صنع الله الحلبي الأصل المكي سكتاً الحنفي واعظ فقيه محدث له من المؤلفات « أرجوزة في الحديث » و « سيف الله على من كذب على أولياء الله » (ت ١١٢٠).

« معجم المؤلفين » (٥/٤٢) .

(٢) « القول الفصل » (٤٨/٤٩) و « حكم الله الواحد الصمد » (ص ١٣) .

شركًا بالله أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنُ وَجِيَهِ الدِّينِ الْمُعْرُوفِ بِشَاهِ وَلِيِ اللَّهِ الْدَّهْلُوِيِّ الْعُمَرِيِّ الْحَنْفِيِّ فَقَدْ قَالَ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ تَعْرِيفَ الشَّرْكِ وَمَظَاهِرِهِ وَقَوْالِبِهِ وَمَظَانِهِ عَنْ الْمُشْرِكِينَ وَذَكَرَ مِنْهَا السُّجُودَ قَالَ :

« وَمِنْهَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَعِينُونَ بِغَيْرِ اللهِ فِي حَوَائِجِهِمْ مِنْ شَفَاءِ الْمَرِيضِ وَغَنَاءِ الْفَقِيرِ وَيَنْذِرُونَ لَهُمْ وَيَتَوقَّعُونَ إِنْجَاحَ مَقَاصِدِهِمْ بِتِلْكَ النِّذُورِ وَيَتَلَوُنَ أَسْمَاءِهِمْ رَجَاءً بِرَبِّكُوكَهَا فَأَوْجَبَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُولُوا فِي صَلَواتِهِمْ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١) وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾^(٢) .

وَقَالَ أَيْضًا : « كُلُّ مَنْ ذَهَبَ إِلَى بَلْدَةِ أَجِيرِ أوْ قَبْرِ سَالَارِ وَمَسْعُودِ أوْ مَا ضَاهَاهَا لِأَجْلِ حَاجَةٍ يَطْلَبُهَا فَإِنَّهُ أَثْمًا أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَالْزِنَا وَلَيْسَ مِثْلَهُ إِلَّا مِثْلُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْمَصْنُوعَاتِ أَوْ مِثْلُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْلَّاتِ وَالْعَزِيزِ »^(٣) .

وَقَالَ أَيْضًا : « وَاعْلَمُ أَنَّ طَلَبَ الْحَوَائِجِ مِنَ الْمَوْتَى عَالَمًا بِأَنَّهُ سَبَبُ لِإِنْجَاحِهَا كُفُرٌ يَجِبُ الْإِحْتِرَازُ عَنْهُ تَحْرِمُهُ هَذِهِ الْكَلْمَةُ وَالنَّاسُ الْيَوْمَ فِيهَا مِنْهُمْ كُونٌ »^(٤) .

* وَمِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ اسْتَنْكَرُوا دُعَاءَ الْأَمْوَاتِ وَطَلَبَ الْحَاجَاتِ مِنْهُمْ الشِّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنُ عَبْدِ الْغَنِيِّ الدَّهْلُوِيِّ الشَّهِيرُ فَقَدْ وَصَفَ نَدَاءَ الْأَمْوَاتِ فِي رِسَالَةِ التَّوْحِيدِ أَوْ تَقوِيَّةِ الإِيمَانِ لَهُ بِأَنَّهُ شَرَكَ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٥) .

(١) الفاتحة : (٥) .

(٢) الجن : (١٨) .

(٣) البصائر : (٢٧٣) .

(٤) « البصائر » (٢٧٣) نَقْلًا عَنْ « الخير الكثير » للدهلوi (ص ١٠٥) .

(٥) « تقوية الإيمان » لمحمد بن إسماعيل الدهلوi (ص ٦٥ - ٦٧) .

* ومن العلماء الذين صرحوا بأن دعاء غير الله شرك : الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوi فقد قال :

« قد أفرط الناس من هذه الأمة في باب الاستعانة بالأرواح الطيبة فما يفعله الجهلة والغوغاء وما يعتقدون لها من استغلال في كل عمل فهو من غير شك شرك جلي »^(١).

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركاً بالله : أبو عبد الكريم محمد سلطان بن أبي عبد الله محمد المعصومي فقد قال بعد أن ضرب عدة أمثلة لاستغاثات المتصوفة بالأولياء :

« اعلموا أيها المسلمين - وفقني الله وإياكم لما فيه رضاه ويا أيها الحنفيون هداني الله تعالى وإياكم إلى الصراط المستقيم أن هذه الكلمات كلها شرك وكفر وضلال في الدين الإسلامي والشرع المحمدي والمذهب الحنفي بل المذاهب الأربعة إجماعاً وقاتلها مشرك لا تصح صلاته ولا صيامه ولا حجه ولا إمامته إلا إذا تاب وأمن وأعلن توبته كما أشهر شركه »^(٢).

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركاً بالله أحمد ابن علي بن عبد القادر المعروف بالشافعي المقرizi فقد قال رحمة الله :

« وشرك الأمم كله نوعان شرك في الإلهية وشرك في الربوبية فالشرك في الإلهية والعبادة هو الغالب على أهل الشرك وهو شرك عباد الأصنام وعباد الملائكة وعباد الجن وعباد المشائخ والصالحين الأحياء والأموات الذين قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ويشفعوا لنا عنده وينالنا بسبب قربهم من

(١) « مجموع فتاوى عبد العزيز » (ص ١٢١) نقلأً عن « هامش رسالة التوحيد » (ص ٦٧).

(٢) « حكم الله الواحد الصمد » (٤ - ٧).

الله وكرامته لهم قرب وكرامة »^(١) .

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركاً بالله وكفراً عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي المشهور بأبي شامة .

فقد ذكر ما وقع من جهال العوام من انتمائهم إلى طريقة الفقر والتصوف واعتقادهم في المشائخ المتصوفة الضاللين المضللين ثم قال : « وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها » .

ثم ذكر ما تفعله العامة من تحليق الحيطان والعمد وإيقاد السراج على المواقع يزعم أنه رأى في المنام أحداً من اشتهر بالصلاح والولادة إلى أن يصل بهم الحال إلى تعظيم تلك الأماكن ورجاء الشفاء وقضاء الحاجات منها بالنذر وهي ما بين عيون وشجر وحائط وفجر^(٢) .

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركاً بالله الشيخ أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي رحمه الله^(٣) .

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركاً بالله سبحانه وتعالى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله فقد قال :

« فكل من غلا فينبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يدعوه من دون الله مثل أن يقول يا سيدني فلان أغثني أو أجرني أو أنت

(١) « تجريد التوحيد » للمقرئي (ص ١٤) .

(٢) « الباعث على إنكار البدع والحوادث » لأبي شامة (٢٣) .

(٣) انظر « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص ٤٠٢) وكذلك « مفيض المستفيد » (ص ٣١) .

حسبى أو أنا في حسبك فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا
قتل «^(١)».

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شرّاً بالله الإمام ابن القيم رحمه الله فقد قال في معرض حديثه عن أنواع الشرك :

« ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عن استغاثة به وسأله قضاء حاجته أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها . . . والميت يحتاج إلى من يدعوه ويترحم عليه ويستغفر له كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ونسأل لهم العافية والمغفرة فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة واستقضاء الحاجات والاستغاثة بهم وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد وسموا قصدها حججاً واتخذوا عند الوقفة وحلق الرأس فجمعوا بين الشرك بالمعبد الحق وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله إلى التنصاص للأموات وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأولياء الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئاً بذمهم وعيتهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنصاص إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا وأنهم أمرؤهم به وأنهم يوالونهم عليه وهؤلاء هم أعداء الرسل والتوحيد في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم »^(٢).

وذكر رحمه الله تعالى زيارة القبورزيارة الشرعية للدعاء لهم والترحم عليهم والاستغفار ثم قال :

(١) « الوصية الكبرى » إلى الشيخ المدى ضمن الفتاوى (٣٩٥/٣) وعنـه الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب في « الرسائل الشخصية » (١٧٧).

(٢) « مدارج السالكين » لابن القيم (١/٣٤٦ - ٣٤٧).

« فأبى المشركون إلا دعاء الميت والإشراك به والإقسام على الله به وسؤاله الحوائج والاستغاثة به والتوجه بعكس هديه ﷺ فإنه توحيد وإحسان إلى الميت وهدي هؤلاء شرك وإساءة إلى نفوسهم وإلى الميت وهم ثلاثة أقسام : إما أن يدعوا الميت ، أو يدعوه به ، أو عنده ويرون الدعاء عنده أوجب وأولى من الدعاء في المساجد ومن تأمل هدي رسول الله ﷺ وأصحابه تبين له الفرق بين الأمرين وبالله التوفيق »^(١) .

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شرگاً بالله الإمام الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله فقد قال ما ملخصه :

« إن المبالغة في تعظيم الرسول ﷺ بالحج إلى قبره والسجود له والطواف به واعتقاد أنه يعلم الغيب وأنه يعطي ويمعن ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع وأنه يقضي حوائج السائلين ويفرج كربات المكروبين وأنه يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء فهذه المبالغة في الشرك وانسلاخ من ذمة الدين »^(٢) .

وإذا كان هذا الحكم فيما اعتقد في الرسول هذا المعتقد فمن باب أولى من اعتقد النفع والضر في غير الرسول وتوجه إليه بالدعاء والاستغاثة كما يفعله المتصرفون مع أوليائهم .

* ومن العلماء الذين اعتبروا دعاء غير الله شرگاً الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى فقد قال :

« إن قول العبد لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله غير الله والإله هو الذي

(١) « زاد المعاد في هدي خير العباد » لابن القيم (٢٥٧/١) .

(٢) « الصارم المنكري في الرد على السبكي » (ص ٣٥١) .

يطاع فلا يعصي هيبة له وإنجلاً ومحبة وخوفاً ورجاءاً وتوكلًا عليه وسؤالاً منه ودعاء له ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قوله لا إله إلا الله ونقصاً في توحيده وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك وهذا كله من فروع الشرك «^(١)».

* ومن العلماء الذين اعتبروا دعاء غير الله شركاً الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير الصناعي فقد قال رحمه الله :

« إن من اعتقاد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب إلى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتسلل به إلى الرب . . . فإنه قد أشرك مع الله غيره واعتقد ما لا يحل اعتقاده كما اعتقد المشركون في الأوثان فضلاً عمن ينذر بماله وولده لميت أو حي أو يطلب من ذلك الميت ما لا يطلب إلا من الله تعالى من الحاجات من عافية مريضية أو قدوم غائبة أو نيله لأي مطلب من المطالب فإن هذا هو الشرك بعينه الذي كان ويكون عليه عباد الأصنام » «^(٢)».

وقال أيضاً في مكان آخر من نفس الكتاب :

« ومن نادى الله ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً وخوفاً وطمعاً ثم نادى معه غيره فقد أشرك في العبادة فإن الدعاء من العبادة » «^(٣)».

(١) « كلمة الإخلاص وتحقيق معناها » للحافظ بن رجب الحنبلي (ص ٢٣ - ٢٤) .

(٢) « تطهير الاعتقاد » للصناعي (ص ١٩ - ٢٠) .

(٣) « تطهير الاعتقاد » للصناعي (ص ٢٦) .

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شرگاً بالله تعالى الشيخ حسين بن مهدي النعمي فقد قال رحمه الله بعد كلام طويل له في موضوع الدعاء :

« فحيثئذ علمت إن شاء الله تعالى بالبرهان الصحيح واليقين الذي لا يخالطه أدنى ريبة ولا يتتباه أو يتصور عليه وهم أو يتطلّف عليه شك أن دعاء المخلوق وقصده بذلك من متفاحش الظلم ومتباغ الشراك ومنازعة في خاص حق الله وخضوع وتذلل بخاص عبادته لسواه إذ روح كونك عبد إله تعالى هو هذا المقام وهذا التكليف والتصور بهذه الحالة »^(١) .

فقد صرّح النعمي رحمه الله في النص السابق بأن دعاء غير الله تعالى من أبلغ الشرك وأفحش الظلم إذ هو وضع للعبادة التي هي من خصائص الله في غير محلها الذي هو المخلوق .

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شرگاً بالله الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني فقد قال رحمه الله :

« إن من اعتقد في ميت من الأموات أو حي من الأحياء أنه يضره أو ينفعه إما استقلالاً أو مع الله تعالى أو ناداه أو توجه إليه أو استغاث به في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق لم يخلص التوحيد لله ولا أفرده بالعبادة إذ الدعاء بطلب وصول الخير إليه ودفع الضر عنه هو نوع من أنواع العبادة وإن الشرك هو دعاء غير الله تعالى أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقارب به إلا إليه »^(٢) .

(١) « معارج الألباب في مناهج الحق والصواب » للنعمي (ص ١٩٣) .

(٢) « الدر النضيد » للشوكاني (ص ٣٣) .

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شرگاً بالله الشيخ محمد صديق خان القنوجي البخاري فقد قال رحمه الله :

« فمن استغاث بغيره - أَيَّ اللَّهَ - فِي الشَّدَائِدِ وَدَعَا بِغَيْرِهِ فِيهَا فَقَدْ كَفَرَ »^(١)

وقال أيضاً رحمه الله : « فالدعاء هو التوحيد فمن دعا غير الله فقد أشرك ودعا غيره سبحانه شرك لا شك فيه »^(٢) .

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شرگاً بالله الشيخ محمد بن عبد الوهاب الداعية البارز الذي قام بالدعوة إلى الله على ضوء الكتاب والسنة ووجه من قبل المتصوفة القبوريين بالمحاربة والمعارضة ولكنه قد صمد أمامهم مستعيناً بالله سبحانه وتعالى حتى أظهر الله هذه الدعوة السلفية وعم بنفعها أرجاء العالم بحيث ما من بلد في هذا العالم قرب أو بعد إلا وتجد من يعتقد المعتقد الصحيح المعتمد على الكتاب والسنة وهذا بفضل هذه الدعوة السلفية المباركة بعد الله سبحانه وتعالى وقد تكلم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عن توحيد الألوهية بإسهاب ويلاحظ ذلك كل من يقرأ في كتبه رحمه الله تعالى فمثلاً كتابه المسمى بكتاب « التوحيد » من أوله إلى آخره كله دعوة إلى إفراد الله بالعبادة من دعاء وتوكل وذبح ونذر وغيرها من العبادات والنهي عن صرفها لغيره كائناً من كان .

وإليك مقتطفات من أقواله رحمه الله التي تدل على استنكاره لدعاء غير الله واعتبار من يفعل ذلك مشرگاً .

(١) « الدين الخالص » لمحمد صديق خان (١٨٣/١) .

(٢) « الدين الخالص » لمحمد صديق خان (٢٢٢/١) .

فقد قال رحمة الله : « اعلم أن من نواقض الإسلام عشرة » فذكر الناقض الأول ثم قال : « الثاني من جعل بينه وبين الله وسائل يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم كفر إجماعاً »^(١).

وعقد في كتاب « التوحيد » باباً بعنوان : « باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره » وذكر في مسائل هذا الباب المسألة الثالثة : أن هذا هو الشرك الأكبر »^(٢).

وأيضاً : « وأما النذر له - أي القبر - ودعاؤه والخضوع له فهو من الشرك الأكبر »^(٣).

وقال أيضاً رحمة الله :

« فمن عبد الله ليلاً ونهاراً ثم دعا نبياً أو وليناً عند قبره فقد اتخد إلهين اثنين ولم يشهد أن لا إله إلا الله لأن الإله هو المدعا »^(٤).

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركاً بالله الشيخ سليمان بن عبد الله حيث قال رحمة الله بعد أن ذكر الآيات والأحاديث وأقوال العلماء في هذا الموضوع :

« وقد تبين بما ذكر . . . أن دعاء الميت والغائب والحااضر فيما لا يقدر عليه إلا الله والاستغاثة بغير الله في كشف الضر أو تحويله هو الشرك الأكبر بل هو أكبر أنواع الشرك لأن الدعاء مخ العبادة ولأن من خصائص الالوهية إفراد الله بسؤال ذلك إذ معنى الإله هو الذي يعبد لأجل هذه الأمور ولأن الداعي إنما يدعو إليه عند انقطاع أمله مما سواه وذلك خلاصة التوحيد وهو

(١) « مؤلفات الشيخ القسم الأول العقائد » (ص ٣٨٥).

(٢) كتاب « التوحيد » للشيخ محمد بن عبد الوهاب (٥٠ - ٥١).

(٣) القسم الثالث الفتاوى (ص ٧٠).

(٤) « الرسائل الشخصية » (ص ١٦٦).

انقطاع الأمل مما سوى الله فمن صرف شيئاً من ذلك لغير الله فقد ساوي بينه وبين الله وذلك هو الشرك^(١).

* ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركاً بالله الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ فقد قال رحمة الله بعد أن ذكر الأدلة التي تثبت بأن الدعاء عبادة :

« فإذا عرفت ب الصحيح المنقول وصريح المعقول أن الدعاء عبادة وأن مدلوله السؤال والطلب ، فمن صرف من هذه العبادات شيئاً لغير الله فقد أشرك مع الله غيره في عبادته كائناً ما كان لعموم النهي عن دعوة غير الله في القرآن كله من أوله إلى آخره فمن ادعى أنه يصرف منه شيء لأحد سوى الله فقد صادم الكتاب والسنة وخالف ما اجتمعت دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم فيما دعوا إليه أممهم بقولهم : ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(٢).

ونكتفي بهذا في ذكر أقوال العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركاً بالله ودعوا إلى محاربته مع وجود غيرهم من العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركاً بالله وتركناهم خشية الإطالة وما كان نطول بسرد هذه الأقوال الكثيرة عن العلماء لولا وجود طائفة من الناس لا يمكن أن تقنع بالأدلة القرآنية والنبوية إلا إذا ذكرت لها أقوال العلماء وذلك لأن حكم الله وحكم رسوله كان واضحًا في المسألة حيث اعتبر دعاء غير الله شركاً محضًا يجب الابتعاد عنه وإلى جانب ذلك أكثرت من أقوال العلماء

(١) « تيسير العزيز الحميد » (ص ٢٤٣).

(٢) « القول الفصل » (ص ٣٤).

حتى نقطع الحجة بأن القائلين أن دعاء غير الله ليسوا من يسمونهم الوهابية فقط كما يزعم القبوريون وإنما هو قول الله وقول رسوله وقول علماء أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً وبهذا تنقطع مزاعم المتصوفة الدجالين الذين يضللون عوام المسلمين ويدعونهم إلى عدم حضور جلسات العلماء الذين يدعون إلى التوحيد الخالص الذي جاء به محمد بن عبد الله عليه أفضلي الصلاة وأتم التسليم من ربه .

والخلاصة التي نخرج بها من هذا المطلب بعد أن ذكرت الآيات القرآنية التي أكدت أن دعاء غير الله شرك محض وأتبعت ذلك بذكر نصوص نبوية تؤكد كلها أن الدعاء عبادة وصرفه لغير الله يعتبر شركاً بالله سبحانه ثم أتبعت ذلك بمجموعة من أقوال العلماء الأجلاء قديماً وحديثاً والذين أكدوا كلهم كفر من استغاث بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله وناداه من بعيد وكذلك من ادعى معرفة الغيب أو صدق من ادعاء أو من ذبح لغير الله أو حلف بغير الله أو غير ذلك وهذا دليل واضح على أن الحكم بكفر من دعا غير الله تعالى لم ينفرد به مذهب معين بل هو قول جميع العلماء الذين يتمسكون بالكتاب والسنّة عبر القرون الطويلة التي مرت بها الأمة الإسلامية إلى يومنا هذا .

ولكن ينبغي أن نعلم بأن هذا الحكم بالكفر الذي سبق الكلام عليه مقيد بما هو معلوم عند أهل العلم من بلوغ الدعوة وإقامة الحجة ومن قيد الحكم بالتكفير بهذا القيد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

من ذلك قوله رحمه الله في هذه المسألة التي نحن بصددها وهي حكم دعاء غير الله تعالى ما ملخصه :

« إننا نعلم بالضرورة أن الرسول ﷺ لم يشرع لأمته دعاء الأموات كما لم يشرع السجود لميت ولا لغيره بل نعلم أنه نهى عن ذلك وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله تعالى ورسوله لكن لغبته الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرین لم يكن تکفیرهم بذلك حتى يتبيّن لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالفه » ^(۱) .

وقال أيضًا في الحكم العام في هذه المسألة :

« وحقيقة الأمر في ذلك أن القول قد يكون كفرًا فيطلق القول بتکفیر صاحبه فيقال من قال كذا فهو كافر لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يکفر تارکها وهذا كما في نصوص الوعيد . . . فإن الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد فلا يشهد على معين من أهل القبلة بالنار لجواز ألا يلتحقه الوعيد لفوات شرط أو ثبوت مانع فقد لا يكون التحرير بلغه . . وهذه الأقوال التي يکفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق وقد تكون بلغته ولم تثبت عنده أو لم يتمكن من فهمها وقد يكون عرضت له شبّهات يعذرها الله تعالى بها » ^(۲) .

* ومن العلماء الذين اشترطوا بلوغ الحجة للتکفیر شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله فقد بين أن الجاھل الذي لم تبلغه الحجة لا يکفر لا سيما الذي لم يقصر ولم يكن يعيش في بيئة انتشار التوحيد وعلماؤه فيها ^(۳) .

(۱) « الرد على البكري » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ۳۷۶) .

(۲) « المسائل الماردینیة » (ص ۶۵ - ۷۰) ونحوه في « نقض المنطق » (ص ۴۵ - ۴۶) .

(۳) انظر مؤلفات الشيخ القسم الثالث المشتمل على السيرة والفتاوی القسم الخاص بالفتاوی (ص ۲۷) .

فقد قال رحمة الله في رسالته التي أرسلها إلى الشري夫 :
« وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر والصنم
الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم » ^(١) .

* * *

(١) انظر « الرسالة التي أرسلها الإمام إلى الشري夫 » (ص ١١) وكذلك « صيانة الإنسان » (٤٦)
و« الدرر السنية » (٥٢/١) و« الرد على البكري » (ص ٢٥٨) و« الاستقامة » (١٦٣/١ - ١٦٦) .



الباب الرابع

انحرافاتهم في مفهوم الزهد والجهاد والقضاء
والقدر والتوكل والجنة والنار

وتحته ثلاثة فصول :

الفصل الأول : انحرافهم في مفهوم الزهد .

الفصل الثاني : انحرافهم في مفهوم الجهاد .

الفصل الثالث : انحرافهم في مفهوم القضاء
والقدر والتوكل والجنة والنار .



الفصل الأول

انحرافهم في مفهوم الزهد

وتحته مباحثان :

المبحث الأول : تعريف الزهد ومراتبه والفهم
الصحيح له.

المبحث الثاني : انحراف الصوفية في مفهوم
الزهد. (وتحته مطلبان)



الفصل الأول

انحرافهم في مفهوم الزهد

لقد انحرف الصوفية في مفهوم الزهد انحرافاً خطيراً كما انحرفوا في غيره فادعوا بأن الزهد هو ترك الدنيا بالكلية والهروب عنها وذلك بترك العمل نهائياً في هذه الدنيا وتعذيب الجسد بأنواع العذاب من التجويع والعري وغيرها والهروب عن الناس والدخول في الخلوات المظلمة بقصد تربية النفس لكي تصل إلى ولادة الله وترك الزواج ووصفه بأنه من أهم العقبات المانعة من وصول المريد إلى ولادة الله المزعومة .

و قبل أن أخوض في بيان انحرافات المتصوفة في هذا الباب أحب أن أعرف الزهد في اللغة والاصطلاح وأذكر مراتبه والفهم الصحيح له بإيجاز وذلك حتى يتضح لنا انحراف المتصوفة في مفهوم الزهد لأن الأشياء تتبيّن بضدّها .

المبحث الأول

تعريف الزهد ومراتبه والفهم الصحيح له

أولاً : تعريف الزهد

الزهد في اللغة : زهد فيه وعنده زهداً وزهادة أعرض عنه وتركه لاحتقاره أو لتجريحه منه أو لقلته وزهد في شيء رغب عنه ويقال زهد في الدنيا ترك حلالها مخافة حسابه وترك حرامها مخافة عقابه . وتنزهه صار زاهداً وتعبد .

والزاهد هو العابد ، جمعه زهد وزهاد ، والزهادة خلاف الرغبة فيه والرضا باليسir مما يتعمّن حلّه وترك الزائد على ذلك لله تعالى وكذا الزهد بمعنى الزهادة ^(١) .

أما تعريف الزهد في الاصطلاح :

قال الإمام ابن القيم في تعريف الزهد :

« الزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن شيء إلى ما هو خير منه وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوباً بوجه من الوجوه فمن رغب عن شيء ليس مرغوباً فيه ولا مطلوباً في نفسه لم يسم زاهداً كمن ترك التراب لا يسمى زاهداً وأنه ليس الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والقوة واستعماله القلوب فحسب بل الزهد أن يترك الدنيا للعلم بحقارتها بالنسبة إلى نفاسة الآخرة » ^(٢) .

(١) انظر « القاموس » (١/٣٠٨) و« أساس البلاغة » (ص ١٩٧) و« النهاية لابن الأثير » و« المعجم الوسيط » (١/٤٠٣ - ٤٠٤) .

(٢) انظر « مختصر منهاج القاصدين » (ص ٣٠٨) .

أقسام الزهد ومراتبه :

قال الإمام ابن القيم :

« الزهد أربعة أقسام وهي :

١ - زهد في الحرام وهو فرض عين .

٢ - زهد في الشبهات وهو بحسب مراتب الشبهة فإن قويت التحقق بالواجب وإن ضعفت كان مستحباً .

٣ - وزهد في الفضول وزهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره وزهد في الناس بحيث تهون عليه نفسه في الله .

٤ - وزهد جامع لذلك كله وهو الزهد فيما سوى الله وفي كل ما يشغلك عنه وأفضل الزهد إخفاء الزهد وأصعبه الزهد في الحظوظ »^(١) .
وقال في طريق الهجرتين يقسمه باعتبار حكمه أيضاً ما نلخصه في الآتي :

« الزهد أربعة أقسام :

أحدها : فرض على كل مسلم وهو الزهد في الحرام .

والثاني : زهد مستحب وهو على درجات في الاستحباب بحسب المزهود فيه وهو الزهد في المكره وفضول المباحثات والتفنن في الشهوات المباحة .

الثالث : زهد الداخلين في هذا الشأن وهم المشمرون في السير إلى الله وهو نوعان :

(١) « الفوائد » لابن القيم (ص ٢١٥) .

أحدهما : الزهد في الدنيا جملة وليس المراد تخلية من اليد ولا إخراجها وعوده صفرًا وإنما المراد إخراجها من قلبه بالكلية فلا يلتفت إليها ولا يدعها تساقن قلبه وإن كانت في يده فليس الزهد أن ترك الدنيا من يدك وهي في قلبك وإنما الزهد أن تركها من قلبك وهي في يدك وهذا كحال الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز الذي يضرب بزهده المثل مع أن خزائن الأموال تحت يده بل كحال سيد ولد آدم ﷺ حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح ولا يزيد ذلك إلا زهداً فيها .

والذي يصحح هذا الزهد ثلاثة أشياء وهي :

أحدها : علم العبد أنها ظل زائل وخيال زائر وأنها كما قال تعالى فيها : ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَلَهُوَ وَرِزْقٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولُادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نِبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِطُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حَطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُور﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٌ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخْدَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزْيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَانَ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٌ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذَرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا

(١) الحديد : (٢٠) .

(٢) يونس : (٢٤) .

﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلَاً ﴿١﴾

قال ابن القيم :

« وسمها سبحانه متع الغرور ونهى عن الاغترار بها والاغترار بها وأنخبرنا عن سوء عاقبة المغترين وحدرنا من مثل مصارعهم وذم من رضي بها واطمأن إليها .

وقال النبي ﷺ : « مالي وللدنيا إنما أنا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها »^(٢) .

ثم قال الإمام ابن القيم :

«فَمَا اغْتَرَ بِهَا وَلَا سُكِنَ إِلَيْهَا إِلَّا ذُو هَمَةٍ دُنْيَةٍ وَعَقْلٌ حَقِيرٌ وَقُدْرَةٌ خَسِيرٌ».

الثاني : علمه أن وراءها داراً أعظم منها قدرًا وأجل خطرًا وهي دار البقاء وأن نسبتها إليها كما قال النبي ﷺ : « ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع » ^(٣) .

فالزهد فيها بمنزلة رجل في يده درهم زغل قيل له اطرحه فلک عوضه
مائة دينار مثلاً فاللقاء من يده رجاء ذلك العوض .
فالزهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها زهد فيها .

^{١)} الكهف : (٤٥ - ٤٦).

(٢) «سنن الترمذى» مع التحفة (٤٨/٧).

^(٣) نفس المرجع (١٣٧٧/٢).

الثالث : معرفته أن زهده فيها لا يمنعه شيئاً كتب له منها وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يقص له منها فمتى تيقن ذلك وصار له به علم يقين هان عليه الزهد فيها .

فإنه متى تيقن ذلك وثلج صدره وعلم أن مضمونه فيها سيأتيه بقي حرصه وتعبه وكده ضائعاً .

والعقل لا يرضي لنفسه بذلك فهذه الأمور الثلاثة تسهل على العبد الزهد فيها وتثبت قدمه في مقامه والله الموفق لمن يشاء^(١) .

ومن كل ما تقدم من التعريفات اللغوية والاصطلاحية للزهد وتوضيح ابن القيم لمفهوم الزهد الصحيح في هذه الدنيا يظهر لنا أن الزهد هو إيثار الحياة الآخرية الأبدية الباقية على الحياة الدنيا الفانية وباتصاف الإنسان بهذا الوصف يقدر أن يعيش في هذه الدنيا آخذًا منها نصيبه بقدر زاد الراكب فيتقلل في ملذاتها ولا يغتر بمفاتنها ويتوكل على الله ويحافظه ويرجوه لينال أجره عند الله .

وكما ظهر لنا من خلال ما تقدم أن الزهد لا يكون إلا في الشيء الموجود مع القدرة والتمكين من الحصول عليه وذلك لأن الفقير الذي ليس بيده مال لا يمكن أن يطلق عليه زاهد في المال ومتقلل فيه لأنه لا يملك شيئاً منه وكذلك العاجز عن العمل أو المحرم للقيام بالأسباب التي يمكن للإنسان أن يحصل على رزقه إذا قام بها لا يقال فيه زاهد بل الذي يستحق أن يوصف بأنه زاهد هو الرجل الذي يقوم بالأعمال ويجمع المال من حله ثم ينفقه في سبيل الخير فيتصدق على الفقراء والمساكين وينفقه في الجهاد في

(١) انظر « طريق الهجرتين » لابن القيم (ص ٢٥٢) .

سبيل الله ويني منه المساجد والمعاهد وكل الأمور التي تستفيد منها الأمة الإسلامية أما القعيد عن العمل الذي يتضرر صدقات الناس عليه فليس هذا بزاهد حقيقة بل هو مختلس عبء على الأمة الإسلامية فإن الزهد ليس معناه ترك الكسب والاكتساب ولا ترك الأسباب وعدم الأخذ بها وفرار الإنسان من القيام بمسؤوليته الفردية والجماعية لأن الإسلام يعني بالحياة الدنيوية اعتماداً مناسباً لإبقاء المصلحة الفردية والجماعية فيبحث الإسلام المسلم على الأخذ بنصيه من الدنيا قال تعالى : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةِ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١) .

وقال النبي ﷺ : « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده حسناً »^(٢) .

فالتصور الإسلامي الصحيح للحياة الدنيا عبارة عن أنها مزرعة الآخرة ومطية لها وأن مثل بقاء الإنسان فيها مثل راكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها كما في الحديث .

وإن دار البقاء دار الآخرة نسبة هذه الدنيا الفانية إليها كما قال ﷺ : « ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصعبه في اليوم فلينظر بم يرجع »^(٣) .

فالعاقل لا محيد له عن أن يؤثر الحياة الأخرى على الحياة الدنيا فلا يسلك سبيل الإفراط في تناول الدنيا ولا التفريط في حقوق الناس كما يفعل المتصوفة حيث يتربكون عائلاتهم يموتون جوعاً أو يعيشون حياة بائسة محزنة

(١) القصص : (٧٧) .

(٢) كتاب « الزهد » للإمام وكيع (٤٤٧/٢) باب الأثر الحسن وحسنه الألباني في « صحيح الجامع الصغير » (١٣١/١) .

ثم يسمون هذا زهداً وهو في الحقيقة ليس هذا بزهد وإنما هو عجز وكسل وفهم سيء للزهد الحقيقي .

وبعد غرس هذه العقيدة في أذهان الناس يسمح الإسلام للإنسان أن يخوض معرك الحياة ويصل فيها ويحول فيؤدي ما وجبت عليه من حقوق الله تعالى وحقوق الآدميين من عبادة وصلاوة وصوم وزكاة وحجج ومن تجارة وصناعة ونکاح وعشرة وغير ذلك مما أحل الله ممارسته في هذه الحياة الدنيا .

وكان الناس على هذا الفهم الصحيح من الدين في هذا الجانب في عهد النبوة فكانوا يعالجون قضيائهم من دون إفراط ولا تفريط ويمزيد من الحيوية والنشاط وبالعمل الدائب المتواصل في جميع ميادين الحياة لما كانوا يرجون وراءه من حب العاقبة ورضوان الله تبارك وتعالى فهم كانوا فرسان نهار ورهبان ليل تراهم في المسجد وفي مجالس العلم وفي ميدان التجارة والصناعة والجهاد ومع أولادهم ونسائهم وكانت الآيات والأحاديث الواردة في ذم الدنيا والنهي عن الخوض فيها والتشاغل بها تتلى وتقرأ وكانوا يفهمونها ويستضيفون بها لأن المقصود بها هو الحث على الزهد في الدنيا والزجر عن التشاغل بها إلى حد يفضي إلى إهمال الآخرة والتواني في طلبها لينالوا عند الله أحسن درجة على ما عملوا في هذه الحياة الدنيا وكان زهد الصحابة والتابعين على هذا النمط نابعاً من العقيدة الصحيحة .

وقد بقي على هذه العقيدة الصريحة الطيبة والسلوك الطيب كل المسلمين إلى آخر عهد الخلفاء الراشدين ثم حدثت فتن متنوعة سياسية وعقدية أدت إلى ظهور فرق مبتدعة في الإسلام واحتل نظام السياسة وبدأ

نشأت ظهور الغلو عند البعض مع بقائهم على خير كثير من الدين الصحيح
لقرب عهد بعصر النبوة والصحابة الكرام .

ولما انقضى أصحاب القرون الثلاثة الموصوفة بالخيرية ظهر في ولاة
الأمور كثير من الأعاجم الذين حاولوا الإطاحة بالخلافة الإسلامية بداعف من
الحقد والعصبية على العرب والإسلام والشعوبية والإلحاد والزندقة وإعادتهم
مجدهم السابق ثم عربت الكتب الأعجمية فحدثت هناك ثلاثة أشياء الرأي
والكلام والتصوف .

والذي يهمنا هنا هو التصوف الذي بدأ يشق طريقه وأتى بمفاهيم
باطلة للزهد تتصادم مع ما جاء في الكتاب والسنة فدعوا إلى حرمان
النفس من حظوظها نهائياً ودعوا إلى ترك العمل والقعود في الخلوات
المظلمة ودعوا إلى ترك النكاح نهائياً ووصفوه بأوصاف منفرة وكل هذا
أتوا به من الفلسفات الوثنية القديمة كالبوذية التي تدعو إلى تعذيب
الجسد بشتى أنواع العذاب وكالمسيحية التي تحرم الزواج على القساوس
والمربيدين لهم وإنما فالإسلام بريء من هذه الأفكار الدينية التي تؤدي إلى
تدمیر المجتمع وتحوله إلى مجتمع هش فقير لا يستطيع أن يقوم بواجبه في
هذه الحياة .

والخلاصة أن المفهوم الصحيح للزهد هو إيثار الحياة الآخرية على
الحياة الدنيوية وليس معنى الزهد في الدنيا ترك العمل والقعود في البيت
وتتجويع النفس والعيال وتركهم يعيشون حياة بائسة نكدة كما يفعل المتتصوفة
الشحاته وذلك لأن من الواجب على الإنسان على الأقل عليه أن يؤمن
معيشه ومعيشه من تجب عليه نفقته وذلك لما جاء في الحديث عن سعد بن

مالك قال قال رسول الله ﷺ : « خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي »^(١)
 ثم إن حصول الإنسان على المال بالعمل والجهد يؤجر فيه إذا جمعه من
 حلال وأنفقه في الحلال كما في الحديث الذي رواه الإمام علي رضي الله
 عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة لغرفًا يرى باطنها من ظاهرها
 وظاهرها من باطنها » فقال أعرابي : لمن هي يا رسول الله قال : « لمن أطال
 الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى لله عز وجل والناس نيام »^(٢) .

وهكذا فالإنفاق للمال في سبيل الله للفقراء والمساكين مما رغب الله
 ووعد عليه الثواب الجزيل ومن لم يكن له مال سيفوته حتماً هذا الأجر لأنه
 فاقد للمال وفاقد الشيء لا يعطيه كما هو المشهور في المثل ويفيده الواقع.

* * *

(١) « الزهد » للإمام أحمد (ص ٢٥) وفي « المسند » (١/١٧٢) .

(٢) « الزهد » للإمام أحمد (ص ٣٧) و« مجمع الزوائد » (٤٢٠ / ١٠) مع اختلاف في اللفظ .

المبحث الثاني

انحراف الصوفية في مفهوم الزهد

وتحت مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الصوفية للزهد .

المطلب الثاني : عبارات أئمة التصوف التي تدل على أنهم يفهمون الزهد بأنه ترك الدنيا بالكلية وتعذيب النفس بشتى أنواع التعذيب من الجوع والعري والسهر والفقر .



المطلب الأول

تعريفات الصوفية للزهد

لقد انحرف الصوفية في مفهوم الزهد انحرافاً خطيراً حيث صرحاً بأن الزهد هو الابتعاد عن الدنيا بالكليّة وعدم الاهتمام بها ودعوا الناس إلى تعذيب أنفسهم بالجوع والعرى وبكل الشدائـد ومدحوا الفقر ودعوا إليه بل فضلوا سؤال الناس على القيام بالعمل والإيتـان بالرزق الحلال وأن الإنسان لا يمكن أن يصل إلى درجة الولاية للـله إلا إذا قام بهذه الطقوس الصوفية المبتـدةـة التي تدعو إلى تعطيل الإنسان عن وظائفه التي خلقـه اللـله لها .

ويظهر انحراف الصوفية في الزهد في تعريفاتهم الآتـية :

قال أبو عثمان : الزهد أن ترك الدنيا ثم لا تبالي بمن أخذـها ^(١) .

وقال أبو علي الدـفاق : « الزهد أن ترك الدنيا كما هي لا تقول أبني رباطاً أو أعمـر مسجداً » ^(٢) .

وقال ابن خـفيف : « عـلامـةـ الزـهـدـ وجودـ الـراـحةـ فيـ الـخـروـجـ عنـ الـمـلـكـ ». .

وقال أيضـاً : « الزـهـدـ سـلوـ القـلـبـ عنـ الـأـسـبـابـ وـنـفـضـ الـأـيـديـ منـ الـأـمـلاـكـ » ^(٣) .

(١) « الرـسـالـةـ » لـلـقـشـيرـيـ (٣٢٦/١) .

(٢) « الرـسـالـةـ » لـلـقـشـيرـيـ (٣٢٦/١) .

(٣) « الرـسـالـةـ » لـلـقـشـيرـيـ (٣٢٧/١) .

وقال الجنيد : « الزهد هو خلو اليد من الملك والقلب من التتبع »^(١) .

وقال أبو حفص : « الزهد لا يكون إلا في الحلال ولا حلال في الدنيا فلا زهد »^(٢) .

وسائل الشبلي عن الزهد فقال :

« لا زهد في الحقيقة لأنه إما أن يزهد فيما ليس له فليس ذلك بزهد أو يزهد فيما هو له فكيف زهد فيه وهو معه وعنه » .

وقال السري : « الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا ، ويجمع هذه الحظوظ المالية والجاهية وحب المتنزلة عند الناس وحب المحمدة والثناء »^(٣) .

إذا نظرنا في هذه التعريفات التي أوردتها عن أئمة التصوف نرى بوضوح أن مفهوم الزهد عند المتصوفة هو ترك الدنيا والإعراض عنها بالكلية بحيث لا يهتم الإنسان بشئون دنياه ولو بقدر ما يسد به رمقه وأن الزهد الحقيقي عندهم هو ترك القيام بالأسباب نهائياً وإخلاء الأيدي من كل ما يملكه الإنسان حتى يصبح فقيراً .

بل ادعى بعضهم كما هو واضح في التعريفات السابقة أمامنا بأنه لا يوجد أي زهد وذلك لأنه لا يوجد شيء حلال في هذه الدنيا وذلك حسب زعمه وهذا مناقض للقرآن الكريم لأن الله عز وجل أمرنا أن نأكل من الطيبات فقال سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانًا تَعْبُدُونَ﴾ .

(١) « الرسالة » للقشيري (٣٢٨/١) .

(٢) « الرسالة » للقشيري (١٢٩/١) .

(٣) « العوارف » (ص ٢٣٣) .

وادعى المتصوفة أيضاً أن الزهد غير متصور عنده وذلك لأنه إذا زهد فيما ليس عنده لا يسمى زاهداً لأنه يفقده وفائد الشيء لا يعطيه وإذا زهد في الشيء الذي عنده لا يسمى زاهداً أيضاً لأنه لا يمكن للإنسان أن يسمى زاهداً في الفكر الصوفي المنحرف إلا إذا تجرد من كل أملاكه وأصبح مرميًّا في الشوارع فقيراً يتکفف الناس ويسألهم وهذا فهم خاطئ للزهد المشروع الذي ذكرناه في المبحث الأول من هذا الفصل حيث أثبتنا هناك بأن الزهد المشروع هو إيثار الحياة الأخرى على الحياة الدنيوية وكسب المال بالطرق المشروعة وإنفاقه فيما شرعه الله وعدم قبضه عن الواجبات التي ينبغي أن يصرف فيها وأثبتنا أيضاً بأن القيام بالأسباب لا ينافي الزهد لأن من لم يقم بالأسباب من أين سيحصل على المال الحلال الذي يسد به رمقه فضلاً عن أن يزهد فيه وعلى هذا نقول : إن المفهوم الصوفي للزهد مفهوم غريب على الإسلام مستورد من الوثنيات القديمة التي تدعو إلى تخلی الإنسان عن أملاكه وتعذيب نفسه بشتى أنواع التعذيب من أجل الوصول إلى ولایة الله كما يفعل البوذية عباد الأوثان في الهند وغيرها .

المطلب الثاني

عبارات أئمة التصوف التي تدل على أن الصوفية يفهمون الزهد بأنه ترك الدنيا بالكلية وتعذيب النفس بشتى أنواع التعذيب من الجوع والعرى والسهر والفقر

لقد ادعى الصوفية بأنه لا يمكن أن يتحقق الزهد ويصل الإنسان إلى مرتبة ولایة الله إلا إذا تجرد الإنسان عن الملكية نهائياً حتى يصبح فقيراً لا

مال له وحتى يعذب نفسه بشتى أصناف العذاب في هذه الحياة الدنيا ويحررها من كل أنواع الطبيات التي أحلها الله لعباده مخالفين بذلك الأدلة الشرعية وكذلك العقلية وإليك نماذج من هذه النصوص .

يقول إبراهيم بن أدهم وهو يتحدث عن العقبات التي يجب أن يتحققها ويمر بها كل مرید صوفي إذا أراد الوصول إلى ولایة الله حقيقة :

« لن ينال الرجال درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات وهي :

أولها : أن يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة .

والثاني : أن يغلق باب العز ويفتح باب الذل .

والثالث : أن يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد .

والرابع : أن يغلق باب النوم ويفتح باب السهر .

والخامس : أن يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر .

والسادس : أن يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت »⁽¹⁾ .

ويقول عبد القادر الجيلاني في وصف المرید الزاهد :

« المرید المتتصوف مکابد لنفسه وهواء وشیطانه وخلق ربه ودنياه وأخراء متعبد لربه عز وجل بمفارقة الجهات الستة والأشياء وترك العمل لها وموافقتها والقبول منها وتصفية باطنها من الميل والاشتغال بها فيخالف شیطانه ويترك دنياه ويفارق أقرانه وسائر خلق ربه بحكمه عز وجل لطلب أخراء ثم يجاهد نفسه وهواء بأمر الله عز وجل فيفارق أخراء وما أعد عز وجل لأوليائه فيها من جنة لرغبتهم في مولاه فيخرج من الأکوان فيصفى من الأحداث

(1) « الرسالة القشيرية » (٢٩٢/١) .

ويتجوهر لرب الأنام فتنقطع منه العلائق والأسباب والأهل والأولاد فتنسد عنه الجهات وتنفتح في وجهه جبهة الجبهات وباب الأبواب وهو من الرضا بقضاء رب الأنام ورب الأرباب ثم يفتح تجاه هذا الباب باب يسمى باب القربة إلى الملك الديان ثم يرفع منه إلى مجالس الأنس ثم يجلس على كرسي التوحيد ثم يرفع عنه الحجب ويدخل دار الفردانية ويكشف عنه الجلال والعظمة فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هو فانياً عن نفسه وصفاته عن حوله وقوته وحركته وإرادته ومناه ودنياه وأخراه كأنه بلور مملوء ماءً صافياً تبين فيه الأشباح فلا يحكم عليه غير القدر ولا يوجده غير الأمر فهو فانٌ عنه وعن حظه جود لمولاه وأمره لا يطلب خلوة لأن الخلوة للموجود فهو كالطفل لا يأكل حتى يطعم ولا يلبس حتى يلبس »^(١) .

إذا نظرنا في النصين السابقين نرى بوضوح بأن إبراهيم بن أدهم دعا لكل من يريد أن يصل إلى مرتبة ولادة الله عز وجل أن يمسك نفسه بالشدة ويدلها ويتعبها ويسهرها ويفقرها وأن يغلق عليها باب الأمل نهائياً حتى تيأس من كل ما في هذه الدنيا من النعم التي أحلها الله لعباده وأمرهم بالأكل منها ولو نظرنا إلى هذه الرياضيات سنجدها رياضيات بوذية بحثة فإن البوذا هم الذين يعذبون أجسادهم أما الإسلام فلم يأمر بتعذيب الأنفس وإذلالها وإنفارها بل بالعكس أمر الإسلام بالاهتمام بهذا الجسد والاعتناء به حتى يكون جسداً صحيحاً معافاً ويقوم بوظائفه على أكمل وجه في هذه الحياة وقد بين الله ورسوله الأمور التي إذا فعلها الإنسان يكون ولينا لله وحبيباً له فلا حاجة إلى هذه الرياضيات المبتدعة التي ما

(١) «العنيفة» للشيخ عبد القادر الجيلاني (١٧٨-١٧٩/٢).

أنزل الله بها من سلطان .

وكذلك إذا نظرنا في النص الثاني نجد أن الشيخ عبد القادر الجيلاني وصف المريد الزاهد بأنه هو الذي يترك الدنيا بالكلية ويبتعد عن أقرانه الذين يعايشونه بل كل المخلوقات لأجل طلب الآخرة وياليته توقف هنا بل ادعى بأن المريد يترقى في هذا الزهد حتى يصل إلى مرحلة يزهد فيها في كل ما أعده الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة من الجنة والنعيم الذي أعده الله فيها وأن المريد الزاهد حقيقة هو الذي يقطع علاقه بالبشر نهائياً ويترك القيام بالأسباب فلا يقوم بأي عمل يحصل من ورائه على رزقه الذي كتبه الله له وينقطع عن أهله وأولاده فلا يلقي لهم بالأً وهذه كلها مفاهيم خاطئة للزهد ومضادة لما أمر الله به ورسوله ﷺ ونبيين ذلك في حينه حينما نقوم بالرد عليهم وذلك بياتيات أن الإسلام رحب في العمل وأمر بمواصلة الأرحام وبالقيام بحقوق الزوجة والأولاد ودعا إلى مراعاة كل الحقوق التي كلفها الإسلام لكل مخلوق في هذه الحياة وإعطاء كل ذي حق حقه ^(١) .

ومن النصوص التي تدل على أن المتصوفة يدعون إلى التجدد الكامل عن الأموال وتجويع النفس وعريها : قول السري السقطي حيث قال : « لا يكن معك شيء تعطي منه أحداً » ^(٢) .

ومعنى ذلك : أنه لا يجوز لمن يريد الوصول إلى ولاية الله إبقاء أي شيء في يده من أملاكه وهذا مفهوم خاطئ .

(١) انظر (ص ٩٢١ - ٩٤٢) .

(٢) « العوارف » (ص ٩٢) و« اللمع » (ص ٢٦٢) و« الرسالة » (٨٢/١) .

ويقول داود الطائي : « صم عن الدنيا واجعل فطرك الموت وفر عن الناس فرارك من السبع »^(١) .

وهذه أمور لم يدع إليها الإسلام لأن الإسلام أباح الأكل من الحلال في هذه الدنيا ولم يدع الإنسان أن يجعل فطره الموت ولم يدع أيضًا بالفرار من الناس والهروب منهم واعتزالهم والابتعاد عنهم كليًّا بل أمر الإسلام بمخالطة الناس ودعوتهم إلى الهدى حتى يسلمو إن كانوا غير مسلمين وحتى يفهموا أمور دينهم فهمًا صحيحًا إن كانوا مسلمين فالدعوة إلى الانعزال عن الناس كما يقول به هؤلاء المتصوفة ليس من الإسلام .

ويقول الجنيد : « أحب للمريد أن لا يشغل قلبه بالتكسب ولا تغير حاله » .

وقال أيضًا : « ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألفات والمستحسنات »^(٢) .

يتضح لنا من النصين السابقين بأن الجنيد نصح للمريد الذي يريد أن يصل إلى ولایة الله أن يتبع عن القيام بأي عمل يحصل من ورائه على رزقه الذي قسمه الله وحذره بأنه إذا فعل ذلك سيؤدي إلى تغير حاله إلى حالة غير مرضية وذلك لأن المتصوفة يعتقدون بأن القيام بالعمل في هذه الدنيا يدل على نقصان إيمان المرء وتوكله على الله وهذا فهم خاطئ منهم فإن الرسول والصحابة كانوا متوكلين على الله ولم نجد لأحد منهم الدعوة إلى ترك العمل بل الرسول دعا إلى العمل والصحابة كانوا فرسانًا بالنهار رهبانًا بالليل

(١) « الرسالة » (٩٥/١) .

(٢) « الرسالة » للفشيري (١٣٣/١) .

وهذا الذي يدعو إليه المتصوفة لا يسمى توكلًا على الله وإنما هو تواكل فقط.

وقد دعا المتصوفة إلى الفقر ومدحوه في كتبهم ومن أقوالهم التي تدل على هذا :

قال ابن عجيبة : « الفقر أساس التصوف وبه قوامه »^(١).

وروي عن ابن رويم أنه قال : « مبني التصوف على الفقر ».

وقال الجنيد حين سُئل عن الزهد :

« الزهد هو تخلي الأيدي من الأموال وتخلي القلوب من الطمع »^(٢).

وقال رويم بن أحمد الصوفي حين سُئل عن الزهد ما هو ؟ قال : « هو

ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا »^(٣).

وذكر الشعراي عن ابن عربي أنه قال :

« من أراد فهم المعانى الغامضة من كلام الله عز وجل وكلام الرسول وأوليائه فليزهد في الدنيا حتى يصير ينقبض خاطره من دخولها ويفرح

لزواها »^(٤).

ويقول إبراهيم المتبولي :

« كل فقير لا يحصل له جوع ولا عري فهو من أبناء الدنيا »^(٥).

(١) « إيقاظ الهم في شرح الحكم » لابن عربي (ص ٢١٣) ط ٣ مصطفى البابي الحلبي ط ١٤٠٢هـ.

(٢) « اللمع » للطوسى (ص ٧٢).

(٣) « اللمع » للطوسى (ص ٧٣).

(٤) « اليقىت والجواهر » للشعراي (٢٦/١).

(٥) « الأخلاق المتبولية » للشعراي (٩٤/٢).

وذكر الصوفي عماد الدين الأموي في كتابه «حياة القلوب» :

أن رجلاً دخل على بعض الصوفية يتكلم في الزهد وعنه قميص معلق عليه آخر فقال : يا شيخ أما تستحي أن تتكلم في الزهد ولك قميصان^(١) .

وزجر السري السقطي رجلاً كان يملك عشرة دراهم وقال : «أنت تبعد مع القراء ومعك عشرة دراهم»^(٢) .

وذكر الكلباني عن أحمد بن السمين أنه قال :

«كنت أمشي في طريق إلى مكة فإذا أنا برجل يصبح أغثني يا رجل الله الله قلت مالك خذ مني هذه الدرهم فإني ما أقدر أن أذكر الله وهي معي فأخذته منه فصاح ليك اللهم ليك وكانت أربعة عشر درهماً»^(٣) .

وقال سهل بن عبد الله التستري :

«اجتمع الخير كله في هذه الأربع الخصال وبها صار الأبدال أبدالاً وهي : إخماص البطون والصمت والخلوة والسهر»^(٤) .

وقال يحيى بن معاذ :

«الدنيا كالعروض ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخدم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف مشتغل بالله لا يلتفت إليها والزهد يقتضي معانقة الفقر و اختياره»^(٥) .

(١) «حياة القلوب بهامش قوت القلوب» (١٢٢/٢) .

(٢) «طبقات الأولياء» لابن الملقن.

(٣) «التعرف» للكلباني (ص ١٨٥) .

(٤) «غیث الموهّب العلیة» للرندي (ص ٩٢ - ٩٣) .

(٥) «اللمع» للطوسي (ص ٧٣) .

وينقل الهجويري عن أبي بكر الشبلي أن واحداً من علماء الظاهر سأله على سبيل التجربة عن الزكاة قائلاً ما الذي يجب أن يعطى من الزكاة؟ قال: حين يكون البخل موجوداً ويحصل المال فيجب أن يعطي خمسة دراهم عن كل مائتي درهم ونصف دينار عن كل عشرين ديناً وهذا في مذهبك أما في مذهبي فيجب أن لا تملك شيئاً حتى تتخلص من مشغلة الزكاة^(١).

ويقول الهجويري :

« السكون إلى مؤلفات الطبع يقطع صاحبها عن بلوغ درجات الحقائق »^(٢).

ويقول أحمد الرفاعي :

« أكره للفقراء دخول الحمام وأحب لجميع أصحابي الجوع والعرى والفقر والذل والمسكنة وأفرح لهم إذا نزل بهم ذلك »^(٣).

ويقول أبو الحسن محمد بن أحمد الفارسي :

« من أركان التصوف : ترك الاكتساب وتحريم الأدخار »^(٤).

وذكر عن أبي يزيد البسطامي أنه سُئل بأي شيء نلقى هذه المعرفة

فقال :

« ببطن جائع وببدن عار »^(٥).

(١) « كشف المحجوب » للهجويри (٥٥٨/٢).

(٢) « كشف المحجوب » للهجويري (٥٦١/٢).

(٣) « الأنوار القدسية » للشرايني (١٣٢/١).

(٤) « التعرف لمذهب أهل التصوف » (ص ١٠٨).

(٥) « الرسالة » للقشيري (٨٨/١).

ويقول الكلبازى فى وصف الصوفية :

« إنهم قوم تركوا الدنيا فخرجوها عن الأوطان وهجروا الأخدان وساحوا
في البلاد وأجاعوا الأكباد وأعروا الأجساد »^(١).

من كل ما تقدم من النصوص التي أوردتها عن هؤلاء المجموعة الذين يعتبرون أئمة في التصوف يتضح لنا جلياً بأن الصوفية يعتقدون بأن الزهد الحقيقي هو ترك الاتساب وعدم الدخار وتعذيب النفس بشتى أنواع التعذيب من جوع وعرى وغيرها حتى تصل إلى ولاية الله حسب زعمهم.

بيان بطلان هذا المفهوم الصوفي للزهد :

إذا عرضنا مفهوم الصوفية هذا للزهد على الكتاب والسنّة سنجد أنه يخالف تمام المخالفة مبادئ الإسلام الحنيف الذي دعا إلى العمل وأباح الدخار الشيء اللازم للقوت ونهى عن تعذيب النفس وتتكليفها ما لا تطيقه وأمر باللباس الجميل الساتر ونهى عن العري ولذا نقول إن هذه الطريقة التي اعتبرها المتصوفة طريقة موصلة إلى الله سبحانه وتعالى ألا وهي طريقة حرمان النفس مما أحل الله وتعذيبها بالتوجيع حتى تضعف عن القيام بواجباتها الدينية والدنيوية ليست طريقة مشروعة بل هي طريقة مخالفة للمنهج الذي جاء به الرسول ﷺ من عند الله وذلك لأن الله سبحانه وتعالى لم يأمرنا بترك الأكل وتوجيع النفس بل الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نأكل مما أحله الله لنا من الطيبات في هذه الحياة الدنيا فقال سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانًا بَعْدُونَ﴾^(٢).

(١) « التعرف لمذهب أهل التصوف »

(٢) البقرة : (١٧٢).

وقال سبحانه : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرُبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾^(١).

وفي حديث الثلاثة الذين أتوا إلى رسول الله ﷺ وسألوا عن عباداته فرأوها قليلة وأرادوا أن يقوموا بعبادات أكثر من هذا حيث قال أحدهم :

لا أتزوج النساء ، وقال الآخر : لا أنام الليل ، وقال : آخر أصوم ولا أفطر والرسول ﷺ خطب بهذه القضية في المسجد ونهاهم عن هذا العمل وقال في آخر الحديث فمن رغب عن سنتي فليس مني وإليك نص الحديث .

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أنه جاء ثلاثة رهط إلى بيت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلبي الليل أبداً وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر : أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله ﷺ فقال : «أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأنقاكم له لكنني أصوم وأفطر وأصلب وأقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(٢) .

إذاً تعذيب النفس وحرمانها مما أحله الله من النوم والزواج والإفطار بعد الصيام أو حرمانها من الأكل وتعذيبها بالجوع ليس من سنة المصطفى ﷺ وإذا لم يكن من سنته فليس عملاً مشروعًا وما دام لم يكن مشروعًا فلن يصل إلى ولاية الله ومحبته ومرضاته كما يزعم المتصوفة بل سيوصلهم إلى الضلال المبين وقد حصل لهم فإن كل من ينظر إلى المتصوفة عبر القرون

(١) الأعراف : ٣١.

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (١٠٤/٩).

يرى بوضوح بأن القوم وقعوا في ضلالات خطيرة بسبب بعدهم عن الكتاب والسنّة وحبهم للبدع .

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله في معرض رده على المتصوفة الذين قنعوا عن أكل اللحوم بحججة الزهد :

قال : « والامتناع عن أكل اللحم إنما هو من مذهب البراهمة الذين لا يرون ذبح الحيوان وليس من الإسلام في شيء وإن الله سبحانه وتعالى أعلم بمصالح الأبدان فأباح اللحم لتقويتها فأكل اللحم يقوى القوة وتركه يضعفها ويسيء الخلق .

وقد كان الرسول ﷺ يأكل اللحم ويحب الذراع من الشاة ويأكل الدجاج ويحب الحلوي ويستذب الماء البارد «^(١)» .

« وكان الحسن البصري يشتري كل يوم لحمًا وعلى هذا كان السلف »^(٢) .

« هذا إلى أن منع النفس شهواتها على الإطلاق ضار بالبدن فإن البدن يحتاج في قوامه إلى مختلف الأنواع من الأغذية وقد ركب في الطبع الميل إلى ما تميل إليه النفس وتحتاجه فإذا مالت النفس إلى ما يصلها فمنعت فقد قوبلت حكمة الباري سبحانه وتعالى بردها فكان هذا مخالفًا للشرع والعقل »^(٣) .

ثم إن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بأن هذه النعم هي للمؤمنين في هذه الدنيا وغيرهم يشاركون فيها وأما يوم القيمة فهذه النعم خاصة بالمؤمنين لا

(١) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص ٢١٢) .

(٢) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص ٢١٢) .

(٣) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص ٢١٣) .

يشاركهم فيها فاجر ولا كافر ولا منافق ولا مشرك ويدل على هذا قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعَبَادَهُ وَالطَّيَّاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾^(١) .

وكذلك التعرى ليس من الإسلام في شيء بل الإسلام أمر بستر العورة ويلبس الملابس الجيدة النظيفة يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُّوا وَاشْرُبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾^(٢) .

وقد امتن الله علينا سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بأن أنعم الله علينا بالملابس التي نستر بها أجسادنا فقال سبحانه : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ كَذَلِكَ يُتْمِّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾^(٣) .

ولذا أقول إن تعذيب النفس بالتوجيع بحرمانها مما أحله الله وتوريتها من الملابس ليست من الطرق المشروعة الموصولة إلى ولادة الله سبحانه وتعالى وإنما هي طريقة ورثها المتضوفة من ديانات البوذيين والهندكة الوثنين الذين يعبدون أنفسهم بشتى أنواع الرياضيات الشاقة، ولذا أقول إن سلوك هذا الطريق لا يمكن أن يكون مقرباً إلى الله عز وجل وموصلاً إلى ولايته ومحبته وإنما هو طريق مبعد عن الله ويدخل الإنسان الذي يسلكه في وساوس وأوهام شيطانية يتخيلاها المسكين أنها فتوحات رحمانية فيظن أنه قد وصل إلى ولادة الله فيتهي في أودية الضلال المبين كما حصل لهؤلاء المتضوفة الذين سلكوا هذا الطريق حيث أعرضوا عن كتاب الله وسنة رسوله

(١) الأعراف : (٣٢) .

(٢) الأعراف : (٣١) .

(٤) النحل : (٨١) .

وصار دينهم الذي يدينون به المنامات والأحلام وقال فلان وقال خضر وكلها متاهمات وخرافات إبليسية لا أساس لها من الصحة .

وأما اعتقاد المتصوفة بأن الزهد الحقيقي هو ترك الكسب والادخار وتبديد المال أو التخلّي عنه نهائياً فهذا اعتقاد فاسد يتناقض مع النصوص القرآنية والحديثية التي تأمر بالعمل وادخار ما يكفي الإنسان لمعاشه والمحافظة على المال مع إخراج الحق منه .

* فمن الآيات التي دلت على الحث على العمل لكسب الرزق قول الله سبحانه وتعالى : ﴿فَامْشُوا فِي مَنَابِعِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(١) .

* وقوله تعالى : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢) .

* وقوله سبحانه : ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرُّدُونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^(٣) .

فهذه الآيات كلها فيها حث على العمل والتفاني فيه لكسب الرزق الحلال وذلك لكي ينفقه الإنسان في الأمور الواجبة عليه ويتصدق بما زاد على حوائجه على الفقراء والمساكين وفي كل سبل الخير التي أمر الله بالإنفاق وبذل المال فيها .

وهناك أحاديث كثيرة تحت حث على العمل لأجل كسب الرزق الحلال .

وقد أخبرنا الرسول ﷺ بأن خير الطعام هو الطعام الذي يأكله الإنسان

(١) الملك : (١٥) .

(٢) الجمعة : (١٠) .

(٣) التوبية : (١٥) .

من عمل يده فقال : « ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده »^(١) .

ومن هنا نقول إن الدعوة إلى ترك العمل والقعود في الخوانق والزوايا والأربطة ليس من الزهد المشروع وإنما هو زهد مبتدع مستورد من الأمم التي تعبد الأوثان كالبوذية وغيرها اخترعه المتصوفة لكي يأكلوا أموال الناس بالباطل .

وأما دعوى المتصوفة بأن الإنسان لا يمكن أن يكون زاهداً إلا إذا تجرد عن جميع ما يملكه فليس هذا ب صحيح بل إن الزهد الحقيقي هو أن تكون الدنيا في يد الإنسان فيعمل ويكد ليكسب الرزق الحلال ثم ينفق ما كسبه في الوجوه المشروعة وأول واجب عليه هو الإنفاق على نفسه وأهله ثم ينفق في وجوه الخير إن كان لديه مال فائض عن حوائجه الضرورية أما دعوة الناس إلى التجرد الكلي عن أموالهم وتركهم فقراء عالة يتکفرون الناس فهذا ليس من الإسلام في شيء ومما يدل على هذا ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال :

حث رسول الله ﷺ على الصدقة فجئت بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ: « وما أبقيت لأهلك؟»؟ فقلت: مثله، فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ^(٢) .

ولذا أقول إن ادخار الإنسان لعياله ما يكفيهم لنفقتهم ليس مما نهى عنه الإسلام بل هو أمر مشروع وجائز بل واجب .

ومما يدل على هذا حديث جابر بن عبد الله قال : كنا عند رسول الله

(١) البخاري مع الفتح (٤/٣٠٣) .

(٢) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص ١٨٢) .

إذا جاءه رجل بمثل البيضة من ذهب فقال : يا رسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها فأعرض عنك رسول الله ثم أتاه من قبل ركنه الأيسر فأعرض عنه رسول الله ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله فحذفه بها فلو أصابته لأقصعه أو لعقرته فقال رسول الله : « يأتي أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ثم يقعد يتکفف الناس خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى »^(١).

ومن هذا الحديث نفهم بأن الإنسان ليس له أن يتصدق بجميع ما يملك حتى يصبح فقيراً ثم يتعرض لسؤال الناس بل عليه أن يبقي من ماله ما يعف به نفسه وعياله وكل من تجب عليه نفقته فإن من الأشياء التي أكد عليها الإسلام اعطاء كل ذي حق حقه .

وكذلك الإكثار من المال الحلال ليس منهياً عنه بل هو أمر مباح وجائز ومما يدل على هذا أن الرسول ﷺ دعا لأنس بن مالك بأن يكثر الله ماله وولده وبارك له فيه فقال ﷺ : « اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته »^(٢) .

ومن هذا الحديث نفهم بأن الإكثار من المال الحلال ليس من الأشياء المنهي عنها بل هو أمر مشروع لأنه لو كان من الأمور المذمومة العاقبة عن الوصول إلى ولادة الله ومرضاته لما دعا الرسول ﷺ لأنس ليكثر الله ماله .

وروى عبد الله بن كعب بن مالك قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديث توبته قال : فقلت يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من

(١) « سنن أبي داود » (٢٢٢/٨) .

(٢) « صحيح مسلم » مع النووي (٣٩/١٦) .

مالي صدقة إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ فقال : « أمسك بعض مالك فهو خير لك » ^(١).

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله بعد أن ذكر جملة من الأحاديث التي تدل على أن التجرد من المال كليّة ليس مما أمر به الإسلام وأن الإنسان له أن يمسك ما يكفيه وعياله ويدخره قال :

« فهذه أحاديث مخرجة في الصاحح وهي على خلاف ما تعتقد المتصوفة من أن إكثار المال حجاب وعقوبة وأن حبسه ينافي التوكل . . . ».

ثم قال رحمه الله : « وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته وادخر لحوادث الزمان وقصد التوسيعة على الإخوان وإغباء القراء وفعل المصالح أثيب على قصده وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات وقد كان نيات خلق كثير من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في جمع المال سليمة لحسن مقاصدهم لجمعه فحرموا عليه وسألوا زيادته . . وأبلغ من هذا أن يعقوب عليه السلام لما قال له بنوه : ﴿ وَنَزَدَاهُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾ ^(٢) مال إلى هذا وأرسل ابنيه بنيامين معهم ، وأن شعيباً طمع في الزيادة ما يناله فقال : ﴿ إِنْ أَتَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾ ^(٣) وأن أيوب عليه السلام لما عوفي نثر عليه رجل جراد من ذهب فأخذ يحثو في ثوبه ويستكثر منه فقيل له أن شبعك قال : يارب من يشبع من فضلك وهذا أمر مركوز في الطباع فإذا قصد به الخير كان خيراً محضاً ^(٤) .

(١) « صحيح مسلم » مع الترمذ (٩٦/١٧).

(٢) يوسف : (٦٥).

(٣) القصص : (٢٧).

(٤) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص ١٧٩).

وقال ابن الجوزي أيضاً في مكان آخر من كتابه :

« كان إيليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم في الزهد فيريهم عيب المال ويخوفهم من شره فيتجردون من الأموال ويجلسون على بساط الفقر وكانت مقاصدهم حسنة صالحة وأفعالهم في ذلك خطأ لقلة العلم فاما الآن فقد كفى إيليس هذه الموعنة فإن أحدهم إن كان له مال أنفقه تبذيراً وضياعاً.. وهذا الفعل لا الوم صاحبه إذا كان يرجع إلى كفاية قد ادخرها لنفسه وإن كانت له صناعة يستغني بها عن الناس أو كان المال عن شبهة فتصدق به فاما إذا أخرج المال الحلال كله ثم احتاج إلى ما في أيدي الناس وأفقر عياله فهو إما أن يتعرض لمن الإخوان أو لصدقاتهم أو أن يأخذ من أرباب الظلم والشبهات فهذا هو الفعل المذموم المنهي عنه ولست أتعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة علمهم وإنما العجب من أقوام لهم عقل وعلم كيف حثوا على هذا وأمرروا به مع مصادمته للعقل والشرع » .

وقد ذكر الحارث المحاسبي في هذا كلاماً طويلاً وشيده أبو حامد الغزالى ونصره والحارث عندي أعذر من أبي حامد لأن أبي حامد كان أفقه غير أن دخوله في التصوف أوجب عليه نصرة ما دخل فيه ثم نقل ابن الجوزي كلاماً طويلاً للحارث المحاسبي وقال في خاتمه :

« فهذا كلام الحارث المحاسبي ذكره أبو حامد فمن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات إذ أقل ما فيه اشتغالهم بإصلاحه عن ذكر الله عز وجل فينبغي للمريد أن يخرج من ماله حتى لا يبقى إلا قدر ضرورته فمن بقي له درهم يلتفت إليه قلبه فهو محجوب عن الله عز وجل » .

قال الإمام ابن الجوزي :

« وهذا كله بخلاف الشرع والعقل وسوء فهم للمراد بالمال »^(١) .

وقد أمر الله بحفظ المال ونهى عن تضييعه وإسرافه وتبذيره وعظم قدره لأن المال هو قوام الآدمي وما جعل قواماً للأدمي وبه منوطه حياته في هذه الدنيا لأن الإنسان إذا لم ي العمل ويحصل على رزقه من حلال فمن أين سيحصل ما يسد به رمقه ؟ ولقد نهى الله عز وجل عن وضع الأموال في يد السفهاء خشية أن يبددوها في أمور تافهة فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَأَكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ .

ونهى الله سبحانه وتعالى عن تسليم المال لغير رشيد لأنه لا يحسن التصرف فيها فيضييعها قال سبحانه : ﴿ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفُعُوهُ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا ﴾^(٢) .

وقد نهى الرسول ﷺ عن إضاعة المال في الحديث الذي رواه عنه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه مرفوعاً أن رسول الله قال : « إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات وكره لكم قبل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال »^(٣) .

وقال الرسول ﷺ لسعد : « إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتکفرون الناس »^(٤) .

(١) « تلبيس إيليس » لابن الجوزي (ص ١٧٦) .

(٢) النساء : ٦ .

(٣) « صحيح البخاري » مع الفتح (٥/٦٨) .

(٤) « مسند أحمد » (١/١٧٣) .

ثم إن الفقر ليس محبوبًا في نفسه بحيث يسعى الإنسان ليكون فقيراً بعد أن يبدد ماله ويبقى منه خالي اليد فهذا أمر مخالف لسنة المصطفى ﷺ وذلك لأنّ الرسول ﷺ تعود من الفقر في الحديث الذي روتة عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ يدعو بهؤلاء الدعوات : « اللهم إلهي أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار وفتنة القبر وعذاب القبر ومن شر فتنة الغنى ومن شر فتنة الفقر »^(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تعوذوا بالله من الفقر والقلة والذلة وأن تظلم أو تظلم »^(٢) .

ولكن إذا أصيب الإنسان بالفقر فعليه أن يصبر مع بذل الجهد للحصول على لقمة العيش التي يسد بها رمقه ويغنى به نفسه عن مذلة السؤال .

ومن هنا نقول إن الله سبحانه وتعالى قد عظم قدر المال وأمر بحفظه ونهى عن تضييعه فيما لا يرضي الله عز وجل وأن جمع المال وادخاره لو كان محذوراً أو مذموماً أو مانعاً من الوصول إلى ولادة الله كما يزعم المتصوفة لما أمر الله بحفظه عن الضياع .

وقال الشيخ محمد فهر شقفه راداً على المتصوفة الذين يدعون إلى ترك العمل وتبييد الأموال والقعود والجلوس في الأربطة :

« والدعوة إلى البطالة والكسل وترك العمل وتبييد المال دعوة خطيرة في المجتمع فيها تعطيل لإعمار الأرض ومخالفة لروح الإسلام فإذا كان

(١) « صحيح مسلم مع النووي » (٢٨/١٧) .

(٢) « سنن ابن ماجه » (١٢٦٣/٢) .

الإسلام يتميز في شيء عن الديانةنصرانية سوى العقائد فإنه يتميز في تنظيم أمور الدنيا وعلاقات الناس وغالبها ينشأ عن الكسب وطلب الرزق والإسلام دين العمل المنتج والنشاط الدائم ولم يكن في يوم من الأيام دين بطالة أو كسل وتطفل ، ورحم الله أبا بكر خرج صباح توليه الخلافة ليكسب قوته بعمل يده .

والدعوة لترك العمل دعوة إلى الفقر ولا يوجد شيء أشد على النفس والمجتمع من الفقر وكان رسول الله ﷺ يستعيد من الفقر .

والدعوة لترك العمل دعوة للتخلص والضعف فإن المال والرزق من أهم أسباب القوة والمنعة والعز وقد حث الإسلام على العمل ورفع شأن العامل وبارك في كسبه قال تعالى : ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلْتُهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾^(١) .

ونكتفي بهذا في الرد على المتصوفة الذين زعموا أن الزهد يقتضي عدم القيام بأي عمل يحصل الإنسان من ورائه على معيشته الضرورية وأنه لا يجوز لأي أحد أن يدخل شيئاً من ماله إذا أراد أن يدخل في زمرة الزهاد بل عليه أن يتجرد من جميع ماله وقد بينما بأن هذا مفهوم باطل وغريب ليس من الإسلام في شيء بل هو مخالف للعقل والفطرة التي فطر الله الناس عليها لأنه من الأشياء المعلومة ضروريًا في هذه الحياة الدنيا أنه لا يمكن أن يعيش أي إنسان مهما كان بدون القوت الضروري الذي يقيم به صلبه على الأقل ولو تجرد الإنسان من جميع ماله كما يدعى المتصوفة إلى ذلك فمن أين سيجد الإنسان هذا القوت الضروري ؟ وأظن الإجابة على ذلك : ليس أمامه

(١) يس : (٣٥) والموضوع منقول من كتاب محمد فهر شقة (ص ١١٤) .

للحصول على رزقه إلا التعرض للشحادة والسؤال والوقوف أمام أبواب الناس من أجل الحصول على لقمة العيش وبالفعل لقد وقع المتصوفة في هذا ، وهذا ما سنبينه في الآتي .

وقع المتصوفة في الشحادة وسؤال الناس بسبب سوء فهمهم للزهد :

لقد وقع المتصوفة في الشحادة وسؤال الناس فوقفوا أمام بيوت الناس وتسكعوا في الشوارع من أجل الحصول على عيشهم الضروري وما أوقعهم في هذا إلا سوء فهمهم للزهد في الإسلام حيث إن الإسلام دعا إلى العمل والسعى في الأرض للحصول على الرزق الحلال بطرق شرعية فخالفوا ذلك ودعوا إلى تعطيل القيام بأي سبب في هذه الدنيا وحرموا الأدخار ودعوا إلى تجرد الإنسان من جميع ماله حتى يدخل في زمرة الزاهدين ثم وقعوا بعد ذلك في حيرة فلم يجدوا طریقاً يحصلون على رزقهم عن طريقه إلا القيام بالشحادة وسؤال الناس في الشوارع والبيوت ولم يقف المتصوفة بسؤال الناس فقط مع ما فيه من نهي نبوي عنه وإنما دعوا أتباعهم إلى هذه الحرفة لما فيها من الحصول على الرزق بدون كد ومدحوا السؤال والحصول على الرزق عن طريق الشحادة والتذلل والخشوع أمام الناس من أجل أن يعطوهم ما يأكلونه وهذا ما سأوضحه فيما يلي إن شاء الله بإيراد عبارات تدل على هذا عن أئمتهم الضلال .

النصوص التي تدل على أن المتصوفة قاموا بالسؤال ومدحوه.

لقد مدح أقطاب الصوفية ومشايخهم الكبار وقاموا به بأنفسهم وطبقوه في واقع حياتهم ودعوا المريدين لهم إلى ممارسة هذه المهنة لأنها هي المهنة التي توقع الإنسان في الذل والهوان أمام الناس ولذا دائمًا ترى

الصوفية يحرضون أتباعهم للتعرض للفاقات والمصائب المالية ثم يحثونهم على سؤال الناس .

يقول أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عباد النفري الرندي تحت عنوان : ورود الفاقات أعياد المریدین : . . . قال في معرض حديثه عن أحوال المریدین :

« ومنهم من مسرته وفرجه بفقدان حظوظه وإعواز أمانه وأغراضه وهذا هو حال الخاصة من المریدین لأن مدار أمرهم إنما هو على مراعاة قلوبهم وتصفية أسرارهم من كدورات الأغيار والآثار ولا يتأنى لهم ذلك إلا بوجданهم لما يقهرهم من ضرورات الفاقات وأنواع الحاجات والضرورات فتراهم يؤثرون الفقر على الغنى والشدة على الرخاء والذل على العز والمرض على الصحة »^(۱) .

وقال أيضًا : فواجب أن يكون ورود الفاقات أعياد المریدین فإذا فقدوا ذلك بمواتات الأسباب استشعروا بذلك وجود الحجاب وبعدهم عن محل الاقتراب^(۲) .

وقال إبراهيم المرابط الحسيني في وصف الصوفية :

بقو بشهود الحق من بعد ما فنوا عن الكون فاستجلوا ضياء المواهب
يداونن أمراض النفوس بحملها على ضد ما تهوى ذات المصائب

ثم قال الأمير عبد القادر الجزائري بعد ذكره هذه الأبيات :

« ولذا كان من شرط المرید الفقر بعد الغناء والخفاء بعد الظهور

(۱) « غيث المواهب العلية » للرندي (ص ۳۱) .

(۲) « غيث المواهب العلية » للرندي (ص ۳۲) .

ومراعاة الحق على كل حال وتطهير النفس من الأعراض والأمراض والآحوال»^(١).

وقال الرندي :

« ورود الفاقات يحصل بها للمريد مزيد كثير من صفاء القلب وطهارة السريرة وقد لا يحصل له ذلك بالصوم والصلوة لأن الصوم والصلوة قد يكون له فيما شهوة وهو ما كان سببه هذا لا يؤمن عليه من دخول الآفات فلا يفيده تخلية ولا تزكية بخلاف ورود الفاقات فإنها مبادنة للهوى والشهوة على كل حال »^(٢).

وقال أبو الحسن الشاذلي :

« وتصحیح العبودیة بملازمة الفقر والعجز والضعف والذل وأضدادها أوصاف الربوبیة فمالك ولها فلازم أوصافك وتعلق بأوصافه »^(٣).

إذا نظرنا في النصوص السابقة كلها نجد أن المتصوفة كلهم دعوا المریدین إلى التعرض لجميع المصائب في هذه الدنيا من الفقر والذل والهوان أمام جميع البشر في هذه الحياة وأکدوا لهم بأن هذا الطريق هو أفضل طريق لتزكية النفس وتطهيرها بل فضلهم بعضهم على الصلاة والصوم كما هو واضح أمامنا ونحن نقول إن هذا افتراء محض فالله سبحانه وتعالى قد أخبرنا بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين دائمًا فقال سبحانه : ﴿وَلِلّهِ خَرَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٤).

(١) « التصوف » للأمير عبد القادر الحسيني (ص ٣٩).

(٢) « غيث المواهب العلية » للرندي (٣٣).

(٣) « غيث المواهب العلية » للرندي (ص ٣٤).

(٤) المنافقون : (٧).

فدعوة المتصوفة للمربيدين التعرض لجميع المصائب دعوة باطلة قصدوا من ورائها القضاء على عدد كبير من شباب الأمة الإسلامية عن العمل وجعلهم فقراء يتکففون الناس من أجل الحصول على لقمة العيش وهذا أمر خطير جداً ودعوة خبيثة انتشر بسببها الفقر والتسول في العالم الإسلامي من قبل الشباب الذين قضت الطرق الصوفية على شخصياتهم وعطلت طاقاتهم بسبب اعتناقه لل الفكر الصوفي المنحرف الذي يدعو إلى البطالة وبعد عن القيام بأي عمل ولم يكتفوا بهذا بل دعوا أيضاً إلى القيام بالسؤال والشحادة في الطرق والبيوتات وجعلوه أفضلاً من الكسب لأنه يسبب الذل والمهانة للمربي فيترقى إلى أعلى المقامات.

عبارات المتصوفة وحكاياتهم التي ثبت أن المتصوفة مدحوا
السؤال والشحادة وطبقوه في الواقع حياتهم :

لقد ذكرنا فيما سبق آنفًا بأن المتصوفة دعوا المریدین إلى التعرض للمصائب والفاکات بجميع أنواعها ثم دعوهم بعد ذلك إلى القيام بسؤال الناس وشحاذتهم في الطرق والبيوت وهذا ما نريد إثباته هنا .

يقول أبو بكر النباتي^(١):

«أفتى الصوفية بوجوب السؤال على الفقير في بدايته إذا كان واجباً باعتبار بداية السالك ولا عبرة ما إذا كان المريد غنياً أو فقيراً بل عليه أن يسأل

(١) هو أبو بكر بن عبد الله النباتي الفاسي الرباطي متصوف وتووفي في رباط الفتح أقام مدة بفاس فتصوف وعلت شهرته في التصوف أكثر من ستين كتاباً منها رسائله المسمى « مدارج السلوك » و« الغيث المسجم في شرح الحكم الغطائية » و« الفتوحات القدسية في شرح القصيدة النقشبندية ». انظر الأعلام للزركلى (٤٥/٢).

لأن هذا السؤال المقصود منه هو تربية الأرواح »^(١) .

إذا نظرنا في هذا النص نرى بوضوح أن الصوفية يعتبرون سؤال الناس هو الطريق الذي عن طريقه تتم تربية الأرواح ولذا أوجبوها على المربيدين كما هو واضح أمامنا وهذا افتراء وكذب فسؤال الناس والتکف لهم لا يجوز إلا عند الاضطرار فقط كالميته أما أن يكون واجباً أو يكون من الطرق التي يتم عن طريقها تربية الأرواح كما يزعم المتصوفة فليس هذا بصحيح .

ويقول عبد القادر الفاس دفين أبي عجارة من رأس الحنان بأرض فاس:

« فإذا قذف الحق فيها نور وجوده وكشف عنها حجاب الأكوان المانعة من شهوده يشهده حينئذ من هذه حالة من غير كيف في جميع صور وجوده حتى إذا احتاج إلى شيء فإنه يتطلبه منه ويسأله من خزائن جوهره إذ ليس معه فيه سواه فيمد يده عند الحاجة إلى أي صورة ويتكشف له في عينها في كل وقت من أوقات زمانها ويأكل من خزائن الجود ويكون أكله لذلك من أجل ما يؤكل وسؤاله عند الوصف المذكور من أفضل الأعمال لاقترانه بمشاهدته تعالى والأخذ منه والافتقار إليه واقترانه بوصف الذل الذي هو غاية المطلوب من العبد ولا عليه إن لم تزحزحه شهوته وتدركه غفلته فيما يدخل في يده»^(٢) .

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن الفاسي بما أنه يعتقد أن جميع ما في هذا الكون مظاهر ومجالي لله سبحانه وتعالى فالحصول على الرزق عن طريق تکفف أي حد من البشر في هذه الحياة هو أفضل رزق لأن

(١) « مدارج السلوك » (ص ٦) .

(٢) « مدارج السلوك » (ص ٦) .

المتكفف للبشر إنما هو متكفف لله سبحانه وتعالى وطلب الرزق من الله والحصول عليه منه مباشرة هو أفضل رزق وهذه حيلة خبيثة لا يأكل أموال الناس بالباطل وإنما فليس ما في هذا الكون مظاهر ومجالي لله كما يزعم المتصوفة بل الله سبحانه وتعالى مبادر لخلقه في ذاته وصفاته وأفعاله وقد بينا ذلك في باب انحراف المتصوفة في مفهوم التوحيد فانظره هناك^(١).

والذى يهمنا من إيراد هذا النص هنا هو الإثبات بأن المتصوفة يرون الحصول على الرزق عن طريق سؤال الناس هو أفضل طريق.

وقال صاحب مدارج السلوك وهو يمدح السؤال ويفضله على الكسب:

« والخلائق كلهم يتکففون ولأرزاقهم يتعرضون إلا أن العامة يتعرضون لها بما تيسر لهم من الأسباب ويتكففونه سبحانه بعوض منهم في زعمهم لرؤيتهم نفوسهم وملكيتها لما يجمعونه من المعارضات فيأخذون ويدفعون بطريق العوض فيأخذون من نفوسهم ويدفعون بنفوسهم في ظلمة نفوسهم يعمهون بخلاف من جعلوا شعارهم التکفف من غير عوض فإنهم يأخذون من الحق إذ لا ملك لهم معه يعوضونه إياه فهم يأخذون من خالص عطائه وفيض جوده وامتنانه فيكون من سؤاله للناس إذن من شيخ مربي وتكففه على هذه الحالة ونفسه مطمئنة بها طعامه حلال ولقمه طيبة لا شوب فيها توكل أحلى من غيرها إن وعلى هذا جرى عمل بعض الأشياخ رضي الله عنهم في قديم الزمان وعليه أشياخ هذه الطائفة الزرقوية رضي الله عنهم وفي السؤال أسرار أخرى لا تنكر يعرفها الذاقون لها فإن لله في كل حالة من الأسرار ما لا يصفه واصف ولا يحده عارف ومن أراد تحقيق ما هنالك فليجرب فإن

(١) انظر (ص ٨١٢ - ٨١٤).

الحقائق تظهر في التجربة^(١) .

وفي هذا النص رائحة عقيدة القول بوحدة الوجود واضحة جدًا لأنه اعتبر سؤال الناس والأخذ منهم الأخذ من الله وذلك بناءً على عقيدتهم التي تقول إن كل ما في هذا الكون ما هو إلا مظاهر ومجالي لله سبحانه وتعالى وقد رأينا في هذا النص أيضًا تفضيله الحصول على الرزق عن طريق العمل للحصول عليه عن طريق السؤال وهذا مخالف للنصوص الشرعية .

وقال أيضًا : ومن شروط السؤال للمنقطع أربعة :

١ - عدم التشوف للأسباب .

٢ - عدم الادخار .

٣ - عدم رؤية الخلق في العطاء والمنع .

٤ - ولا يأخذ إلا ما وافق العلم الظاهر فاما ما دامت بقايا الأسباب في النفس فالأسباب أولى^(٢) .

فالنص واضح في أنه يدعو إلى ترك الأسباب وعدم الادخار ثم الاتجاه إلى طريق آخر للحصول على الرزق هو سؤال الناس وذلك بعد أن يتخلص عن القيام بأي عمل يحصل عن طريقه على رزقه وهذا أمر مخالف للشرع كما سيتضح لنا أثناء الرد عليهم .

وحكى الرندي عن بعض المتصوفة أنه قال :

« صدق الفقير أخذه الصدقة ممن يعطيه لا ممن تقبل إليه على يده »

(١) « مدارج السلوك » (ص ٧) .

(٢) « مدارج السلوك » (ص ٧) .

فالحق تعالى هو المعطى على الحقيقة لأنه جعلها لهم فإن قبلها من الحق فهو الصادق في فقره لعلو همته ومن قبلها من الوسائل فهو المتوسّم بالفقر مع رداءة همته «^(١)».

من النصوص السابقة نخرج بخلاصة وهي أن المتصوفة يفضلون الحصول على الرزق عن طريق السؤال والتکفف للناس على الحصول عليه عن طريق الكد والکدح وهذا مبدأ خطير جداً لو طبقته الأمة الإسلامية لأنها اقتصادها وأصبحت كلاً على غيرها وهو لو طبق كفيل بتدمير الأمة والقضاء عليها.

حكايات عن المتصوفة أنفسهم على أنهم بالفعل سألوا الناس :

إذا أردنا أن نذكر كل الحكايات التي ذكرها المتصوفة في كتبهم والتي تدل دلالة واضحة على أنهم بالفعل قاموا بالتسول وسؤال الناس في الشوارع بغية حصولهم على الرزق بعد أن دعوا إلى الابتعاد عن العمل لكسب الرزق يصعب علينا ذكرها كلها ولذا سأذكر بعض الحكايات التي أثبتت بها على أن المتصوفة بالفعل مارسوا التسول والتکفف لأموال الناس في الشوارع والبيوت وأصبحوا عبئاً على الأمة الإسلامية عبر التاريخ وإليك نماذج من هذه الحكايات.

فقد ذكر السهروردي بأن أحد المتصوفة قال : جعت ذات يوم وكان حالياً أن لا أسأل فدخلت بعض المحال ببغداد مجنزاً متعرضاً لعل الله يفتح لي على يد بعض عباده شيئاً فلم يقدر فنمت جائعاً فأتى آت في منامي فقال لي : اذهب إلى موضع كذا وعين الموضع فشم خرفة زرقاء فيها تقطيعات

(١) «غیث المواهب العلیة» للرندي (ص ٣٤).

أخرجها في مصالحك^(١).

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن هذا الصوفي دخل بغداد رجاء الحصول على رزقه بالتسول في شوارع بغداد وذلك بعد أن حرم الحصول على الرزق عن طريق الكد والكذب.

وروى السهروردي أن عبد الله بن عوف المسعودي كان له ثلاثة وستون صديقاً يكون عند كل واحد يوماً وأخر كان له ثلاثون صديقاً يكون عند كل واحد يوماً وأخر كان له سبعة إخوان يكون كل يوم من الأسبوع عند واحد^(٢).

ورأى بعضهم النوري يسأل الناس قال : فاستعظمت ذلك منه واستفظعته فأتيت الجنيد وأخبرته فقال لي : لا يعظم هذا فإن النوري لم يسأل الناس إلا ليعطيمهم سؤلهم في الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضره^(٣).

وروى عن أبي سعيد الخراز أنه كان يمد يده عند الفاقة ويقول: ثم شيء.

ونقل عن أبي جعفر الحداد وكان أستاداً للجنيد أنه كان يخرج بين العشائين ويسأل من باب أو بابين.

ونقل عن إبراهيم بن أدهم أنه كان يسأل كل ثلاثة أيام عند فطوره^(٤).

ويعتقد المتصوفة إن لله سبحانه وتعالى أبواباً من طريق الحكمة وأبواباً من طريق القدرة فإن فتح باباً من طريق الحكمة وإلا فيفتح باباً من

(١) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص ٩٨).

(٢) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٢).

(٣) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٢).

(٤) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٢).

طريق القدرة و يأتيه الشيء بخرق العادة كما كان يأتي مريم عليها السلام :
 ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَا الْمَحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرِيمُ أَنِّي لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(١).

وقيل لأبي يزيد ما نراك تشتغل بالكسب فمن أين معاشك فقال :
 مولاي يرزق الكلب والختزير تراه لا يرزق أبا يزيد^(٢).

وتكتفي هذه النماذج التي ذكرتها عن أئمة التصوف فهي واضحة الدلالة على أن المتصوفة بالفعل مارسوا حرفة التسول والتکفف والسؤال لأموال الناس بعد أن عطلوا أتباعهم عن ممارسة أي عمل بحججة أن هذا مناف للزهد الحقيقي في هذه الدنيا وهذا فهم خاطئ للزهد الإسلامي المشروع الذي بينما في المبحث الأول من هذا الفصل إذ بينما هناك بأن الزهد الحقيقي في هذه الدنيا هو أن يكدر الإنسان في هذه الحياة الدنيا من أجل الحصول على الرزق الحلال ثم ينفقه في الوجوه المشروعة وأن الزاهد هو الذي يقدم أمور دينه على دنياه ولا يكن همه جمع حطام الدنيا فقط أما أن يتجرد الإنسان من جميع ماله ويحرم الكسب على نفسه ثم يتضرر ما يقدم له من الناس فهذا أمر مخالف لمبادئ ديننا الحنيف الذي حث على الكسب وحذر من سؤال الناس إلا للضرورة .

قال الإمام ابن الجوزي وهو يتحدث عن المتصوفة الذين فهموا الزهد فهمًا خاطئاً ودعوا إلى التجرد عن كل ما يملكون :

قال : وقد بينما أنه كان من أوائل الصوفية يخرجون من أموالهم زهداً

(١) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٣) .

(٢) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٣) .

فيها وذكرنا أنهم قصدوا الخير بذلك إلا أنهم غلطوا في هذا الفعل فاما متأخر وهم فقد مالوا إلى الدنيا وجمع المال من أي وجه كان إيشاراً للراحة وحباً للشهوات فمنهم من يقدر على الكسب ولا يعمل ويجلس في الرباط أو المسجد ويعتمدون على صدقات الناس وقلبه معلق بطرق الباب ومعلوم أن الصدقة لا تحل لغني ولا لذي مرة (أي القدرة) سوي ولا يسألون بمن بعث إليهم فربما بعث الظالم والماكس فلم يردوه وقد وضعوا في ذلك بينهم كلمات منها تسمية ذلك بالفتح ومنها أن رزقنا لابد أن يصل إلينا ومنها أنه من الله فلا يرد عليه ولا نشكر سواه وهذا كله خلاف الشريعة وجهل بها وعكس ما كان السلف الصالح عليه فإن النبي ﷺ قال : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ الدين وعرضه » .

وقد قاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه من أكل شبهة .
وكان الصالحون لا يقبلون عطاء ظالم ولا من في حالة شبهة وكثير من السلف لم يقبل صلة الإخوان عفافاً وتزهاً .. ثم قال ابن الجوزي : « ثم أين هؤلاء من الأنفة من الميل إلى الدنيا فإن النبي ﷺ قال : « اليد العليا خير من اليد السفلية » ^(١) واليد العليا هي اليد المعطية هكذا فسره العلماء وهو الحقيقة وقد تأوله بعض القوم فقال العليا هي الآخرة قال ابن قتيبة : ولا أرى هذا إلا تأويل قوم استطابوا السؤال » .

ثم قال ابن الجوزي :

« ولقد دخلت بعض الأربطة فسألت عن شيخه فقيل لي قد مضى إلى

(١) « سنن أبي داود مع بذل المجهود » (١٩١/٨) .

الأمير فلان يهنته بخلعة قد خلعت عليه وكان ذلك الأمير من كبار الظلمة فقلت : ويحكم ما كفاكم أن فتحتم الدكان حتى تطوفوا على رءوسكم بالسلع يقدر أحدكم عن الكسب مع قدرته عليه معمولاً على الصدقات والصلات ثم لا يكفيه حتى يأخذ ممن كان ثم لا يكفيه حتى يدور على الظلمة فيستعطي منهم ويهنئهم بملبوس لا يحل ولاية لا عدل فيها والله إنكم أضر على الإسلام من كل مضر «^(١) .

والخلاصة أن المتصوفة بعد أن حرموا القيام بأي سبب يحصلون بسببه على الرزق الحلال ورأوه أنه مناف للزهد الحقيقي ودعوا إلى التجدد الكامل من كل ما يملكه الإنسان وقعوا في حيرة شديدة لأنهم أتوا ببدعة مرفوضة شرعاً وعقلاً ولم يجدوا أمامهم إلا وسيلة واحدة للحصول على الرزق إلا وهي التسول والتکفف وسؤال الناس أموالهم بالباطل واتخذوا هذه مهنة لهم وكل من ينظر إلى المتصوفة ومربيدهم في العالم الإسلامي فإنه يراهم بأنهم صاروا حملأ ثقيلاً على الأمة الإسلامية لأنهم لا يقومون بأي عمل وعوام المسلمين وجهالهم يغدقون عليهم الأموال بحجة أنهم أولياء الله المتفرغين للعبادة والذي يهمنا هنا هل السؤال والتسول لأموال الناس ممدوح في الإسلام لكي يحصل الإنسان على رزقه عن طريقه أم لا ؟

وهذا ما سأجيب عنه الآن إن شاء الله

حكم السؤال في الإسلام :

لقد حذر الإسلام من التسول والتکفف وسؤال الناس وذمه وتوعده عليه وذكر العاقبة الوخيمة التي تصيب الإنسان يوم القيمة بسبب سؤال الناس

(١) تلبيس إيليس » لابن الجوزي (ص ١٨٥ - ١٨٦) .

والتكفف لأموالهم ولم يره من الطرق المشروعة الجائزة للحصول على الرزق
عن طريقه فضلاً عن أن يكون من أفضل الطرق كما زعم المتصوفة .

وإليك الأدلة على ذلك من أقوال الرسول الكريم ﷺ .

فمن الأحاديث التي تدل على ذم السؤال والتكفف لأموال الناس قول
الرسول ﷺ فيما رواه عنه ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال وهو على المنبر
وهو يذكر الصدقة والتعفف منها والمسألة : « اليد العليا خير من اليد
السفلى »^(١) واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة .

* ومن الأحاديث التي تدل على ذم السؤال والبحث على العمل قول
الرسول ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله
ﷺ : « لأن يحترم أحدكم حزمة حطب على ظهره فيبيعها خير من أن يسأل
رجالاً فيعطيه أو يمنعه »^(٢) .

* ومن الأحاديث التي تدل على ذم السؤال ما رواه عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ما يزال الرجل يسأل حتى يأتي
يوم القيمة ليس في وجهه مزعة من لحم »^(٣) .

قال ابن بطال رحمة الله تعالى على هذا الحديث :

« جازاه الله من جنس ذنبه حين بذل ماء وجهه وعنه الكفاية وإذا لم
يكن اللحم فتؤديه الشمس أكثر من غيره وأما من سأله مضطراً فيباح له
السؤال ويرجى له أن يؤجر عليه إذا لم يجد عنه بدأ »^(٤) .

(١) « سنن أبي داود مع بذل المجهود » (١٩١/٨) .

(٢) « سنن النسائي مع شرح السيوطي » (٩٣/٥) .

(٣) « سنن النسائي مع شرح السيوطي » (٩٤/٥) .

(٤) « شرح جلال الدين السيوطي على سنن النسائي » (٩٤/٥) .

وقال السندي :

«(مزعة لحم) بضم ميم ، حكى كسرها وفتحها وسكون زاي معجمة
وعين مهملة القطعة الكبيرة من اللحم والمراد أنه يجيء ذليلاً لا جاه له ولا
قدر كما يقال له وجه عند الناس أو ليس له وجه أو أنه يعذب في وجهه حتى
يسقط لحمه أو أنه يجعل له ذلك علامه يعرف به والظاهر ما قيل أنه جازاه
الله من جنس ذنبه فإنه صرف بالسؤال ماء وجهه عند الناس»^(١) .

* وعن قبيصة بن مخارق قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«لا تصح المسألة إلا لثلاثة رجل أصابت مالهجائحة فيسأله حتى يصيب
سداداً من عيش ثم يمسك ورجل تحمل حمالة فيسأله حتى يؤدي إليهم حمالتهم
ثم يمسك عن المسألة ورجل حلف ثلاثة نفر من قومه من ذوي الحجبا بالله لقد
حلت المسألة لفلان فيسأله حتى يصيب قواماً من معيشة ثم يمسك عن المسألة
فما سوى ذلك سحت»^(٢) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : إن أناساً من الأنصار
سألوا رسول الله فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى إذا نفذ ما عنده قال : «ما
يكون عندي من خير فلن أدخله عنكم ومن يتغافل يغفل الله ومن يستغن يغرن الله
ومن يتصرّف يصرّف الله وما أعطي أحد من عطاء أوسع من الصبر»^(٣) .

* ومن الأحاديث التي تدل على ذم السؤال وتحث على العمل ما رواه
عروة عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : «لأن يأخذ أحدكم حبله
فيأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيستغني بثمنها خير له من

(١) «حاشية السندي على سنن النسائي» (٩٤/٥).

(٢) «سنن النسائي» (٩٧/٥).

(٣) «سنن أبي داود مع بذل المجهود» (١٨٦/٨) والنسائي (٤٥/٥).

أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه ^(١) .

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه » ^(٢) .

وهكذا الإسلام كما نرى هنا في هذه الأحاديث نهى عن السؤال وحذر منه وعابه وشجع على العمل ووعد عليه الأجر الجزيل ولقد شجع السلف الصالح على العمل وحذرها من التكاسل.

قال سعيد بن المسيب رحمه الله : « لا خير فيمن لا يجمع المال من حله فيخرج منه حقه ويصون به عرضه » .

وقال عمر بن الخطاب : « يا معاشر القراء ارفعوا رءوسكم واتجرروا فقد وضح الطريق » .

وقال عبد الله بن المبارك : « من ترك السوق ذهبت مروعته وساء خلقه » ^(٣) .

إذا نظرنا في الأحاديث والآثار السابقة نخرج بخلاصة واحدة ألا وهي أن الإسلام قد حذر من سؤال الناس وتكتفهم وتحث على العمل والكد والكدح للحصول على الرزق واعتبر ذلك عملاً صالحًا يجزي عليه الإنسان يوم القيمة خيراً كما هو واضح أمامنا في الأحاديث والآثار التي ذكرتها وبهذا يظهر لنا بطلان دعوى الصوفية في نهيهم عن العمل بحججة الزهد في الدنيا وحثهم على سؤال الناس والتكتف لأموالهم واعتبارهم له من أفضل الطرق

(١) « مصنف عبد الرزاق » (٩١/١١) وكذا « مصنف ابن أبي شيبة » (١٣٩/١) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (٤/٤) .

(٣) « تنبيه الغافلين » (ص ٦٨ - ٦٩) .

للحصول على الرزق.

نفور الصوفية عن الزواج وتنفير الناس عنه بحججة الزهد في الدنيا وسوء فهمهم للزهد :

لقد ابتعد زعماء الصوفية قديماً وحديثاً عن الزواج الشرعي ولم يكتفوا بابتعادهم عنه بل نفروا الناس عنه بشتى الأساليب المنفرة حيث يعتقد الصوفية بأنَّ بعد عن الزواج وبالتالي عدم الأولاد لأنَّ من لم يتزوج حتماً لن يلد يرون هذا المسلك أحسن معين للفقير وأجمع لهمه وألذ لعيشته وإليك أقوالهم التي وصفوا فيها الزواج بأنه رخص وليس بسنة من سنن المصطفى ﷺ وأنَّه قيود وانهماك في الدنيا ومانع من الوصول إلى ولاية الله سبحانه وتعالى ودعا المتصوفة إلى هجر الزوجة والأولاد والسكن في المزابل مع الكلاب من أجل إهانة النفس وتحقيرها وتعذيبها وذلك زهداً في الدنيا ورجاء الوصول إلى ولاية الله حسب رغبهم .

إليك عباراتهم التي تدل على أنَّهم نفروا من الزواج بشتى الأساليب .

قال السهروردي وهو يذم الزواج وينفر منه :

« التزوج انحطاط من العزيمة إلى الرخص ورجوع من التزوج إلى النقص وتقيد بالأولاد والأزواج ودوران حول مظان الأعوجاج والتفات إلى الدنيا بعد الزهادة »^(١) .

وقال السهروردي : « من تعود أفخاذ النساء لا يفلح »^(٢) .

(١) « عوارف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٤) .

(٢) « عوراف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٥) .

وقال أبو سليمان الداراني :

« ما رأيت أحداً من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته »^(١).

وقال أيضاً : « ثلات من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاشاً أو تزوج امرأة أو كتب الحديث »^(٢).

وقيل لبشر بن الحارث : إن الناس يتكلمون فيك فقال : ما يقولون؟
قيل : يقولون إنه تارك للسنة - يعني النكاح - فقال : قولوا لهم أنا مشغول
بالفرض عن السنة وكان يقول : لو كنت أعمول دجاجة خفت أن أكون جلاداً
على الجسر^(٣).

ويقول السهوروبي :

« فالتجرد عن الأزواج والأولاد أعن على الوقت للفقير وأجمع لهم
وأذل لعيشه ويصلح للفقير في ابتداء أمره قطع العلائق ومحو العوائق والتنقل
في الأسفار وركوب الأخطار والتجرد عن الأسباب والخروج عن كل ما
يكون حجاباً »^(٤).

وقال أيضاً وهو يحذر المرتدين عن الزواج ويخوفهم منه :

« والصوفي مبتلى بالنفس ومطالبها وهو في شغل شاغل عن نفسه فإذا
انضاف إلى مطالبات نفسه مطالبات زوجه يضعف طلبه وتكل إرادته وتفتر
عزيزته والنفس إذا أطمعت طمعت وإذا أقنعت قنعت . . . ».

(١) « عوارف المعارف » للسهوروبي (ص ٤ ١٠).

(٢) « عوارف المعارف » للسهوروبي (ص ٤ ١٠).

(٣) « عوارف المعارف » للسهوروبي (ص ٥ ١٠).

(٤) « عوارف المعارف » للسهوروبي (ص ٤ ١٠).

وقال أيضًا : « وينبغي للمريد أن يعرض على نفسه ما يدخل عليه بالنكاح من الدخول في المداخل المذمومة المؤدية إلى الذل والهوان وأخذ الشيء من غير وجهه وما يتوقع من القواطع بسبب التفات الخاطر إلى ضبط المرأة وحراستها والكلف التي لا تنحصر »^(١) .

وقال أيضًا : « ولا شك أن المرأة تدعى إلى الرفاهية والدعة وتنم عن كثرة الاشتغال بالله وقيام الليل وصيام النهار ويتسلط على الباطن خوف الفقر ومحبة الادخار وكل هذا بعيد عن المتجرد »^(٢) .

وذكر أن بعض القراء لما قيل له تزوج قال : أنا أن أطلق نفسي أحوج مني إلى التزوج^(٣) .

ويقول سهل بن عبد الله التستري :

« إياكم والاستمتاع بالنساء والميل إليهن فإن النساء مبعادات من الحكمة قربات من الشيطان وهي مصايده وحظه من بني آدم فمن عطف إليهن بكلية فقد عطف على حظ الشيطان ومن حاد عنهن يئس منه وما مال الشيطان إلى أحد كميله إلى من استرق بالنساء وأن الشر معهن حيث كن فإذا رأيتם في وقتكم من قدركن إليهن فایأسوا منه »^(٤) .

وقال إبراهيم بن أدهم :

« إذا تزوج الفقير فمثله مثل رجل قد ركب السفينة فإذا ولد

(١) « عوراف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٥) .

(٢) « عوراف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٥) .

(٣) « عوراف المعارف » للسهروردي (ص ١٠٥) .

(٤) « غيث المواهب العلية » للرندي (٢٠٩/٢) .

له ولد قد غرق »^(١) .

هذا فيما يتعلق بتنفيذ الصوفية عن الزواج قبل وقوعه حتى لا يقع فيه المريد وأما إذا وقع المريد في الزواج وتزوج بالفعل فقد شجعوه على هجران المرأة وعدم قربها وذلك بذكر حكايات عن أئمة التصوف هجروا نسائهم بعد أن تزوجوهن ولم يقربوهن وإليك نماذج من هذه الحكايات التي قصدوا من ورائها تعذيب النساء .

فقد ذكر الشعراي عن ياقوت العرش وهو أحد المتصوفة أنه تزوج ابنة شيخه أبي العباس المرسي فمكثت عنده ثمانية عشرة سنة لا يقربها حياءاً من والدها ومنها وفارقتها بالموت وهي بكر^(٢) .

وذكر الطوسي أن صوفياً تزوج من امرأة فبقيت عنده ثلاثين سنة وهي بكر^(٣) .

ونقل أبو الحسن الهجويري عن إبراهيم الخواص أنه قال :

« وصلت إلى قرية بقصد زياره عظيم كان هناك ولما ذهبت إلى داره رأيت بيته نظيفاً مثل معبد الأولياء وقد جعل في روایشين من البيت محاربين وجلس في أحدهما شيخ وفي الآخر عجوز نظيفة وضيئه وقد ضعف كلامها من كثرة العبادة فأظهر السرور بقدومي وبقيت هناك ثلاثة أيام ولما أردت العودة سألت الشيخ من تكون لك تلك العفيفة ؟ قال هي من ناحية ابنة عمي ومن ناحية أخرى زوجي فقلت رأيتكما خلال هذه الأيام الثلاثة كالغربيين

(١) « اللمع » للطوسي : (ص ٢٦٥) .

(٢) « الأخلاق المتبولية » لعبد الوهاب الشعراي (١٧٩/٣) .

(٣) « اللمع » للطوسي (ص ٢٦٥) .

تماماً في الصحابة قال : نعم ، منذ خمسة وستين سنة ونحن كذلك فسألته عن سبب ذلك فقال : اعلم أننا كنا عاشقين لأحدنا الآخر في الصغر ولم يكن أبوها يعطيها لي لأن محبتنا صارت معروفة فتحملت ذلك حتى توفي أبوها وكان والدي عمها فزوجها لي فلما كانت الليلة الأولى من تلاقينا قالت لي : أنت تعلم أي نعمة أنعمها الله علينا إذ أوصل كلامنا إلى الآخر وأفرغ قلبينا من القيود والآفات السيئة ، فقلت : نعم ، قالت : فلنمنع أنفسنا الليلة عن هوى النفس وندس على مرادنا ونعبد الله شكرًا على هذه النعمة ، فقلت : هذا صواب ، وقالت : هذا نفسه في الليلة التالية وقلت أنا في الليلة الثالثة : لقد أدينا الشكر ليلتين من أجلك فلنقض ليلتين أيضاً في العبادة من أجلي وقد تمت الآن خمسة وستون عاماً لم يمس أحدنا الآخر ونحن نقض كل العمر في شكر النعمة^(١) .

إذا نظرنا في العبارات السابقة التي أوردتها عن المتصوفة نرى بوضوح كامل ويدلالة صريحة لا غموض فيها كلها فيها تنفير عن الزواج وأنه من الموانع عن الوصول إلى ولية الله وأن بعد عن الزواج وعدم الإقدام عليه أو هجر الزوجة والأولاد بعد الواقع عليه هو الطريق المؤصل إلى ولية الله سبحانه وتعالى وهذا حسب زعم المتصوفة .

ثانياً : إثبات مشروعية النكاح بالكتاب والسنة وأقوال العلماء :

تمهيد :

لقد ذكرنا في الفقرة الأولى السابقة أقوال الصوفية التي تدل دلالة صريحة على أنهم يرون النكاح رخصة وليس بعزيزمة وبينما بأنهم لم يقفوا عند

(١) « كشف المحجوب » للهجويري (٦٠٨/٢) .

هذا الحد بل اتخذوا شتى الأساليب لتنفير الناس عن الزواج حيث وصفوه بأوصاف قبيحة تجعل العami الجاهل الذي لا يعرف مكانة النكاح في الكتاب والسنة ينفر منه ويبعد عنه خشية أن يقع في تلك المصائب التي ذكرها الصوفية لكل من أراد أن يقدم على الزواج .

وفي هذه الفقرة نريد أن نرد على الصوفية وذلك بذكر الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ثبت مشروعية النكاح وأنه مما رغب فيه الرسول ﷺ وحث عليه وبهذا سيظهر بطلان دعوى الصوفية التي ادعوها لكي ينفروا الناس عن الزواج .

أولاً : الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء التي ثبتت مشروعية النكاح :

النكاح مشروع بالكتاب والسنة والإجماع وإليك بيان ذلك :

أولاً : الأدلة من الكتاب على مشروعية النكاح :

* من الآيات التي تدل على مشروعية النكاح قول الله تعالى :
 ﴿فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مَشَنِي وَثُلَاثَ وَرَبِاعَ فَإِنْ خَفْتُمُ أَلَا تَعْدُلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكْتُ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَا تَعُولُوا ۝ وَاتُّوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبِّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُّوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ۝﴾^(١).

ففي هذه الآية أمر الله سبحانه وتعالى بالنكاح ولو لم يكن النكاح أمراً مشروعًا ومحموداً لما أمر الله به لأن الله لا يأمر بالمنكر بل يأمر بالمعروف ويعرف مصالح عباده دنيا وأخرى وعلى هذا يظهر بطلان دعوى الصوفية في أن النكاح ليس بأكثر من رخصة وهذا قول المعتدلين منهم أما المنحرفون

(١) النساء : (٤ - ٣) .

انحرافاً خطيراً فقد وصفوا الزواج بأنه من العقبات الكبيرة التي تسد المريد من الوصول إلى ولاية الله حسب زعمهم .

* ومن الآيات التي تدل على مشروعية النكاح والبحث عليه قول الله تعالى : ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَيْ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عَبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءٌ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ ۚ﴾ (٣٢) ولما يستعنون الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله والذين يتغرون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكتابوهم إن علمتم فيهم خيراً واتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تکرھوا فتياتكم على البغاء إن أردنا تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يکرھهن فإن الله من بعد إکراههن غفور رحيم ﴿١﴾ .

ففي هذه الآيات أمر الله سبحانه وتعالى بالنكاح وحذر من أن يكون الفقر عائقاً من الإقدام على الزواج وتعهد الله سبحانه وتعالى بأن يغنى الزوجين من فضله لأن أرزاقه واسعة لا تحصى ولا تنقض ولا تقطع وأنه عليم بعباده سبحانه .

وأمر الذين لا يستطيعون موئنة النكاح بالصبر إلى أن يغنيهم الله سبحانه وتعالى من فضله .

وعلى كل الآيات فيها حث على النكاح وترغيب فيه وهذا بخلاف ما ذهب إليه المتصوفة حيث حذروا من الإقدام على الزواج وهو مناقضة صريحة لما جاء في الكتاب كما هو واضح أمامنا .

وبما أن النكاح من الأشياء التي أحلها الله سبحانه وتعالى فهو من الطيبات وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن تحريم الطيبات في كتابه فقال :

(١) النور : (٣٢ - ٣٣) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُ
الْمُعْتَدِينَ﴾^(١)

قال الإمام الطبرى :

« التبتل الذى أراده عثمان بن مظعون تحريم النساء والطيب وكل ما يلتذ به فلهذا نزل في حقه هذه الآية »^(٢).

وبما أن النكاح من الأمور التي أحلها الله فهو من الطبيات وليس من الأشياء التي يجب الهروب عنها والنفور كما يفعل المتصوفة .

ثانياً : الأدلة من السنة على مشروعية النكاح والترغيب فيه :

لقد رغب النبي ﷺ في النكاح في أحاديث كثيرة وحث عليه حثاً بليغاً وبعبارات مختلفة فمرة رغب فيه بأمر الشباب المستطيعين بالزواج ومرة رغب فيه باعتبار من تزوج استكملاً نصف دينه ومرة رغب فيه باعتبار من لم يتزوج مع الاستطاعة ليس منه وغير ذلك من الأساليب المتنوعة التي ستتض� لنا الآن في الأحاديث الآتية :

* فمن الأحاديث التي تدل على مشروعية النكاح ما رواه علقة قال : بينما أنا أمشي مع عبد الله رضي الله عنه فقال : كنا مع النبي ﷺ فقال : «من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحسن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »^(٣).

وفي طريق آخر عن الأعمش قال حدثني إبراهيم عن علقة قال :

(١) المائدة : ٨٧.

(٢) البخاري مع الفتح (١١٨/٩).

(٣) البخاري مع الفتح (١٠٦/٩) والبيهقي في « السنن الصغرى » (٧/٣).

كنت مع عبد الله فلقيه عثمان بمني فقال : يا أبا عبد الرحمن إن لي إليك حاجة فخليا فقال لي عثمان : هل لك يا أبا عبد الرحمن في أن نزوجك بكرًا تذكرك ما كنت تعهد فلما رأى عبد الله أن ليس لي حاجة إلى هذا أشار إلى فقال : يا علقة ، فانتهيت إليه وهو يقول أما لئن قلت ذلك لقد قال لنا النبي ﷺ : « يا معاشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » ^(١) .

ففي هذين الحديثين أمر النبي ﷺ بالنكاح وحث عليه وهذا يدل على مشروعية النكاح وأنه من الأمور التي أمر الله بها رسوله ﷺ وما دام أمر به رسول الله ﷺ فهو من الأشياء الطيبة الفاضلة التي تعين الإنسان في دينه وتساعده على الاستقامة وعدم الانحراف وليس كما يدعى المتصوفة بأن الزواج يعتبر عقبة من العقبات التي تكون حاجزاً منيعاً بين الإنسان ووصوله إلى ولاية الله سبحانه وتعالى .

وقال الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله تحت هذا الحديث :

« خص الشباب بالخطاب لأن الغالب وجود قوة الداعي فيهم إلى النكاح بخلاف الشيوخ وإن كان المعنى معتبراً إذا وجد السبب في الكهول والشيوخ أيضاً » ^(٢) .

أما الإجماع فقد أجمع المسلمون كلهم قدیماً وحديثاً على أن النكاح مشروع ^(٣) .

(١) البخاري مع الفتح (١٠٦/٩) .

(٢) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » (١٠٨/٩) .

(٣) انظر « المغني » لأبن قدامة (٤٤٥/٦) .

حكم النكاح :

لقد ذكرنا فيما سبق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدل على مشروعية النكاح والترغيب فيه وذكرنا الإجماع على ذلك أيضاً وهنا نريد أن نذكر أقوال الفقهاء في حكم النكاح ولا نريد هنا أن نذكر قول كل مذهب بعينه ونقارن بين المذاهب وإنما نريد أن نذكر جملة من أقوال العلماء في حكم النكاح حتى نؤكد بأنه من الأمور المشروعة ولذا وضع الفقهاء له أحكاماً وإليك جملة من أقوال العلماء التي بينوا فيها حكم النكاح .

قال الإمام ابن قدامة المقدسي :

« والناس في النكاح على ثلاثة أضرب وهي : منهم من يخاف على نفسه الوقوع في المحظور إن ترك النكاح فهذا يجب عليه النكاح في قول عامة الفقهاء لأنّه يلزم إعفاف نفسه وصونها عن الحرام وطريقه النكاح .

الثاني : من يستحب له وهو من له شهوة يأمن معها الوقوع في محظور فهذا الاشتغال به أولى من التخلّي لنوافل العبادة وهو قول أصحاب الرأي وهو ظاهر قول الصحابة رضي الله عنهم وفعلهم قال عبد الله بن مسعود : لو لم يبق من أجلي إلا عشرة أيام وأعلم أنّي أموت في آخرها يوماً ولني طول النكاح فيهن لتزوجت مخافة الفتنة .

وقال ابن عباس لسعيد بن جبير : تزوج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساءً .

وقال إبراهيم بن ميسرة : قال لي طاووس لتنكحن أو لاقولن لك ما قال عمر لأبي الزوائد ما يمنعك عن النكاح إلا عجز أو فجور .

قال أحمد في رواية المروذى : ليست العزبة من أمر الإسلام في شيء

وقال : من دعاك إلى غير التزويج فقد دعاك إلى غير الإسلام ولو تزوج بشر
كان قد تم أمره » .

وقال أيضاً : « واستدل بهذا الحديث على أن من لم يستطع الجماع
فالمطلوب منه ترك التزويج لأنه أرشه إلى ما ينافيه ويضعف دواعيه وأطلق
بعضهم أنه يكره في حقه »^(١) .

* ومن الأحاديث التي تدل على مشروعية النكاح والبحث عليه ما
أخرجه ابن حبان في صحيحه أن النبي ﷺ قال : « تزوجوا الودود الولود فإني
مكاثر بكم الأمم يوم القيمة »^(٢) .

* وللبيهقي من حديث أبي أمامة : « تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم ولا
تكونوا كرهانية النصارى »^(٣) .

* وعن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة
وينهى عن التبليغ شديداً ويقول : « تزوجوا الودود الولود إني مكاثر الأنبياء
يوم القيمة »^(٤) .

إذا نظرنا في الأحاديث السابقة نرى بوضوح أن النبي ﷺ أمر في
الحديث الأول بتزوج امرأة ولودة حتى تكثر الأمة الإسلامية فياهي بها
الرسول ﷺ الأمم يوم القيمة ولو عمل الناس بما ي قوله المتصوفة بدعوتهم
إلى البعد عن الزواج نهائياً لا يمكن أن يحصل تكاثر الأمة وعلى هذا

(١) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » (٩/١١٠) .

(٢) « صحيح ابن حبان » (٧/٧٨) .

(٣) « سنن البيهقي » (٧/٧٨) .

(٤) « موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان » بتحقيق حمزة (ص ٢٣٠) .

فالصوفية محاربون ومحادون لأوامر الرسول ﷺ لأنهم يحاربون أوامره ويصفون من أراد تطبيقها بأنه لا يمكن أن يصل إلى ولاية الله سبحانه وتعالى.

وفي الحديث الثاني اعتبر الرسول ترك النكاح والابتعاد عنه رهبانية كرهbanية النصارى.

وفي الحديث الثالث نهى الرسول ﷺ عن التبلي و هو الانقطاع عن النكاح نهياً شديداً ومعنى هذا أن ترك النكاح ليس من الأمور المرغوبة فيها ولا الجائزة فضلاً عن أن يكون طريقاً موصلاً إلى ولاية الله سبحانه وتعالى كما يدعي المتصوفة الدجاللة .

* ومن الأحاديث التي تدل على مشروعية النكاح والتحذير من تركه مع القدرة على لوازمه قول النبي ﷺ : « من كان موسراً فلم ينكح فليس منا »^(١) .

ومنها أيضاً ما رواه سعد بن أبي وقاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « رد رسول الله على عثمان بن مظعون التبلي ولو أذن له لاختصينا »^(٢) .

وقد سأله سعيد بن هشام بن عامر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن التبلي فقالت : لا تفعل أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْواجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ فلا تبلي .

(١) « سنن الدارمي » (١٣٣/٢) .

(٢) البخاري مع الفتح (١١٧/٩) .

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « ثلاثة حق على الله إعانتهم المجاهد في سبيل الله والناكح ي يريد أن يستعفف والمكاتب يريد الأداء »^(١) .

* وعن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال : « إن الدنيا متعة وخير متعة الدنيا المرأة الصالحة »^(٢) .

* وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « النكاح سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني وتزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيمة ومن كان ذا طول فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء »^(٣) .

ونخرج من هذه الأحاديث كلها بإبان النكاح من الأمور التي شرعها الله ورسوله محمد ﷺ وحيث عليه الرسول ﷺ لأهميته ومكانته العظيمة ولهذا فكل من يدعو الناس إلى البعد عن الزواج والهروب عنه ويصفه بأوصاف منفرة يعتبر محاداً لله ولرسوله وبالفعل قد وقع المتصوفة في هذا المحذور فأصبحوا يدعون الناس إلى الهروب عن الزواج والبعد عنه مخالفين بذلك قول الله عز وجل : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا »^(٤) .

وقوله تعالى : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا »^(٥) .

ومخالفين أيضاً قول الرسول ﷺ : « إِذَا أَمْرَتُكُمْ بِشَيْءٍ فَخُذُوهُ مِنْهُ مَا

(١) « سنن النسائي » (٦١/٦) .

(٢) « سنن النسائي » (٦٩/٦) .

(٣) « سنن ابن ماجه » (٥٩٢/١) .

(٤) الحشر : (٧) .

(٥) الأحزاب : (٣٦) .

استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا^(١) .

والصوفية وقفوا من هذه الآيات موقف الرفض لأنهم نهوا عن الزواج الذي أمر الله به ورسوله ولذا فهم يعتبرون عصاة مخالفين ولا أدرى كيف يزعم المتصوفة بأن بعد عن الزواج من أهم الطرق الموصلة إلى الله وأن الواقع فيه من أهم العقبات التي تحجز عن الوصول إلى ولاية الله والرسول قد أمر به فكيف تكون مخالفة الرسول موصلة إلى ولاية الله وطاعته مانعة من الوصول إلى ولاية الله؟ إن هذا لإفك مبين وبهتان واضح ما أقدم عليه المتصوفة إلا لتدمير الأمة الإسلامية وإضعافها وذلك لأن قلة الإقبال على الزواج يتبع عنه وجود عوائض كثيرة ويؤدي إلى تقليل الأمة أيضاً إلى جانب ما يسببه من انتشار الانحلال والفساد الخلقي .

القسم الثالث : من لا شهوة له إما لأنه لم يخلق له شهوة كالعنين أو كانت له شهوة فذهبت بكبر أو مرض ونحوه ففيه وجهان .

أحدهما : أنه يستحب له النكاح لعموم الأدلة المتقدمة الأمرة بالزواج .

والثاني : التخلّي عن النكاح أفضل لأنّه لا يحصل مصالح النكاح ويمنع زوجته من التحضر ويسرّ بها بحسبها على نفسه ويعرض نفسه لواجبات وحقوق لعله لا يتمكن من القيام بها ويشتغل عن العلم والعبادة بما لا فائدة فيه والأخبار تحمل على من له شهوة لما فيها من القرائن الدالة عليها^(٢) .

وقال ابن دقيق العيد وهو يتحدث عن أحكام النكاح :

(١) «سنن ابن ماجه» (٣/١) .

(٢) «المغني» لابن قدامة (٤٤٦ - ٤٤٧) وكذلك «زاد المستقنع» (ص ٦٠ - ٦١) .

« قسم الفقهاء النكاح إلى الأحكام الخمسة وجعل الوجوب فيما إذا خاف العنت وقدر على النكاح وتعذر التسرىي وكذا حکاه القرطبي عن بعض علمائهم وهو المازري قال : فالوجوب في حق من لا ينکف عن الزنا إلا به كما تقدم .

قال : والتحريم في حق من يخل بالزوجة في الوطء والإنفاق مع قدرته عليه وتوقارنه إليه .

والاستحباب فيما إذا حصل به معنى مقصود من كثرة الشهوة وإعفاف نفس وتحصين فرج ونحو ذلك^(١) .

والإباحة فيما انتفت الدواعي والموانع^(١) .

وقال الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى :

وقد قسم العلماء الرجل في التزویج إلى أقسام :

الأول : التائق إليه القادر على موئنة الخائف على نفسه فهذا يندب له النكاح عند الجميع وزاد الحنابلة في رواية : أنه يجب وبذلك قال أبو عوانة الاسفرايني من الشافعية وصرح به في صحيحه وهو قول داود وأتباعه .

وقال المازري

« الذي نطق به مذهب مالك أنه مندوب وقد يجب عندنا في حق من لا ينکف عن الزنا إلا به » .

وقال القرطبي :

« المستطيع الذي يخاف الضرر على نفسه ودينه من العزویة بحيث لا يرتفع عنه ذلك إلا بالتزویج لا يختلف في وجوب التزویج عليه »^(٢) .

(١) « فتح الباري » لابن حجر العسقلاني (١١١/٩) .

(٢) « فتح الباري » لابن حجر العسقلاني (١١٠/٩) .

وقال القاضي عياض وهو يتحدث عن أحكام النكاح :

« النكاح مندوب في حق كل من يرجى منه النسل ولو لم يكن له في الوطء شهوة وكذا في حق من له رغبة في نوع من الاستمتاع بالنساء غير الوطء فاما من لا نسل له ولا أرب له في النساء ولا في الاستمتاع فهذا مباح في حقه إذا علمت المرأة بذلك ورضيت »^(١).

وقال أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي :

« النكاح فرض على كل قادر على الوطء إن وجد من أين يتزوج أو يتسرى أن يفعل أحدهما ولابد فإن عجز عن ذلك فليكثر من الصوم ».

وقد استدل ابن حزم بقوله عليه السلام : « يا معشر الشباب من استطاع منكم البقاء فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »^(٢).

وقال الإمام الشافعي :

« وأحب للرجل والمرأة إذا تاقت أنفسهما إليه أن يتزوجا لأن الله تعالى أمر به ورضيه وندب إليه وبلغنا أن النبي صلوات الله عليه قال : « تناكحوا تكثروا فإني أباهمي بكم الأمم حتى بالسقوط وأنه قال : من أحب فطرتي فليستن بستي ومن سنتي النكاح »^(٣).

قلت : والذي أراه راجحًا من أقوال العلماء هو أن النكاح واجب على كل قادر عليه ويخشى الوقوع في الزنا إن لم يتزوج وذلك للأدلة الواردة في الأمر بالنكاح ولأن وقوعه في الزنا لا قدر الله يعتبر معصية ولا يمكن الوقاية

(١) « نيل الأوطار » للشوكاني (٦/١١٨).

(٢) سبق تخرجه انظر « المحلى » لابن حزم (٩/٤٤٠) انظر (ص ٨٢٣).

(٣) مختصر إسماعيل بن يحيى المزنبي بهامش كتاب « الأم » للشافعي (ص ٢٥٥).

من هذه المعصية إلا بالزواج وما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وأما الذي لا يخشى الوقوع في الزنا مع وجود الشهوة فيه وتوقعه للنساء فإنه عليه أن يتزوج أيضاً تنفيذاً لأمر الرسول وتطبيقاً لسته وتكثيراً للأمة فإن الرسول ﷺ حث على الزواج ورغم فيه فينبغي الحرص على إتيان السنة بقدر الإمكان.

وأما الذي لا يقدر على النكاح بأن يكون لا شهوة له نهائياً فهذا لا يجوز أن يتزوج لأنه لا يستطيع أن يقوم بحقها ومن أهم حقوقها الوطء وهو عاجز عنه إلا إذا كانت المرأة على علم به قبل الزواج ورضيت به فحينئذ لا مانع.

وأما قول ابن حزم بفرضية الزواج فهذا مرجوح ولو كان كذلك لكان فرض عين على كل شخص وأثم بتركه كل من لم يتزوج على الإطلاق وهذا لم يقل به غيره من العلماء فقد انتقل كثير من العلماء الكبار من هذه الدنيا ولم يتزوج.

هل الأفضل النكاح أم التفرغ لعبادة الله؟ :

لقد اختلف العلماء في المفاضلة بين النكاح والتفرغ للعبادة.

فممن ذهب إلى أفضلية التفرغ للعبادة على النكاح الإمام الشافعي فقد قال رحمة الله :

« التخلّي للعبادة أفضل لأن الله تعالى مدح يحيى عليه السلام فقال : « وَسِيداً وَحَصُوراً وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ » والحضرور الذي لا يأتي النساء فلو كان النكاح أفضل لما مدح بتركه وقال تعالى : « زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ

النساء والبنين والقناطير المُقْنَطِرَةِ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ .

وهذا في معرض النزد ولأنه عقد معاوضة فكان الاشتغال بالعبادة أفضل منه كالبيع ^(١) .

وممن ذهب إلى أن النكاح أفضل من الاشتغال بعبادة الله الحنابلة وقد قال ابن قدامة لكي يثبت بأن النكاح أفضل من العزوبة والتفرغ لعبادة الله : « ولنا مما تقدم من أمر الله تعالى به رسوله وحثهما عليه .

وقال عليه السلام : « ولكنني أصوم وأفتر وأصلي وأرقد وأنزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » ^(٢) .

وقال سعد لقد رد عليه السلام على عثمان بن مظعون التبتل ولو أحله له لاختصينا ^(٣) .

وعن أنس قال كان النبي عليه السلام يأمرنا بالباء وينهى عن التبتل نهياً شديداً ويقول : « تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيمة » ^(٤) .

وهذا حث شديد على النكاح يقربه إلى الوجوب ووعيد شديد على تركه يقربه إلى التحرير ، ولو كان التخلص أفضل لأنعكس الأمر .

ولأن النبي عليه السلام تزوج وبالغ في العدد وفعل ذلك أصحابه ولا يستغل النبي عليه السلام إلا بالأفضل ولا يجتمع الصحابة على ترك الأفضل والاشغال

(١) « المغني » لابن قدامة (٤٤٧/٦) والأية الأولى آل عمران : (٣٩) والثانية آل عمران : (١٤).

(٢) سبق تخرجه انظر (ص ٨٢٦) .

(٣) سبق تخرجه انظر (ص ٨٢٦) .

(٤) سبق تخرجه انظر (ص ٨٢٥) .

بالأدنى ومن العجب أن من يفضل التخلی لم يفعله فكيف اجتمعوا على النکاح في فعله وخالفوه في فضله فما كان فيهم من يتبع الأفضل عنده ويعمل بالأدنى ولأن مصالح النکاح أكثر فإنه يشتمل على تحصين الدين وإحرازه وتحصين المرأة وحفظها والقيام بها وإيجاد النسل وتکثیر الأمة وتحقيق مباهة النبي ﷺ وغير ذلك من المصالح الراجح أحدها على نفل العبادة بمجموعها «^(١)».

وقال منصور بن يونس البهوي :

« وفعله مع الشهوة أفضلي من نوافل العبادات لاشتماله على مصالح كثيرة كتحصين فرجه وزوجته والقيام بها وتحصين النسل وتکثیر الأمة وتحقيق مباهة النبي وغير ذلك »^(٢).

وقال صاحب الروض الندى :

« والاشتغال بالنکاح مع الشهوة أفضلي من التفرغ لنفل عبادة لاشتماله على مصالح كثيرة من تحصين الفرج وتکثیر الأمة وتحقيق مباهاته عليه السلام وغير ذلك »^(٣).

وقال الإمام أحمد :

« ويسن مع شهوة النکاح لمن لم يخف الزنا وهو حينئذ أفضلي من تفرغ لنفل عبادة »^(٤).

(١) « المغني » لابن قدامة (٤٤٧/٦).

(٢) « زاد المستقنع » لمنصور بن يونس البهوي (ص ٦٠ - ٦١).

(٣) « الروض الندى شرح كاف المبتدى » (ص ٣٥).

(٤) « كاف المبتدى » للإمام أحمد (ص ١٤٩).

والراجح في نظري والله أعلم هو ما ذهب إليه الحنابلة من أن الاشتغال بالنكاح أفضل من التفرغ الكامل لنوافل العبادات وذلك للأمور الآتية :

أولاً : النكاح أمر به الرسول ﷺ في سنته وحث عليه ورغم فيه أشد الترغيب ولأن الزواج لا يكون عائقاً لمن أراد أن يقوم بنوافل العبادات فلا تناقض بينهما ولا تعارض ولأن الاشتغال بالنكاح والعمل والكدر لأجل الحصول على الرزق الذي ينفقه الإنسان أيضاً عبادة ولأن الأدلة التي ذكرها الحنابلة قوية جداً وهي نص في محل النزاع بينما الأدلة التي استدل بها مخالفوهم ما هي إلا أدلة عامة ليست نصاً في محل النزاع .

ولأن النبي ﷺ لم يقر الذين أتوا إلى بيته لسؤاله عن عبادته فلما أخبروا بها رأوها قليلة فنذر أحدهم أن يصلبي كل الليل ونذر الآخر أن يصوم كل الدهر ونذر الآخر أن يعتزل النساء ولا يتزوج فالرسول ﷺ لم يقرهم على هذا بل نهاهم عنه ولو كان التفرغ للعبادة أفضل من النكاح لما نهاهم الرسول عن فعلهم هذا بل لأقرهم عليه وهذا نص الحديث .

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه بأنه جاء ثلاثة رهط إلى بيت النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالواها وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلي الليل أبداً وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر : أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أتمن الدين قلتكم كذا وكذا أما والله إني لأشاكم لكم وأتقاكم له لكنني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن ستي فليس مني »^(١) .

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (٩/٤٠) .

قال الإمام ابن حجر رحمه الله في الفتح :

« المراد بالسنة في قوله ﷺ : « فمن رغب عن سنتي فليس مني » المراد بالسنة هنا الطريقة لا التي تقابل الفرض والرغبة عن الشيء لا الإعراض عنه إلى غيره .

والمراد من ترك طريقي وأخذ بطريق غيري فليس مني ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى وقد عابهم بأنهم ما وفوه بما التزموا وطريقة النبي ﷺ الحنفية السمحاة فيفطر ليتقوى على الصوم وينام ليتقوى على القيام ويتزوج ليكسر الشهوة واعفاف النفس وتكتير النسل .

وقوله ﷺ : « فليس مني » إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه فمعنى « فليس مني » أي على طريقتي ولا يلزم أن يخرج عن الملة . وإن كان إعراضًا وتنطعًا يفضي إلى اعتقاد أرجحية عمله فمعنى « فليس مني » ليس على مليٍ لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر .

ثم قال : « وفي الحديث دلالة على فضل النكاح والترغيب فيه وفيه تتبع أحوال الأكابر للتأسي بأفعالهم وأنه إذا تعذر معرفته من الرجال جاز استكشافه من النساء وأن من عزم على عمل واحتاج إلى إظهاره حيث يأمن الرياء لم يكن ذلك ممنوعاً »^(١) .

وقال الطبرى وهو يتحدث عن الأحكام المستفادة من هذا الحديث :

« فيه رد على من منع استعمال الحال من الأطعمة والملابس وأثر

(١) فتح الباري ، ٩/١٠٥ .

غليظ الثياب وخشن المأكل »^(١) .

والخلاصة أن ترك الزواج بقصد الزهد فيه ليس زهداً مشروعًا بل هو زهد مبتدع وما دام مبتدعًا فليس فيه خير بل هو ضلال مبين لأن كل البدع الدينية ضلاله كما قال الرسول ﷺ : « كل بدعة ضلاله وكل ضلالة في النار »^(٢) .

وما دام كل ضلاله في النار وأن كل بدعة على الإطلاق بدون استثناء ضلاله فإن ترك الزواج والبعد عنه ما هو إلا ضلال لا يوصل صاحبه إلا إلى بعد عن الله لأنه مخالفة لما شرعه الله وأمر به رسوله محمد ﷺ ولا يمكن محاداة الله ورسوله أن تكون موصلة إلى ولادة الله بأي حال من الأحوال ولهذا فزعم المتصوفة أن بعد عن الزواج والهروب عنه من الطرق الموصلة إلى الله ما هو إلا زعم باطل وخیال فاسد أتوا به من عند أنفسهم متأثرين برهبان النصارى الذين يتبعدون عن الزواج الرسمي ويمارسون كل أنواع الدعاارة في معابدهم الشركية فكذلك الصوفية يهربون عن الزواج وينفرون عنه الناس ثم يمارسون أنواع الفواحش في خوانقهم ومشاهدهم المنصوبة على القبور مع المردان .

وقد ذكر الإمام ابن الجوزي حكايات كثيرة ثبتت بأن المتصوفة بالفعل ابتلوا بحب المرد وعشقهم ومصاحبتهم وذلك بعد أن أعرضوا عما شرعه الله وهو قضاء الشهوة بطريقه مشروعة وذلك بأن يتزوج الإنسان على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

(١) « فتح الباري » (٩/٦١) .

(٢) « سنن النسائي » (٣/٥٣) .

وإليك نماذج من هذه الحكايات حتى تعرف جيداً بأن كل من يحرم ما
أحل الله من الطيبات لابد وأن يقع فيما حرم الله من الخبائث

قال الإمام ابن كثير :

« أعلم أن أكثر الصوفية المتصوفة قد سدوا على أنفسهم بباب النظر إلى النساء الأجانب لبعدهم عن مصاحبتهن وامتناعهم عن مخالطتهن واشتغلوا بالتعبد عن النكاح واتفقت صحبة الأحداث لهم على وجه الإرادة وقصدوا الزهادة فأمالهم إيليس إليهم »^(١).

وذكر ابن الجوزي عن عبد الله بن الزبير الحنفي أنه قال : كنت جالساً مع أبي النضر الغنوبي وكان من المبرزين العابدين فنظر إلى غلام جميل فلم تزل عيناه واقعتين عليه حتى دنا منه فقال سألك بالله السميع وعزه الرفيع وسلطانه المنيع إلا وقفت على أروى من النظر إليك فوقف قليلاً ثم ذهب ليمض فقال له : سألك بالحليم المجيد الكريم المبدى المعيد إلا ما وقفت فوقف ساعة فأقبل يصعد النظر إليه ويصوبه ثم ذهب ليمض فقال : سألك بالواحد الأحد الجبار الصمد الذي لم يلد ولم يولد إلا وقفت ساعة فوقف ساعة فنظر إليه طويلاً ثم ذهب ليمض فقال : سألك باللطيف الخبر السميع البصير وبمن ليس له نظير إلا وقفت فوقف فأقبل ينظر إليه ثم أطرق رأسه إلى الأرض ومضى الغلام فرفع رأسه بعد وقت طويلاً وهو يبكي فقال قد ذكرني هذا بنظري إليه وجهاً جل عن التشبيه وتقدس عن التمثيل وتعظم عن التحديد والله لا مجهدن نفسي في بلوغ رضاه بمجاهدتي جميع أعدائه ومولائي لأولئك حتى أصير إلى ما أردته من نظري إلى وجهه الكريم وبهائه

(١) « تشخيص إيليس » لابن الجوزي (ص ٢٧٤).

العظيم ولو ددت أنه قد أراني وجهه وحبسي في النار ما دامت السماوات
والأرض ثم غشي عليه^(١).

وذكر ابن الجوزي أيضاً أن خير النساج قال :

« كنت مع محارب بن حسان الصوفي في مسجد الخيف ونحن
محرمون فجلس إلينا غلام جميل من أهل المغرب فرأيت محارباً ينظر إليه
نظراً أنكرته فقلت له بعد أن قام : إنك محرم في شهر حرام في بلد حرام في
مشعر حرام وقد رأيتك تنظر إلى هذا الغلام نظراً لا ينظره إلا المفتونون .
فقال لي : تقول هذا يا شهوانى القلب والطرف ألم تعلم أنه قد منعني من
الوقوع في شرك إبليس ثلاث . فقلت : وما هي ؟ قال : سر الإيمان وعفة
الإسلام وأعظمها الحباء من الله تعالى أن يطلع علىي وأنا جائم على منكر
نهاني عنه ثم صعق حتى اجتمع الناس علينا »^(٢).

ثم قال الإمام ابن الجوزي بعد ذكره هاتين الحكايتين :

« قلت : انظروا إلى جهل الأحمق الأول ورمزه إلى التشبيه وإن تلفظ
بالتنزيه وإلى حمامة هذا الثاني الذي ظن أن المعصية هي الفاحشة فقط وما
علم أن نفس النظر بشهوة يحرم ومحا عن نفسه أثر الطبع بدعواه التي تلذ بها
شهوة النظر ».

ثم قال ابن الجوزي :

« وقد حدثني بعض العلماء أن صبياً أمرد حكى له قال : قال لي فلان
الصوفي وهو يحيبني : يا بني لله فيك إقبال والتفات حيث جعل حاجتي إليك ».

(١) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص ٢٦٦).

(٢) نفس المرجع (ص ٢٦٧).

وحكى أن جماعة من الصوفية دخلوا على أحمد الغزالى وعنه أمرد وهو حال به وبينهما ورد وهو ينظر إلى الورد تارة وإلى الأمرد تارة فلما جلسوا قال بعضهم : لعلنا كدرنا ، فقال : إِي وَاللَّهِ فَتَصَايِحُ الْجَمَاعَةُ عَلَى سَبِيلِ التَّوَاجِدِ .

وحكى أبو الحسين بن يوسف أنه كتب إليه في رقعة إنك تحب غلامك التركي فقرأ الرقعة ثم استدعى فصعد إليه النظر فقبله بين عينيه وقال هذا جواب الرقعة .

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله بعد ذكره لهذه الحكاية الأخيرة : « إنني لا أعجب من فعل هذا لرجل وإلقائه جلباب الحياة عن وجهه وإنما أتعجب من البهائم الحاضرين كيف سكتوا عن الإنكار عليه ولكن الشريعة بردت في قلوب كثير من الناس »^(١) .

وقال ابن الجوزي أيضاً :

« وبلغني عن هذه الطائفة التي تسمع السمع أنها تضيف إليه النظر إلى وجه الأمرد وربما زيتها بالحلبي والمصبغات من الثياب والحواشي وتزعم أنها تقصد به الأزدياد في الإيمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة على الصانع وهذه النهاية في متابعة الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم قال الله تعالى : ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبَصِّرُونَ﴾^(٢) .

وقال : ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^(٣) .

(١) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص ٢٦٧ - ٢٦٨) .

(٢) الذاريات : (٢١) .

(٣) الغاشية : (١٧) .

وقال : «أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»^(١) .

فعدلوا عما أمرهم اللَّهُ به من الاعتبار إلى ما نهاهم عنه وإنما تفعل هذه الطائفة ما ذكرناه بعد تناول الألوان الطيبة والشهية فإذا استوفت منها نفوسهم طالبهم بما يتبعها من السمع والرقص والاستمتاع بالنظر إلى وجوه المرد ولو أنهم تقللوا من الطعام لم يحنوا إلى سمع ونظر^(٢) .

ونقل ابن الجوزي عن أبي حمزة الصوفي قال :

«كان عبد اللَّه بن موسى من رؤساء الصوفية ووجوههم فنظر إلى غلام حسن في بعض الأسواق فبلي به وكاد يذهب عقله عليه صباة وحجاً وكان يقف كل يوم في طريقه حتى يراه إذا أقبل وإذا انصرف فطال به البلاء وأقعده عن الحركة الضنا وكان لا يقدر أن يمشي خطوة فأتيته يوماً لأعوده فقلت : يا أبا محمد ما قصتك وما هذا الأمر الذي بلغ بك ما أرى؟ فقال : أمور امتحنتي اللَّه بها فلم أصبر على البلاء فيها ولم يكن لي بها طاقة ورب ذنب يستصغر هو عند اللَّه أعظم من كبير وحقيقة بمن تعرض للنظر الحرام أن تطول به الأقسام»^(٣) .

ونقل عن أبي حمزة أيضاً أنه قال :

«نظر محمد بن عبد اللَّه بن الأشعث الدمشقي ، وكان من خيار عباد اللَّه إلى غلام جميل فغشى عليه فحمل إلى منزله واعتداده السقم حتى أقعد من رجليه وكان لا يقوم عليهما زماناً طويلاً فكنا نأته نعوده ونسأله عن حاله

(١) الأعراف : (١٨٥) .

(٢) «تلييس إيليس» (ص ٢٦٨) .

(٣) نفس المرجع (ص ٢٧١) .

وأمره وكان لا يخبرنا بقصة ولا سبب مرضه وكان الناس يتحدثون بحديث نظره فبلغ ذلك الغلام فأتاها عائذ فهش إليه وتحرك وضحك في وجهه واستبشر برؤيته فما زال يعوده حتى قام على رجليه وعاد إلى حاليه فسألته الغلام يوماً أن يسير معه إلى منزله فأبى أن يفعل فسألني أن أسأله أن يتحول إليه فسألته فأبى أن يفعل ذلك فقلت للشيخ : وما الذي تكره من ذلك فقال : لست بمعصوم من البلاء ولا آمن من الفتنة وأخاف أن يقع علي من الشيطان محنـة فتجري بيـني وبينـه معصـية فأكون من الخـاسـرين »^(١) .

وقال ابن الجوزي وهو يتحدث عن المتصوفة الذين ابتلوا بمصاحبة الغلمان المرد وحبهم وعشقهم :

« ومنهم من فرق بينه وبين حبيبه فقتل حبيبه . بلغني عن بعض الصوفية أنه كان في رباط عندنا ببغداد ومعه صبي في البيت الذي هو فيه فشنعوا عليه وفرقوا بينهما فدخل الصوفي إلى الصبي ومعه سكين فقتله وجلس عنده يبكي فجاء أهل الرباط فرأوه فسألوه عن الحال فأقر بقتل الصبي فرفعوه إلى صاحب الشرطة فأقر فجاء والد الصبي يبكي فجلس الصوفي يبكي ويقول له : بالله عليك إلا ما أخذتني به ، فقال : الآن قد عفوت عنك فقام الصوفي إلى قبر الصبي فجعل يبكي عليه ثم لم يزل يحج عن الصبي ويهدى له الثواب »^(٢) .

وقال ابن الجوزي أيضاً :

« ومن هؤلاء من قارب الفتنة فوقع فيها ولم تنفعه دعوى الصبر

(١) « تلبيس إيليس » (ص ٢٧٢) .

(٢) نفس المرجع (ص ٢٧٢) .

والمجاهدة وقد نقل ابن الجوزي هذه الحكاية عن إدريس بن إدريس قال : حضرت بمصر قوماً من الصوفية . ولهم غلام أمرد يغنيهم قال : فغلب على رجل منهم أمره فلم يدر ما يصنع فقال : يا هذا ، قل : لا إله إلا الله ، فقال الغلام : لا إله إلا الله ، فقال : أقبل الفم الذي قال لا إله إلا الله «^(١) » .

وذكر ابن الجوزي أيضاً عن ابن الحسين أنه قال :

« كل ما رأيتمني أفعله فافعلوه إلا صحبة الأحداث فإنها أقتن الفتنة ولقد عاهدت ربى أكثر من مائة مرة أن لا أصحب حدثاً ففسخها علي حسن الخدود وقام القددود وغنج العيون وما سألني الله معهم عن معصية » «^(٢) » .

قال ابن الجوزي بعد هذه الحكاية :

« قلت : هذا الرجل قد فضح نفسه في شيء ستره الله عليه وأخبر أنه كلما رأى فتنة نقض التوبة فأين عزائم التصوف في حمل النفس على المشاق ؟ ثم ظن بجهله أن هي الفاحشة فقط ولو كان له علم لعلم أن صحبتهم والنظر إليهم معصية فانظر إلى الجهل كيف يصنع بأربابه » «^(٣) » .

فهذه الحكايات التي ذكرها ابن الجوزي عن المتصوفة تثبت لنا إثباتاً مؤكداً بأن المتصوفة بالفعل بعد أن ابتعدوا عن الزواج ونفروا عنه مردديهم اتجهوا إلى وجهة أخرى ألا وهي صحبة المردان والأحداث وابتلوا بهم كما هو واضح في الحكايات التي سبق ذكرها وهكذا فالصوفية فروا من شيء أحله الله فوقعوا فيما حرم الله فجمعوا بين تحريم الحلال وتحليل الحرام .

(١) « تلبيس إيليس » (ص ٢٧٣) .

(٢) نفس المراجع (ص ٢٧٣) .

(٣) نفس المراجع (ص ٢٧٣) .

ولو كان لهم شيء من العلم بالكتاب والسنّة لما وقعوا في هذه المتأهّات وتبخّطوا في هذا الظلام الحالك من الجهل الفاضح .

فالله سبحانه وتعالى قد أمر المؤمنين والمؤمنات بغض الأبصار عن كل ما يسبب الفتنة سواء كان امرأة أو شاباً أو أمراً يخاف من النظر إليه الوقوع في الفتنة قال تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُبْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾^(٢) .

وهذا أمر عام بغض النظر عن كل شيء يخاف منه الفتنة .

وقد ورد الشرع بالنهي عن مجالسة المردان وأوصى العلماء بذلك فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجالسو أبناء الملوك فإن النفوس تشتاق إليهم ما لا تشتاق إليه الجواري العواتق »^(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : « لا تملئوا أعينكم من أولاد الملوك فإن لهم فتنة أشد من فتنة العذاري »^(٤) .

وعن الشعبي قال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ وفيهم غلام أمراً ظاهر الوضاء فأجلسه النبي ﷺ وراء ظهره^(٥) .

(١) النور : (٣٠) .

(٢) النور : (٣١) .

(٣) « تلبيس إيلليس » لابن الجوزي (ص ٢٧٤) .

(٤) نفس المرجع (ص ٢٧٤) .

(٥) نفس المرجع (ص ٢٧٤) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : نَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْ يَمْدُدَ الرَّجُلَ النَّاظِرَ إِلَى الْغَلامِ الْأَمْرَدَ^(١) .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابَ :

« مَا أَتَى عَلَى عَالَمٍ مِنْ سَبْعَ ضَارِّ أَخْوَفَ عَلَيْهِ مِنْ غَلامَ أَمْرَدَ » .

وَقَالَ أَيْضًا :

« لَا تَجَالِسُوا أَوْلَادَ الْأَغْنِيَاءَ فَإِنْ لَهُمْ صُورًا كَصُورِ النِّسَاءِ وَهُمْ أَشَدُ فَتْنَةً مِنَ الْعَذَارِيِّ »^(٢) .

وَقَالَ ابْنُ مَعْنَى :

« مَا طَمَعَ أَمْرَدَ بِصَحْبِتِي »^(٣) .

* * *

(١) « تَلَيْسِ إِبْلِيسُ » لِابْنِ الْجُوزِيِّ (ص ٢٧٤) .

(٢) نَفْسُ الْمَرْجَعِ (ص ٢٧٤) .

(٣) نَفْسُ الْمَرْجَعِ (ص ٢٧٥) .



الفصل الثاني

انحرافهم في مفهوم الجهاد مع ذكر نماذج من
مواقفهم من أعداء الأمة الإسلامية عبر التاريخ

وتحته مباحثان :

المبحث الأول : مكانة الجهاد في سبيل الله في
الإسلام.

المبحث الثاني : انحرافهم في مفهوم الجهاد
وموقفهم من أعداء الأمة
الإسلامية عبر التاريخ .

الفصل الثاني

انحرافهم في مفهوم الجهاد مع ذكر نماذج من
مواقفهم من أعداء الأمة الإسلامية عبر التاريخ

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : مكانة الجهاد في سبيل الله في
الإسلام.

المبحث الثاني : انحرافهم في مفهوم الجهاد
وموقفهم من أعداء الأمة
الإسلامية عبر التاريخ .



المبحث الأول

مكانة الجهاد في سبيل الله في الإسلام

نمهيد :

يعتبر الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى وكبح جماح الكافرين والملحدين من الفرائض التي فرضها الله على الأمة الإسلامية وذلك حتى يكون الطريق ممهدًا لنشر الدعوة الإسلامية وحتى يعطي الكفرا الجزية عن يد وهم صاغرون وقد أمر الله بالجهاد في سبيله في آيات كثيرة من كتابه ومنها قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَاهُمْ بِجَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدْلُكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٢) تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿﴾^(٣).

وقوله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٤).

وقوله تعالى : ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حِيثُ وَجَدُّوكُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ

(١) التحرير : (٩).

(٢) الصف : (١٠ - ١١).

(٣) التوبية : (٣٦).

وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ .

وقوله تعالى : ﴿اَنفَرُوا خَفَافًا وَثَقَالًا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢﴾ .

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قاتَلُوا الَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِّنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيْكُمْ غُلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣﴾ .

وقوله تعالى : ﴿قَاتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعَطُوا الْجِزِيَّةَ عَنْ يَدِهِمْ صَاغِرُونَ﴾ ﴿٤﴾ .

فالآيات المتقدمة كلها تدل على مكانة الجهاد العظيمة في الإسلام وأنه من الأشياء التي أمر الله بها عباده المؤمنين وذلك لأن بالجهاد يتم فتح الطريق أمام الدعاة إلى الله لنشر دعوة الحق في هذه المعمورة لإخراج الناس من ظلمات الكفر والشرك والإلحاد والوثنية إلى نور الإسلام ولذا فقد كان الجهاد قائماً منذ أن فرضه الله تعالى على هذه الأمة حيث كان الخلفاء يجيشون الجيوش ويبعثونها لفتح البلاد التي يسيطر عليها الطغاة وما أن وضعوا الأمة سيف الجهاد حتى أصيخت بالذل والهوان فأصبحت يلعب بها أعداؤها من الكفرا والملاحدة والوثنيين حيث إننا لو شاهدنا أحوال الأمة الإسلامية اليوم فإننا نراه من أسوأ الأحوال حيث تعيش في واقع مرير يكاد

(١) التوبه : (٥) .

(٢) التوبه : (٤١) .

(٣) التوبه : (١٢٣) .

(٤) التوبه : (٢٩) .

الإنسان يتقطع قلبه حينما يفكر في حال الأمة الإسلامية المعاصر وهو في الحقيقة واقع لا تحسد عليه ولا يمكن أن تكون هذه الأمة عزيزة قوية إلا إذا رجعت إلى كتاب ربها وسنة نبيها وأخذت منها دينها الصحيح ورفعت راية الجهاد في سبيل الله فإذا فعلت ذلك فإن السيطرة في هذا الكون والهيمنة تكون لها إن شاء الله وذلك لأن الله وعد عباده المؤمنين بأن يستخلفهم في الأرض فقال تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ دِينُهُمُ الَّذِي أَرْتَضَى لَهُمْ وَلَيَسْتَدِلُّنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾^(١).

والله سبحانه وتعالى لا يخلف وعده ولكن لما كانت الأمة لم تتوفر فيها الشروط لم تكن أهلاً لهذا الاستخلاف فأصبحت ذليلة حقيرة حيث إن دم المسلم وقتله في عالمنا المعاصر يعتبر من أرخص الدم حيث إن المسلمين في العالم يبادون بالآلاف المؤلفة ولا تسمع في الإذاعات العالمية أي استنكار بينما لو قتل كافر واحد أو وثني أو يهودي تسمع إذاعات العالم تصريح وتستنكر بشدة ويقيمون الدنيا ويقدعونها وهذا شيء واضح وواقع مشاهد لا يحتاج إلى سرد الأدلة لإثباته .

وبما أن موضوع الجهاد موضوع طويل وعربيض أريد أن أختصر الكلام عنه في العناصر الآتية وهي :

تعريفه ، وحكمه ، وفضله فقط ، وذلك خشية الإطالة لأننا إذا أردنا أن نتكلم عن الجهاد في سبيل الله بجميع جوانبه فإننا نحتاج إلى تأليف كتاب مستقل وبعد هذا التمهيد البسيط نشرع في الموضوع فنقول :

(١) النور : (٥٥)

المطلب الأول

تعريف الجهاد وحكمه

أولاً : تعريف الجهاد :

١- الجهاد لغة :

قال الراغب الأصبهاني في تعريف الجهاد في اللغة : «الجهاد والجهد الطاقة والمشقة وقيل الجهد بالفتح المشقة ، والجهاد الوسع »^(١).

وقال الفيروز أبادي في تعريف الجهاد : « مصيره من الجهد بالفتح والضم وهو الطاقة والمشقة وقيل بالفتح المشقة وبالضم الوسع ، وقيل الجهد ما يجده الإنسان »^(٢).

وقال الإمام ابن حجر :

« والجهاد بكسر الجيم أصله لغة المشقة »^(٣).

وقال الشيخ مصطفى السيوطي :

« الجهاد مصدر جاهد جهاداً ومجاهدة إذا بالغ في قتل عدوه »^(٤).

٢- وأما تعريف الجهاد شرعاً :

فقد عرفه العلماء بتعريفات كثيرة وأكثرها تدور عند أغلب الفقهاء من

(١) « المفردات في غريب القرآن » للراغب الأصبهاني (ص ١٠١).

(٢) « بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز » (٤٠١/٢).

(٣) « فتح الباري » (٦/٣).

(٤) « مطالب أولي النهى » (٤٩٧/٢).

أهل المذاهب على مجاهدة الكفار لإعلاء كلمة الله ، وإليك بعض هذه التعريفات :

أولاً : تعريف الأحناف للجهاد :

لقد عرف الحنفية الجهاد بأنه هو :

« بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك والمبالغة في ذلك ^(١) .

وقد عرفوه أيضاً بأنه :

« الدعاء إلى الدين الحق وقتل من لم يقبله » ^(٢) .

هذا فيما يتعلق بتعريف الحنفية للجهاد شرعاً .

ثانياً : تعريف المالكية للجهاد شرعاً :

لقد عرف المالكية الجهاد بأنه :

« قتال مسلم كافراً غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله تعالى » ^(٣) .

ثالثاً : تعريف الشافعية للجهاد :

لقد عرف الشافعية الجهاد بأنه :

« بذل الجهد في قتال الكفار » كما قال ابن حجر في تعريفه :

« وشرعًا بذل الجهد في قتال الكفار » ^(٤) .

(١) « بدائع الصنائع » للكاساني (٤٢٩٩/٩) ط مطبعة الإمام ١٣ شارع محمد كريم بالقلعة القاهرة .

(٢) « حاشية الدر المختار » لابن عابدين (١٢١/٤) وانظر أيضًا : « فتح القدير » مع الشرح (٤٣٧/٥) .

(٣) « الشرح الصغير على أقرب المسالك » للدرديرى (٢٦٧/٢) .

(٤) « فتح الباري » لابن حجر (٣/٦) .

رابعاً : تعريفات الحنابلة للجهاد :

لقد عرف الحنابلة الجهاد بأنه :

« وشرعًا قتال الكفار »^(١) .

قلت : والتعريفات الشرعية السابقة كلها متحدة وليس هناك بينها كبير اختلاف حيث اجتمعت كلها على أن معنى الجهاد في الشرع هو مقاتلة الكفار ومقارعتهم وانفرد الأحناف في تعريف الجهاد شرعاً بذكر : « الدعاء إلى دين الحق » وهذا صحيح فإن مقاتلة الكفار قبل عرض الإسلام عليهم غير جائز بل لابد أولاً أن توجه إليهم الدعوة إلى الدخول في الإسلام فإن استجابوا لذلك فبها ونعمت وإن لم يستجيبوا يطلب منهم دفع الجزية لل المسلمين وفتح الأبواب لدعوة الإسلام حتى يخرج الناس من الظلمات إلى النور فإن أبووا الإسلام ودفع الجزية فحيثئذ وجب قتالهم وهذا وإن لم يذكره الفقهاء الآخرون في تعريفاتهم السابقة فإنهم حتماً يقولون به وذلك لأن نصوص القرآن والسنة دلت عليه وكذلك سيرة الرسول ﷺ والسلف الصالح ولعل عدم ذكره في التعريف الشرعي عند الفقهاء الذين لم يذكروه لوضوحه لأن القتال لا يكون إلا بعد الدعوة والامتناع عن قبولها .

وأشمل تعريف للجهاد شرعاً هو تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال رحمه الله في تعريف الجهاد في سبيل الله :

« والجهاد هو : بذل الوسع في حصول محبوب الحق ودفع ما يكرهه الحق » .

وقال في موضوع آخر : « وذلك لأن الجهاد حقيقة الاجتهاد في

(١) « المبدع » لابن مفلح (٣٠٧/٣) .

حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسق والعصيان «^(١)».

لو نظرنا إلى هذا التعريف فإننا نجده يشمل كل أنواع الجهاد التي يبذلها المسلم لطاعة ربه .

حيث يشتمل اجتهاده في طاعة ربه في نفسه بامثال أوامره واجتناب نواهيه واجتهاده في دعوة غيره لتلك الطاعة القريب والبعيد المسلم وغير المسلم واجتهاده في قتال الكفار لإعلاء كلمة الله وغير ذلك من أنواع الجهاد التي لا نستطيع أن نذكرها هنا .

ثانياً : حكم الجهاد في سبيل الله :

يعتبر الجهاد في سبيل الله من الأشياء التي فرضها الله تعالى على عباده المؤمنين قال تعالى : ﴿كُتبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهَةٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) .

وقد اختلف الفقهاء في حكم الجهاد هل هو فرض عين أم فرض كفاية وإليك آراؤهم باختصار :

فقد ذهب الأحناف والمالكية والمشهور من قول الإمام الشافعي رحمة الله والحنابلة إلى أن الجهاد فرض كفاية إلا إذا تعين ولا فرق في ذلك بين زمن الرسول ﷺ وغيره من الأزمان^(٣) .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٩١/١٠ - ١٩٢) .

(٢) البقرة : (٢١٦) .

(٣) انظر « حاشية الباجوري » (٢/٢٦١) و« فتح الباري » (٦/٣٧) .

واستدلوا :

أولاً : بقوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَئِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضْلًا اللَّهُ أَكْبَرُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرْجَةٌ وَكُلُّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾^(١).

ووجه الدلالة :

أن الله تعالى قد وعد كلاً من المجاهدين والقاعدین بالحسنى وهذا يدل على أن الجهاد ليس فرض عين وإنما هو فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقيين ولو كان فرضاً على كل واحد من الأمة بعينه كالصلوة والصوم لما فاضل بين الفعل والترك ولأنه وعد الجميع بالحسنى فدل هذا على أن الجهاد ليس بفرض عين وإنما هو فرض كفاية^(٢).

ثانياً : استدلوا بقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لَيَنفِرُوا كَافَةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلَيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٣).

ووجه الدلالة :

أن هذه الآية تدل على أن الجهاد ليس فرض عين وإنما هو فرض كفاية

= و «تحفة المحتاج» (٢١٢/٩) و «عقد الفرائد» للمقدسي (١٩١/١) و «الإفصاح عن معاني الصاحب» (٤٢٩/٢).

(١) النساء : (٩٥).

(٢) انظر «أسنى المطالب» (١٧٥/٤)، و «فيض الإله المالك» (٣٠٦/٢) و «معنى المحتاج» (٢٠٩/٤)، و «المجموع» (٤٨/١٨).

(٣) التوبية : (١٢٢).

لأنه لو كان فرض عين لوجب على جميع إلّا مة النّفير للجهاد .

وقد كان الرسول ﷺ يبعث السرايا ويقيم هو وسائر أصحابه في المدينة المنورة^(١) .

ثالثاً : استدلوا بما رُوي عن زيد بن خالد أن رسول الله ﷺ قال : «من جهز غازياً فقد غزا ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا»^(٢) .

وأخرج ابن ماجه عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من جهز غازياً حتى يستقل كان له مثل أجره حتى يموت أو يرجع»^(٣) .

وجه الاستدلال بهذين الحديدين :

أن الوعد المذكور فيهما ألا وهو لحقوق الأجر بالقاعد كما يلحق الغازي مرتب على تمام التجهيز وهو المراد بقوله : «حتى يستقل» وأنه يستوي معه في الأجر إلى أن تنقض تلك الغزوة^(٤) .

فيدل الحديث على أن الغزو فرض على الكفاية إذا قام به البعض وإن لم يكونوا من أهل الجهاد وحصلت الكفاية بهم سقط الوجوب عن الباقيين .

رابعاً : استدلوا بما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث إلى بني لحيان وقال : «ليخرج من كل رجلين رجل» ثم قال للقاعدين : «أيكم خلف الخارج في أهله وما له بخير كان له مثل نصف أجر

(١) انظر « الأنوار لأعمال الأبرار » (٢/٥٣٦) و« تفسير القرطبي » (٨) و« فتح الباري »

(٦/٣٨) و« المغني » لابن قدامة (٨/٣٤٦) .

(٢) « صحيح البخاري مع فتح الباري » (٦/٤٩) .

(٣) « سنن ابن ماجه » (٢/٩٢١) .

(٤) انظر « فتح الباري » (٦/٥٠) و« نيل الأوطار » (٧/٢٤٧) .

الخارج » فلو جعل فرضًا على الأعيان لاشتغل الناس به عن العمارة وطلب المعاش^(١) .

ووجه الدلالة بهذا الحديث :

أن الرسول ﷺ أوجب الخروج على بعض الأمة بقوله : « ليخرج من كل رجلين رجل » فدل على أن الجهاد في هذه الحالة ليس عيناً وإنما كفائيًا.

وقال الأوزاعي وعطاء والشافعي في قول له :

« إن الجهاد مع النبي ﷺ فرض عين على أصحاب رسول الله ﷺ على القادر منهم وبعد الرسول ﷺ واستقرار الشرع فرض كفاية إذا لم يتعين »^(٢) .

وقال السهيلي :

« كان فرض عين على الأنصار دون غيرهم ويفيد ذلك مبادعة النبي ﷺ ليلة العقبة على أن يئوا رسول الله ﷺ وينصروه » .

وقال الماوردي :

« كان عيناً على المهاجرين دون غيرهم ويفيد وجوب الهجرة قبل الفتح في حق كل من أسلم إلى المدينة لنصر الإسلام » فيخرج من قولهما الماوردي والسهيلي أنه كان عيناً على الطائفتين كفاية في حق غيرهم^(٣) .

(١) انظر « المجمع » للنووي (٤٨/١٨) .

(٢) انظر « فتح الباري » (٦/٣٧) .

(٣) انظر « فتح الباري » (٦/٣٧) و « مغني المحتاج » (٤/٢٠٩) .

واستدلوا :

بقوله تعالى : ﴿اْنفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١).

ووجه الاستدلال بهذه الآية :

أن الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نخرج متأهبين أو غير متأهبين نشاطى وغير نشاطى رجالاً أو ركباناً ، وقال الأوزاعي : « رجالاً أو فرساناً »^(٢).

والامر في الآية الكريمة للوجوب حتى إن بعض الصحابة فهموا من هذا الأمر العموم في زمن الرسول ﷺ وبعده فلم يتخللوا عن الغزو حتى مات منهم : أبو أيوب الأنصاري والمقداد بن الأسود رضي الله عنهم^(٣).

واستدلوا أيضاً بقوله تعالى : ﴿كُتُبَ عَلَيْكُمُ الْقَتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤).

ووجه الاستدلال بهذه الآية :

أن الله تعالى فرض القتال على أصحاب الرسول ﷺ في زمنه ومن كان يتخلل ويقيم في المدينة إنما كان يقوم بأعمال الحراسة ومستلزمات المدينة وهو نوع من الجهاد^(٥).

(١) التوبة : (٤١).

(٢) انظر «فتح الباري» (٣٨/٦).

(٣) انظر «فتح الباري» (٣٨/٦).

(٤) البقرة : (٢١٦).

(٥) «معجم المحتاج» (٢٠٩/٤).

واستدلوا أيضاً بقوله تعالى : ﴿إِلَّا تَفْرُوْرُوا يُعذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ
قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾^(١).

فالوعيد بالعذاب لمن لم يخرج إلى الجهاد ، دليل على أنه فرض عين
لهذا مجمل أدلة فرض العين لدى أصحاب هذا القول .

واحتجوا بالأياتين المتقدم ذكرهما على فرض الكفاية بعد عهده عَلَيْهِ السَّلَامُ
وهما قوله تعالى : ﴿لَا يَسْتُوْيِ الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله : ﴿وَكُلُّا
وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾^(١) ويقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَةً...﴾
إلى قوله : ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٢) .

ووجه الاستدلال :

أن الله تعالى وعد كلاً من المجاهدين والقاعدin بالحسنى ويعني أن
القاعدin غير آئمين إذا جاهد غيرهم وإلا لما وعدهم بالحسنى .

والآية الثانية صريحة بعدم وجوب التفير على الجميع .

الرد على أصحاب هذا القول :

١ - للأدلة الواردة عند الجمهور التي توضح وتدل على أن القاعدin
غير آئمين مع جهاد غيرهم وهناك من الآيات التي تدل بصرامة على بقاء
طائفة وخروج أخرى للجهاد .

وأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يبعث السرايا ويقيم هو وسائل أصحابه .

(١) التوبة : (٣٩) .

(٢) النساء : (٩٥) .

(٣) التوبة : (١٢٢) .

أما الآية التي احتج بها أصحاب هذا القول :

﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : نسخها قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَةً﴾^(١).

وقد وافق ابن عباس على دعوى النسخ عكرمة والحسن البصري كما روى ذلك الطبرى عنهم .

وقال بعضهم : إن قوله تعالى : ﴿فَانْفَرُوا ثُبَاثٍ﴾ ناسخة لقوله تعالى : ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

وثبات جمع ثبة ومعناه جماعات متفرقة ويؤيد هذه قوله تعالى بعده : ﴿أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾ .

وقال الحافظ ابن حجر :

«والتحقيق أنه لا نسخ بل المرجع في الآيتين يعني هذه قوله تعالى : ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا﴾ مع قوله : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَةً﴾ تعين الإمام إلى الحاجة وهذا ما حصل مع الرسول ﷺ حتى استنفرهم إلى غزوة تبوك وكانت إجابتهم إلى ذلك واجبة عليهم ولذلك هجر النبي ﷺ كعب بن مالك وأصحابه الذين خلفوا حتى تاب الله عليهم بعد ذلك لذا يجب الجهاد على من استنفره الإمام لقول الرسول ﷺ : «إِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَانْفِرُوا»^(٢) .

وخلصة القول : أنه لا نسخ بل الرجوع في الآيتين إلى تعين الإمام

(١) «سنن أبي داود» (٤١٣/١١).

(٢) «صحيح البخاري» مع الفتح (٦/٣٧) وانظر في الموضوع «المغني» لابن قدامة

(٣٤٦/٨) و«فتح الباري» (٦/٣٨) و«نيل الأوطار» (٧/٢٤٢) و«بدائع الصنائع» (٧/٧).

وإلى الحاجة إلى ذلك وعليه فإن الجهاد فرض على الكفاية في زمانه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وبعده .

وقال سعيد بن المسيب : « الجهاد فرض على المستطاع مطلقاً »^(١) .

واستدل سعيد بن المسيب :

١ - بعموم قوله تعالى : ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الآية وبقوله تعالى : ﴿أَنْفِرُوا حِفَاً وَثِقَالًا﴾ الآية .

وبما روى عن أبي هريرة عن النبي بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أنه قال : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة نفاق »^(٢) .

فهذا الوعيد دليل على أن الجهاد فرض عين .

ويرد على ما قاله سعيد بن المسيب :

بأن هناك من الآيات القرآنية ما يدل على الفرض الكفائي في زمانه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وهو قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لَيَنْفِرُوا كَافَةً﴾ الآية وقوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَئِي الضرر﴾ الآية .

وقال ابن شبرمة والثوري وسحنون :

« إن الجهاد تطوع ولا يجب إلا في الحالات التي يتبعين فيها »^(٣) .

واستدلوا بقوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ الآية .

(١) انظر « رحمة الأمة في اختلاف الأئمة » (ص ٢٩٢) و« القوانين الفقهية » لابن جزي (ص ١٤٤) .

(٢) « سنن النسائي » (٨/٦) .

(٣) « بداية المجتهد » (١/٣٨٠) و« أحكام القرآن » للجصاص (٣/١٤٠) .

ووجه الاستدلال بهذه الآية :

أن الآية محمولة على الندب وليس على الوجوب كقوله تعالى :
﴿كُتُبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمُمْوتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا وَصِيَّةً لِلْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوف﴾^(١).

فهذه الآية تدل على أن الوصية مندوبة فكذلك آية الجهاد تدل على أن
الجهاد مندوب^(٢).

الرد :

إن آية الوصية كانت دالة على الوجوب حتى تم نسخ حكم وجوبها
بتشرع المواريث ، و﴿كُتُبَ﴾ بمعنى فرض فلا تصرف إلى الندب إلا بدليل
ولم يقم الدليل في الجهاد^(٣).

والخلاصة من العرض السابق لآراء الفقهاء وبيان أدلةهم ومناقشتها نرى
رجحان قول الجمهور لقوة أدلةهم .

وعليه فإن الجهاد فرض كفاية من عهد الرسول ﷺ إلى يوم القيمة إذا
قام به البعض كان الباقون في سعة من تركه .

متى يكون الجهاد فرض عين :

ويتعين الجهاد في ثلاثة مواضع وهي :

١ - إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف

(١) البقرة : (١٨٠) .

(٢) «أحكام القرآن» للجصاص (١٤٠/٣) .

(٣) «أحكام القرآن» للجصاص (١٤١/٣) .

وتعيين عليه المقام ما لم يزد عدد العدو على مثلي عدد المسلمين .

٢ - إذا نزل الكفار ببلد من بلدان المسلمين تعيين على أهله قتالهم ودفعهم بما يمكنهم ويستوي في ذلك السيد والعبد والبالغ والمرأة والرجل والمرأة ولا يجب استئذان العبد سيده ولا الولد والده ولا من عليه الدين صاحبه بل تجب المبادرة على كل من في البلد فإن لم يكن لدى أهل البلدة القدرة والكافية على دفع العدو النازل بهم وجب واجب وتعيين على كل من قرب منهم التفير إليهم ومساعدتهم على دفع العدو عنهم حتى تحصل الكافية فإن حصلت الكافية سقط الإثم عن باقي المسلمين .

ولا يسقط الوجوب لعدم المركوب لمن دون مسافة القصر بل يجب عليه التفير إليهم إن كان راجلاً وكان قادرًا على المشي .

٣ - إذا استنفر الإمام قوماً لزمهم التفير معه لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَاقِلُتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(١) .

وقول النبي ﷺ : « وإذا استنفترتم فانفروا » .

وقد اتفق الفقهاء على تعيين الجهاد في الموضعين الأولين وبالثالث قال جمهور العلماء والأئمة الأربعة^(٢) .

ونختم موضوع حكم الجهاد في سبيل الله بقولين لإمامين من أئمة الإسلام العظام وذلك حرصاً على الفائد وزيادة في توضيح الغامض من

(١) انظر « المبدع » لابن مفلح (٣١٠/٣) وخشبة الدسوقي على الدردير (٢/١٧٤) و«التحفة» (٩/٢٣٥) .

(٢) انظر « الاختيار » (٢/١٨٤) و«فتح القدير» (٤/٢٨٠ - ٢٨٣) و«المغني» (٨/٢٤٦) .

الأحكام وهذين الإمامين هما شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام القرطبي.

* أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد قال في حكم الجهاد في سبيل الله :

«إذا كان ابتداء فهو فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط الفرض عن الباقيين وكان الفضل لمن قام به كما قال تعالى : ﴿لَا يَسْتُوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَئِي الضَّرَرِ﴾^(١).

فاما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين فإنه يصير دفعه واجباً على المقصودين كلهم وعلى غير المقصودين لاعانتهم كما قال تعالى : ﴿وَإِنِّي أَسْتَثِرُكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ﴾^(٢).

وكما أمر النبي ﷺ بنصر المسلم وهذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد : نفسه وماله مع القلة والكثرة والمشي والركوب كما كان المسلمون لما قصدتهم العدو عام الخندق لم يأذن الله في تركه لأحد كما أذن في ترك الجهاد ابتداءً لطلب العدو الذي قسمهم فيه إلى قاعد وخارج بل ذم الذين يستأذنون : ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾^(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً وهو يتحدث عن الجهاد في سبيل

الله :

« ومن عجز عن الجهاد بماله وقدر على الجهاد بما له وجب عليه الجهاد بما له وهو نص أحمد في رواية أبي الحكم وهو الذي قطع به القاضي في أحكام القرآن في سورة براءة عند قوله : ﴿انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً﴾ فيجب

(١) النساء : (٩٥).

(٢) الأنفال : (٧٢).

(٣) الأحزاب : (١٣) والموضوع «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٢٨/٣٥٨).

على الموسرين النفقه في سبيل الله .

وعلى هذا فيجب على النساء الجهاد في أموالهن إن كان فيها فضل وكذلك في أموال الصغار إذا احتج إلى كما تجب النفقات والزكاة وينبغي أن يكون محل الروايتين في واجب الكفاية فاما إذا هجم العدو فلا يبقى للخلاف وجه فإن دفع ضررهم عن الدين والنفس والحرمة واجب إجماعاً^(١) .

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عمن عليه دين وله ما يوفيه وقد تعين الجهاد فقال :

«إن كان الجهاد المتعين لدفع الضرر كما إذا حضره العدو أو حضر هو الصف قدم على وفاء الدين كالنفقة وأولى وإن كان حال استنفار الإمام فقضاء الدين أولى إذ الإمام لا ينبغي له استنفار المدين مع الاستغناء عنه ولذلك قلت : لو ضاق المال عن إطعام جياع والجهاد والجهاد الذي يتضرر بتركه قدمنا الجهاد وإن مات الجياع كما في مسألة الترس وأولى فإن هناك نقتلهم بفعلنا وهنا يموتون بفعل الله»^(٢) .

ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر الحديث الآتي حيث قال :

«وثبت في الصحيح من حديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال : «على المرء المسلم السمع والطاعة في عسره ويسره ومشطه ومكرهه وأثرة عليه»^(٣) .

قال : فأوجب الطاعة التي عمادها الاستنفار في العسر واليسر وهذا

(١) «الاختيارات الفقهية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٣٠٨) .

(٢) نفس المرجع (ص ٣٠٩) .

(٣) «صحيح مسلم» مع التوكيد مع اختلاف في بعض الألفاظ (١٢/٢٢٤) .

نص في وجوبه مع الإعسار بخلاف الحج هذا كله في قتال الطلب ^(١).

« وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين فواجب إجماعاً فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكاني وقد نص على ذلك العلماء من أصحابنا وغيرهم فيجب التفريق بين دفع الصائل الظالم الكافر وبين طلبه في بلاده . . .

والجهاد منه ما هو باليد ومنه ما هو بالقلب والدعوة والحججة واللسان والرأي والتدبر والصناعة فيجب بغایة ما يمكنه ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً :

« وإذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلد الواحدة وأنه يجب النفير إليه إذن والد ولا غريم ونصوص أحمد صريحة بهذا وهو خير مما في المختصرات » ^(٢).

* وقال الإمام القرطبي تحت قوله تعالى : ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ الآية بعد أن ذكر الوجوه التي قالها فيها العلماء :

« الرابعة : وإذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار أو بحلوله بالقطر فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الديار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافاً وثقالاً شباباً وشيوخاً كل على قدر طاقته من كان له أب بغیر إذنه ومن لا أب له ولا يختلف أحد يقدر على الخروج من مقاتل أو مكثر فإذا

(١) « الاختيارات الفقهية » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٣٠٩) .

(٢) نفس المرجع (ص ٣١١) .

عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه يدرکهم ويمكنه غيائهم لزمه أيضاً الخروج إليهم فال المسلمين كلهم يد على من سواهم حتى إذا قام بدفع العدو أهل الناحية التي نزل العدو عليها واحتل بها سقط الفرض عن الباقيين ولو قارب العدو دار الإسلام ولم يدخلها لزمهما أيضاً الخروج إليه حتى يظهر دين الله وتحملي البيضة وتحفظ الحوزة ويخرى العدو.

وقسم ثان من واجب الجهاد - فرض أيضاً على الإمام اغذاء طائفة إلى العدو كل سنة مرة يخرج معهم بنفسه أو يخرج من يثق به ليدعوه إلى الإسلام ويرغبهم وكيف أذاهم ويظهر دين الله عليهم حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .

ومن الجهاد أيضاً ما هو نافلة وهو إخراج الإمام طائفة بعد طائفة ويعث السرايا في أوقات العزة وعند إمكان الفرصة والإرشاد لهم بالرباط في موضع الخوف إظهاراً للقوة^(١) .

وقال الإمام ابن العربي تحت قوله تعالى : «**انفروا خفافاً وثقالاً**» الآية قال بعد أن ذكر أقوال العلماء في إحكام هذه ونسخها :

« المسألة الرابعة : إذا كان النفي عاماً لغلبة العدو على الحوزة أو استيلائه على الأسرى كان النفي عاماً ووجب الخروج خفافاً وثقالاً وركباناً ورجلاً عبيداً أو أحراراً من كان له أب من غير إذنه ومن لا أب له حتى يظهر

(١) « تفسير القرطبي » (١٥١/٨) .

دين الله وتحمي البيضة وتحفظ الحوزة ويخرى العدو ويستنقذ الأسرى ولا
خلاف في هذا^(١).

ثالثاً : فضل الجهاد في سبيل الله تعالى :

إن الجهاد في سبيل الله عز وجل لإعلاء كلمة الله ونشر دينه له فضل
كبير وأجر عظيم عند الله سبحانه وتعالى وقد رغب الله فيه في كتابه ورغبة
فيه رسوله محمد ﷺ في سنته وسأذكر أولاً بعض الآيات التي تدل على
فضل الجهاد في سبيل الله وفضل المجاهدين .

ثم سأتابع ذلك بذكر بعض الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد
والمجاهدين في سبيل الله .

ثم سأتابع ذلك بذكر نماذج من أقوال العلماء التي تدل على فضل
الجهاد والمجاهدين في سبيل الله .

**أولاً : الآيات التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل
الله :**

* من الآيات التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله
قول الله تعالى : «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَآمَوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَقًا فِي التَّورَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَأَيْعَتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوزُ الْعَظِيمُ»^(٢).

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (٩٥٤ - ٩٥٥ / ٢).

(٢) التوبية : (١١١).

قال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي تحت هذه الآية :

« هدى الله المؤمنين إلى الإيمان والأنفس مفتونة بمحبة الأموال والأنفس استنزلهم لفروط عنایته بهم عن مقام محبة الأموال والأنفس بالتجارة المربيحة والمعاملة المرغوبة بأن جعل الجنة ثمن أموالهم وأنفسهم مفوض لهم خيراً مما أخذ منهم فالآية ترغيب في الجهاد ببيان فضيلته إثر بيان حال المتخلفين عنه »^(١).

وقال الشيخ أبو السعود تحت هذه الآية أيضاً :

« ولقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى وإثابته إياهم بمقابلتها الجنة بالشراء على طريق الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع هو العمدة والمقصد في العقد أنفس المؤمنين وأموالهم والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الأمر على العكس بأن يقال : « إن الله باع الجنة من المؤمنين بأنفسهم وأموالهم » ليدل على أن المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الأنفس والأموال وسيلة إليها إيذاناً بتعلق كمال العناية بهم وبأموالهم ثم إنه لم يقل « بالجنة » بل « بأن لهم الجنة » مبالغة في تقرير وصول الثمن إليهم واحتصاصه بهم وكأنه قيل « بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم »^(٢).

* ومن الآيات التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله قول الله تعالى : ﴿وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءً عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾

(١) « محسن التأويل » لمحمد جمال الدين القاسمي (٣٢٧٢/٨).

(٢) « تفسير أبي السعود » (٦٠٦/٢).

١٦٩ ﴿ فَرَحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۚ ۱٧٠ ﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ ۱٧١ ﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرًا عَظِيمًا ۚ ۱﴾ .

* ومن الآيات التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدْلُكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۖ ۱۰ ﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۖ ۱۱ ﴾ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيَدْخُلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدَنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۚ ۱۲﴾ .

* ومن الآيات التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۚ ۱۳﴾ .

* ومن الآيات التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله قول الله تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامَ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عَنِ الدِّينِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۖ ۱۹ ﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرْجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۖ ۲۰ ﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرَضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۖ ۲۱ ﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۚ ۲۲﴾ .

(١) آل عمران : (١٦٩ - ١٧٢).

(٢) الصاف : (١٠ - ١٢).

(٣) الحجرات : (١٥).

(٤) التوبية : (١٩ - ٢٢).

فالأيات المتقدمة كلها تدل على فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله تعالى حيث أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأنه اشتري من المؤمنين الأموال والأنفس مقابل دخول الجنة وهذا هو الفوز العظيم ولمثله فليعمل العاملون مشمرين عن سواعدهم .

وأخبرنا أيضاً سبحانه بأن الشهداء الذين يقتلون في سبيل الله أحياهم عند ربهم يرزقون وهذا فضل عظيم وشرف كبير للمجاهد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى .

وأخبرنا أيضاً بأن الجهاد في سبيل الله أفضل بكثير من عمارة المسجد الحرام وسقيا الحجاج رغم أن هذا أيضاً من الأعمال الصالحة وهذا يدل على مكانة الجهاد العظيمة وفضله الكبير عند الله سبحانه وتعالى .

ثانياً : الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين والمرابطين في سبيل الله :

إن الأحاديث التي وردت في السنة النبوية في فضل الجهاد والمجاهدين كثيرة جداً ويصعب حصرها هنا ولذا سأذكر منها نماذج فقط .

* فمن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ومكانته العظيمة عند الله سبحانه وتعالى ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : سألت رسول الله ﷺ قلت : يا رسول الله أي العمل أفضل ؟ قال : «الصلاوة على ميقاتها» . قلت : ثم أي ؟ قال : «بر الوالدين» . قلت : ثم أي ؟ قال : «الجهاد في سبيل الله» . فسكت عن رسول الله ﷺ ولو

استزدته لزادني^(١) .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : دلني على عمل يعدل الجهاد قال : « لا أجدك هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجده فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر » قال : ومن يستطيع ذلك ؟ قال أبو هريرة : إن فرس المجاهد ليسن في طوله فيكتب له حسنات^(٢) .

قال عياض تحت هذا الحديث :

« اشتمل حديث الباب على تعظيم أمر الجهاد لأن الصيام وغيره مما ذكر من فضائل الأعمال قد عدلها كلها الجهاد حتى صارت جميع حالات المجاهد وتصرفاته المباحة معادلة لأجر المواظب على الصلاة وغيرها واستدل به على أن الجهاد أفضل الأعمال مطلقاً »^(٣) .

وقال ابن دقيق العيد :

« القياس يقتضي أن يكون الجهاد أفضل الأعمال التي هي وسائل لأن الجهاد وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه ففضيلته بحسب فضيلة ذلك والله أعلم »^(٤) .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ومكانته

(١) البخاري مع الفتح (٣/٦) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (٤/٦) .

(٣) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » (٥/٦) .

(٤) نفس المرجع (٦/٦) .

العظيمة عند الله ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قيل : يا رسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ : « مؤمن يجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر وغنية »^(١) .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها » فقالوا : يا رسول الله أفلأ نبشر الناس ؟ قال : « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسأله الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة » أراه قال : « وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة »^(٢) .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ومكانته العظيمة عند الله ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها »^(٣) .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب وقال لغدوة أو روحه

(١) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » (٦/٦) .

(٢) « صحيح البخاري » مع الفتح (١١/٦) .

(٣) نفس المرجع (١٣/٦) .

في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب »^(١) .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « والذى نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يختلفوا عنى ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغدو في سبيل الله والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل »^(٢) .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الرحمن بن جبر أن رسول الله ﷺ قال : « ما اغترت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار »^(٣) .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيف »^(٤) .

وقال القرطبي أيضاً في هذا الحديث :

« وهو من الكلام النفيس الجامع الموجز المشتمل على ضروب من البلاغة مع الوجازة وعذوبة اللفظ فإنه أفاد الحض على الجهاد والإخبار بالثواب عليه والحض على مقاربة العدو واستعمال السيف والاجتماع حين

(١) « صحيح البخاري » مع الفتح (٦/١٣) .

(٢) نفس المرجع (٦/١٦) .

(٣) نفس المرجع (٦/٢٩) .

(٤) نفس المرجع (٦/٣٢) .

الزحف حتى تصير السيوف تظل المقاتلين »^(١) .

وقال ابن الجوزي :

« المراد أن الجنة تحصل بالجهاد والظلال جمع ظل وإذا تداني
الخصمان صار كل منهم تحت ظل سيف صاحبه لحرصه على رفعه عليه ولا
يكون ذلك إلا عند التحام القتال »^(٢) .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه
البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال النبي ﷺ :
« من احتبس فرسًا في سبيل الله إيمانًا بالله وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريه وروثه
وبوله في ميزانه يوم القيمة »^(٣) .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه
البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن
رسول الله ﷺ قال : « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع
سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحه يروحها العبد في سبيل
الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها »^(٤) .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه
أبو داود في سنته عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « من قاتل في سبيل الله فوق ناقة فقد وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل

(١) « فتح الباري » (٣٢/٦) .

(٢) نفس المرجع (٣٢/٦) .

(٣) « صحيح البخاري » مع الفتح (٥٧/٦) .

(٤) نفس المرجع (٨٥/٦) .

من نفسه صادقاً ثم مات أو قتل فإن له أجر شهيد» ، زاد ابن المصنف « من هذا ومن جرح جرحاً في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيمة كأغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك ومن خرج بخراج في سبيل الله عز وجل فإن عليه طابع الشهداء »^(١) .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه الدارمي في سنته عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تكفل الله لمن خرج من بيته لا يخرج إلا للجهاد في سبيل الله وتصديق بكلماته أن يدخله الجنة أو يرده إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة »^(٢) .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه الدارمي في سنته عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مقام الرجل في الصفة في سبيل الله أفضل من عبادة الرجل ستين سنة »^(٣) .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه النسائي في سنته عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد »^(٤) .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه

(١) « سنن أبي داود » (١٢/٢١) .

(٢) « سنن الدارمي » (٢/٢٠٠) .

(٣) نفس المرجع (٢/٢٠٢) .

(٤) « سنن النسائي » (٦/١٨) .

النسائي عن سلمان الخير عن رسول الله ﷺ قال : « من رابط يوماً وليلة في سبيل الله كان له كأجر صيام شهر وقيامه ومن مات مرابطاً أجري له مثل ذلك الأجر وأجري عليه الرزق وأمن من الفتان »^(١) .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الشهادة في سبيل الله ما أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما أصيَّب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتلوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيباً مأكلاً لهم ومشرباً لهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ إخواننا عننا إنما أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكروا عن الحرب؟ فقال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم قال : وأنزل الله عز وجل^(٢) : ﴿ وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءً عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾^(٣) .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الشهادة في سبيل الله ما أخرجه أبو داود في سنته عن حسناء بنت معاوية الصرميّة قالت : حدثنا عمي قال : قلت للنبي ﷺ من في الجنة؟ قال : « النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة والوئيد في الجنة »^(٤) .

* ومن الأحاديث التي تدل على فضل الاستشهاد في سبيل الله ما أخرجه مالك في « الموطأ » عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لوددت أن أقاتل في سبيل الله فأقتل ثم أحيى فأقتل ثم

(١) « سنن النسائي » (٦/٣٩) وكذلك « كتاب الجهاد » لابن أبي عاصم (٢/٤٧) .

(٢) البخاري مع الفتح (٦/٩١) .

(٣) آل عمران : (١٦٩) .

(٤) « سنن أبي داود » (٣/١٢) .

أحيا فأقتل » فكان أبو هريرة يقول : ثلثاً أشهد بالله^(١) .

وبهذا نكتفي من إيراد النصوص النبوية التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله عز وجل وقد تبين لنا من خلال الأحاديث التي مر ذكرها بأن الجهاد في سبيل الله من أحب الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى . ثالثاً : نماذج من أقوال العلماء التي ذكروا فيها فضل الجهاد في

سبيل الله ورغبوا فيه :

* فمن العلماء الذين ذكروا أهمية الجهاد وفضله العظيم ورغبوا فيه شيخ الإسلام ابن تيمية فقد قال رحمه الله حينما سُئل عن أفضلية سكن مكة والمدينة أم الرباط في الجهاد ؟

أجاب الشيخ رحمه الله قائلاً :

« الحمد لله بل المقام في ثغور المسلمين كالثلغور الشامية والمصرية أفضل من المجاورة في المساجد الثلاثة وما أعلم في هذا نزاعاً بين أهل العلم وقد نص على ذلك غير واحد من الأئمة وذلك لأن الرباط من جنس الجهاد والمجاورة غايتها أن تكون من جنس الحجيج كما قال تعالى : **﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِ﴾** الآية ثم ذكر مجموعة من الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله »^(٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً وهو يتحدث عن فضل الجهاد في سبيل الله بعد أن تحدث عن مكانة التوكل في الإسلام :

« وهنا وإن كان مأموراً به في جميع الدين فإن ذلك في الجهاد أكد لأنه يحتاج إلى أن يجاهد الكفار والمنافقين وذلك لا يتم إلا بتأييد قوي من الله

(١) « موطأ الإمام مالك » (٤٦٠ / ٢) .

(٢) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (٢٨ / ٥ - ٦) .

ولهذا كان الجهاد سبّام العمل .

ففيه سبّام المحبة كما قال تعالى : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^(١) .

وفيه سبّام التوكل وسبّام الصبر فإن المجاهد أحوج الناس إلى الصبر والتوكل ولهذا قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لِنَبْوَثُهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رِبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٣) .

ولهذا كان الجهاد موجباً للهداية التي هي محطة بأبواب العلم كما دل عليه قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لِنَهْدِيَنَّهُمْ سُبْلَنَا﴾^(٤) فجعل لمن جاهد فيه هداية جميع سبله تعالى ولهذا قال الإمام عبد الله بن المبارك وأحمد ابن حنبل وغيره إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ماذا عليه أهل الشغر فإن الحق معهم لأن الله يقول : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لِنَهْدِيَنَّهُمْ سُبْلَنَا﴾ .

وفي الجهاد أيضاً حقيقة الزهد في الحياة الدنيا وفيه أيضاً حقيقة الإخلاص فإن الكلام فيمن جاهد في سبيل الله لا في سبيل الرياسة ولا في سبيل المال ولا في سبيل الحمية .

وهذا لا يكون إلا لمن قاتل ليكون الدين كله لله ولتكون كلمة الله هي العليا وأعظم مراتب الإخلاص تسليم النفس والمال للمعبد كما قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾^(٥) .

(١) المائدة : (٥٤) .

(٢) النحل : (٤١ - ٤٢) .

(٣) العنكبوت : (٦٩) .

(٤) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (٤٤١/٨) .

وقال سيف الله خالد بن الوليد الذي ذاق حلاوة الجهاد في سبيل الله بعد أن ذاق الإيمان بالله ربيا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً وقضى حياته كلها مجاهداً وأخذ يقارن بين متاع الحياة ممثلاً لها بعروس هو لها محب أو بغلام بشر به ، والجهاد في سبيل الله فيرى في هذا متعته وقرة عينه قال رضي الله عنه :

« ما من ليلة يهدى إلى فيها عروس أنا لها محب أو أبشر فيها بغلام أحب إلى من ليلة شديدة البرد كثيرة الجليد في سرية أصبح فيها العدو »^(١) .

وقال عمرو بن عتبة بن فرقان :

« سألت الله عز وجل ثلاثة فأعطاني اثنين وأنا أنتظر الثالثة : سأله أن يزهدني في الدنيا فما أبالي ما أقبل منها وما أدبر ، وسألته أن يقويني على الصلاة فرزقني منها ، وسألته الشهادة فأنا أرجوها »^(٢) .

وقال ابن قدامة في « المغني » :

« قال الأشرم قال أحمد : لا نعلم شيئاً من أبواب البر أفضل من السبيل » .

وقال الفضيل بن زياد :

« سمعت أبا عبد الله وذكر له أمر العدو فجعل يبكي ويقول : ما من أعمال البر خير منه » .

وقال عنه غيره : « ليس بعد لقاء العدو شيء ، ومبشرة القتال بنفسه أفضل الأعمال والذين يقاتلون العدو هم الذين يدفعون عن الإسلام وعن

(١) « الجهاد » لأبن المبارك (٤١/١) .

(٢) « الجهاد » لأبن المبارك (١١٢/٢) .

حريمهم فـأـي عمل أـفـضل منه النـاس آـمـنـون وـهـم خـائـفـون قد بـذـلـوا مـهـجـ أنـفـسـهـم »^(١) .

وقال السرخسي في « المبسوط » :

« وقد كان رسول الله ﷺ تارة يخرج وتارة يبعث غيره حتى قال : « وددت أن لا تخرج سرية أو جيش إلا وأنا معهم ولكن لا أجده ما أحماهم ولا تطيب أنفسهم بالخلاف عنِّي »^(٢) .

« ولو ددت أن أقاتل في سبيل الله تعالى حتى أقتل ثم أحيا ثم أقتل »^(٣) .

ففي هذا دليل على أن الجهاد وصفة الشهادة في الفضيلة بأعلى النهاية حتى تمنى ذلك رسول الله ﷺ مع درجة الرسالة والآثار في فضيلة الجهاد كثيرة وقد سماه الرسول ﷺ سنام الدين »^(٤) .

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله وهو يتحدث عن فضل الجهاد ومكانته العظيمة عند الله :

« وأخبر سبحانه أنه اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وأعاصفهم عليها الجنة وأن هذا العقد والوعد قد أودعه أفضل كتبه المنزلة من السماء وهي التوراة والإنجيل والقرآن ثم أكد ذلك بإعلامهم أن لا أحد أوفي بعهده منه تبارك وتعالى ثم أكد ذلك بأن أمرهم بأن يستبشروا بيعهم الذي عاقدوه عليه ثم أعلمهم أن ذلك هو الفوز العظيم فليتأمل العاقد مع ربه عقد هذا التابع ما أعظمها وأجلها فإن الله عز وجل هو المشتري

(١) « المعني » لابن قدامة (٣٤٨/٨) .

(٢) « موطن الإمام مالك » مع اختلاف في الصيغة (٤٦٥/٢) .

(٣) نفس المرجع (٤٦٥/٢) .

(٤) « المبسوط » للسرخسي (٣/١٠) .

والثمن جنات النعيم والفوز برضاه والتتمتع برؤيته هناك .

والذي جرى على يده هذا العقد أشرف رسنه وأكرمههم عليه من الملائكة والبشر وأن سلعة هذا شأنها لقد هيئت لأمر عظيم وخطر جسيم

قد هيئوك لأمر لو فطنت له فارياً بنفسك أن ترتعى مع الهمم
مهر المحبة والجنة بذل النفس والمال لمالكم الذي اشتراهما من المؤمنين فما للجبان المعرض المفلس وسوم هذه السلعة بالله ما هزلت فيستامها المفلسون ولا كسدت فيبيعها بالنسبيه المعسرون لقد أقيمت للعرض في سوق من يريد فلم يرض ربه لها بشمن دون بذل النفس فتأخر الباطلون وقام المحبون ينتظرون أيهم يصلح أن يكون نفسه الثمن فدارت السلعة بينهم ووقدت في يد ﴿أَذْلَلَةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ... إلى أن قال فلما تم العقد وسلموا المبيع قيل لهم قد صارت أنفسكم وأموالكم لنا والآن فقد ردناها عليكم أوفر ما كانت وأضعاف أموالكم معها : ﴿وَلَا تَحْسِنَ
الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(۱) .

لم نتبع منكم بنفوسكم وأموالكم طلباً للربح عليكم بل ليظهروا أثر الجود والكرم في قبول المغيب والإعطاء عليه أجل الإيمان ثم جمعنا لكم بين الثمن والمثمن »^(۲) .

وقال الشيخ محمود شلتوت وهو يتحدث عن أهمية الجهاد ومكانته العظيمة لبقاء الأمة عزيزة قوية :

« مضت سنة الله في هذه الحياة على أن البقاء والعزة والسلطان وعلو

(۱) آل عمران : (۱۶۹) .

(۲) « زاد المعاد في هدي خير العباد » (۳/۷۲) .

الكلمة إنما يكون للعاملين المجاهدين إما المتباطئون والمتناقلون الذين يؤثرون حياتهم ويضيّنون بأنفسهم وأموالهم ويخلدون إلى الأرض ويعرضون عن دعوة الجهاد في سبيل حريةهم وبقائهم فإنهم لابد ذاهبون وهم لا محالة مستذلون مستعبدون».

ويقول تحت قوله تعالى : «إِلَّا تَفْرِوْا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» يذلكم ويستعبدكم لغيركم يسومكم سوء العذاب يستلب أموالكم ويتهك أعراضكم ويذبح أبناءكم هذا التعذيب جزاء طبيعي للجبن وعدم القيام في وجه العدو وللتناقل عن الجهاد وليس هو الجزاء الآخرى الذي أعده الله لمن يخالف أمره ».

ثم قال : «وقوله : «وَإِن تَتَوَلُوا يَسْتَبِدُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ» الآية ووصف القوم بالغيرة للدلالة على المغايرة الذاتية أي قوماً مطعين يؤثرون الدار الآخرة على متاع الدنيا والأسلوب يدل على شدة السخط عليهم كما سيوضح من آية المائدة : «ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ»^(١).

وبهذا نكتفي من إيراد أقوال العلماء التي بينوا فيها أهمية الجهاد في سبيل الله في نشر الدعوة وحماية الأمة الإسلامية وعزها وشرفها وقوتها ومنعتها من الأعداء وبينوا أيضاً فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله تعالى في ثانياً حديثهم عن أهمية الجهاد.

والخلاصة أن الجهاد فرض من الفروض التي فرضها الله على عباده وبما أن الفرض تنقسم إلى قسمين فرض كفاية وفرض عين فالجهاد في الأصل فرض كفاية إذا قام به عدد كاف لردع العداون سقط الإثم عن الباقيين

(١) محمد : (٣٨) و الموضوع «الأجزاء العشرة الأوائل» لمحمود شلتوت (ص ٦٣٨).

وإن لم يمكن دفع العدو إلا بكل المسلمين وجب عليهم جميعاً رده وقد
يتعين الجهاد في موضع وهي :

- ١ - إذا طلب الإمام النفير العام .
- ٢ - إذا هجم العدو على بلاد المسلمين .
- ٣ - إذا حضر الإنسان يوم الزحف وجب عليه القتال عيناً ولا يجوز له الانصراف ومع أن الجهاد من الأشياء التي شرعها الله لنشر الدعوة إلى الله وحماية المسلمين من أعدائهم فقد وقف المتتصوفة منه موقف العداء حتى أماتوا في المسلمين الروح القتالية مما تسبب عنه غزو الصليبيين للبلاد الإسلامية واستعمارها وهذا ما سأبینه في المبحث الآتي إن شاء الله^(١) .

* * *

(١) انظر (ص ٨٨٣ - ٨٩٦).

المبحث الثاني

انحرافهم في مفهوم الجهاد و موقفهم من أعداء الأمة الإسلامية

لقد حاول كثير من أقطاب الصوفية صرف الناس عن القتال في سبيل الله وجهاد أعداء الأمة الإسلامية واتخذوا لذلك عدة أساليب .

فمن الأساليب التي اتخذوها لصرف الناس عن الجهاد في سبيل الله هو اللجوء إلى تفسيرات غريبة للآيات القرآنية التي تتكلم عن الجهاد في سبيل الله وفضله العظيم بأن المقصود بالجهاد هو جهاد النفس فقط وليس داخلاً فيه جهاد الأعداء .

ومن الأساليب التي اتخذوها لصرف الناس عن الجهاد في سبيل الله هو سعيهم بين الناس بأن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر أما جهاد أعداء الأمة الإسلامية ومغارعتهم فليس بذي أهمية .

ومن الأشياء التي تدل على أن المتصوفة لا يرون الوقوف أمام أعداء الأمة الإسلامية ومجahدتهم الكتب التي ألفها زعماء التصوف حيث إنك إذا نظرت فيها لا يمكن أن تجد فيها ولو سطراً واحداً يتكلم عن أهمية الجهاد في الإسلام بل الكتب التي ألفوها لا تتكلم إلا عن أمور جانبية بلهما أمور نهى عنها الإسلام بلهما إلى الشرك وعبادة غير الله ولو نظرنا إلى المتصوفة في عصرنا الحاضر فإننا نراهم اليد اليمنى للغرب الصليبي الحاقد في العالم

الإسلامي ولذا نرى الصليبيين دائمًا يشجعون الطرق الصوفية ويعملون على نشرها وذلك لإدراكيهم بأن هذه الطرق هي من أهم الأشياء التي يمكن عن طريقها تقويض الأمة الإسلامية وتحديدها وتحويلها إلى أمة هزيلة لا تحرك ساكناً وقد فعلوا ذلك حتى كاد الجهاد في العالم الإسلامي ينسى وحتى أصبح كل من يتكلم عن jihad غريباً بين الأمة الإسلامية ولو تتبعنا المتصوفة تاريخياً فسنجد مواقفهم سلبية من جهاد أعداء الأمة الإسلامية .

وأبرز الحروب التي واجهها المسلمون بعد انتشار الطرق الصوفية هي :

الغزو التترى والحروب الصليبية وكان موقف المتصوفة من هذه الحروب كلها هو السكوت فقط ولم يخطوا في كتبهم عنها حتى ولو حرفاً واحداً مما يدل دلالة واضحة على أنهم يرون عدم جدوى جهاد الكفار ولعل هذا بناءً على معتقدهم الفاسد بأن كل ما قدره الله فهو يحبه وكل ما وقع فقد قدره الله واستيلاء الكفار على بلاد المسلمين مما قدره الله ولذا يجب عدم معارضته قضاء الله وقدره .

وإليك نماذج من التفسيرات الغريبة التي فسر بها المتصوفة بعض الآيات القرآنية التي تتكلم عن jihad وتحث عليه وذلك من أجل أن يثبتوا بأن jihad الأكبر هو jihad النفس وأما jihad الأعداء فشيء ثانوي .

* فمن تفسيراتهم الغريبة ما روي عن داود بن صالح أنه قال : قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدرى في أي شيء نزلت هذه الآية : ﴿اَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١) ؟

(١) آل عمران : (٢٠٠) .

قلت : لا ، قال : يا ابن أخي لم يكن في زمن رسول الله ﷺ غزو يربط فيه الخيل ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلوة فالرباط لجهاد النفس والمقيم في الرباط مرابط مجاهد نفسه^(١) .

وقال بعض المتصوفة في قوله تعالى : ﴿وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ هو مجاهدة النفس والهوى وذلك حق الجهاد وهو الجهاد الأكبر على ما روى في الخبر عن رسول الله ﷺ قال حين رجع من بعض غزواته : «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»^(٢) .

من هذا التفسير الغريب يتضح لنا تماماً بأن المتصوفة يدعون بأن جهاد النفس والمرابطة في جهادها هو الجهاد الأكبر وهذه دعوة صريحة منهم إلى دعوة الناس أن يرابطوا في جهاد أنفسهم ويتركوا جهاد أعداء الأمة الإسلامية لأن جهاد الأعداء لا يساوي شيئاً بالنسبة لجهاد النفس وهذه دعوة باطلة فإن جهاد الأعداء هو الجهاد الأكبر وهو من أفضل الأعمال التي يقوم بها المؤمن ابتعاده مرضاته اللهم وقد بينا ذلك في المطلب الأول من هذا المبحث فلا حاجة لإعادته هنا^(٣) .

وأما الحديث الذي استدل به المتصوفة فهو كذب وافتراء على رسول الله ﷺ الذي جاء بشريعة الجهاد ويدل كل غال ونفيس في سبيل نشر دعوة التوحيد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الحديث الذي استدلوا به :

(١) «عوارف المعارف» للسهروردي الملحق بالإحياء (ص ٨٢) .

(٢) نفس المرجع (ص ٨٢) .

(٣) انظر (ص ٨٥ - ٨٩٣) .

« وأما الحديث الذي يرويه بعضهم أنه قال في غزوة تبوك : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » فلا أصل له ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله .

وجهاد الكفار من أعظم الأعمال بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان قال الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَئِي الضررِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضْلٌ لِلَّهِ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرْجَةٌ وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضْلُ اللَّهِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سَقَيَةَ الْحَاجَّ وَعَمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامَ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوْنَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٢) .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل ؟ قال : « إيمان بالله وجهاد في سبيله » قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور »^(٣) .

وقيل إن بعض الصالحين كتب إلى أخي له يستدعيه إلى الغزو فكتب إليه يا أخي كل الشغور مجتمعة لي في بيته واحد والباب على مردود فكتب إليه أخوه لو كان الناس كلهم لزموا ما لزمته لاختلت أمور المسلمين وغلب الكفار فلابد من الغزو والجهاد فكتب إليه يا أخي لو لزم الناس ما أنا عليه

(١) النساء : ٩٥ - ٩٦ .

(٢) التوبية : ١٩ .

(٣) « صحيح البخاري » مع الفتح (٣٨١/٣). وانظر «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية».

وقالوا في زواياهم وعلى سجادتهم اللَّه أكْبَر انهم سُور القسْطَنْطِينِيَّة»^(١).

وهذا مفهوم خاطئٌ مخالفٌ لمبادئ الإسلام الذي أمر بالقيام بالأسباب ومن الأسباب التي يجب أن يقوم بها المسلم لرد كيد الأعداء هو الجهاد في سبيل الله أما أن يقعد المسلمين ويتظرون بعد ذلك أن تنهض لهم أسوار الأعداء فهذا فهم غريب وليس من الإسلام في شيء ولا يقول به إلا من يضمِّر الحقد للأمة الإسلامية يريد لها أن تخضع لأعدائها فتصبح ذليلةٌ حقيقة هزيلة .

والمتصوفة يميتون العزة والشعور بالكرامة كما يميتون فيه الصحة والحيوية فينحنى أمام المشايخ ويقبل النعل والقدم ويتلقي بنفس راضية شتى الإهانات من أي جانب كانت فكيف يفكر من هذا حاله بالقتال والطعن ومقارعة الأعداء لردهم عن بلاد المسلمين أو لنشر دعوة الحق وفتح الطريق لها .

ومما يدل على عدم اهتمام المتصوفة بأحوال الأمة الإسلامية والدفاع عنها عدم تسجيل كتابهم الكبار عن تلك الحروب التي وقعت بين المسلمين وأعدائهم ومن أبرز هذه الحروب التي وقعت بين المسلمين وغيرهم الحروب الصليبية والغزو التترى وقد عاصر هذه الحروب كبار زعماء التصوف في مجال التأليف ومع ذلك فإنك إذا قرأت في كتابهم لن تجد فيها ولو سطراً واحداً للإشارة على هذه الأحداث الجسام التي يقشعر الجلد من سماعها فقط فضلاً عن عاصرها وحضرها ورأها بأم عينيه .

* ومن كبار المتصوفة الذين عاصروا الحروب الصليبية الغزالى والذي

(١) «عوارف المعارف» للسهروردي (ص ٨٢).

يصفه المتتصوفة بأنه حجة الإسلام فقد تكلم في كتابه «إحياء علوم الدين» عن التتصوف وقرر أن طريقهم من أنجح الطرق وأصلحها للوصول إلى ولادة الله ومرضاته وتكلم بإسهاب شديد عن طقوس المتتصوفة المبتدةعة ومع ذلك فإنه لم يتطرق ولو بسطر واحد للكلام على المصيبة التي أصبت بها الأمة الإسلامية ألا وهو سقوط بيت المقدس في يد الصليبيين

قال الشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله :

« سقط بيت المقدس في يد الصليبيين عام (٥٤٢هـ) والغزالى الزعيم الصوفى الكبير على قيد الحياة فلم يحرك منه هذا الحادث الجلل شعوراً واحداً ولم يجر قلمه بشيء ما عنه في كتبه لقد عاش الغزالى بعد ذلك (١٣) عاماً إذ مات سنة (٥٥٠هـ) فما ذرف دمعة واحدة ولا استنهض همة مسلم ليذود عن الكعبة الأولى بينما سواه من الشعراء يقول :

أهل الكفر بالإسلام ضيماً
يطول عليه للدين النجيب
وكم من مسجد جعلوه ديراً
على محاربه نصب الصليب
دم الخنزير فيه لهم خلوف
وتحريف المصاحف فيه طيب

أهز هذا الصريح الموجع زعامة الغزالى كلا إذ كان عاكفاً على كتبه يقرر فيها إن الجمادات تخاطب الأولياء .

ويتجدد عن الصحو والمحو دون أن يقاتل أو يدعوه حتى غيره إلى قتال ، وابن عربى وابن الفارض الزعيمان الصوفيان الكبيران عاشا في عهد الحروب الصليبية فلم نسمع عن واحد منهما أنه شارك في قتال أو دعا إلى قتال أو سجلا في شعرهما أو نثرهما آهة حسرة على الفواجع التي نزلت بالمسلمين .

لقد كانوا يقرران للناس أن الله هو عين كل شيء فليدع المسلمين الصليبيين فما هم إلا الذات الإلهية متجسدة في تلك الصور هذا حال أكبر زعماء التصوف و موقفهم من أعداء الله فهل كافحوا غاصباً أو طاغياً^(١).

و حين أغارت الفرنج على المنصورة قبل منتصف القرن السابع الهجري اجتمع زعماء الصوفية أتدرى لماذا؟ لقراءة رسالة القشيري والمناقشة في كرامات الأولياء^(٢).

ثم قال الشيخ عبد الرحمن الوكيل بعد أن أورد هذه الحكاية :

« من أجل ذلك يجب أن لا نستغرب إذا رأينا المستعمرات يغدقون على الصوفية الجاه والممال فرب مفوض سام لم يكن يرضى أن يستقبل ذوي القيمة الحقيقية من وجوه البلاد ثم تراه يسعى إلى زيارة حلقة من حلقات الذكر ويقضي هناك زيارة سياسية تستغرق الساعات ، أليس التصوف الذي على هذا الشكل يقتل عنصر المقاومة في الأمم؟ »^(٣).

ويقول الدكتور عمر فروخ :

ألا يعجب القارئ إذا علم أن حجة الإسلام أبا حامد الغزالى شهد القدس تسقط في أيدي الفرنجة الصليبيين وعاش اثنتي عشرة سنة بعد ذلك ولم يشر إلى هذا الحادث العظيم ولو أنه أهاب بسكن العراق وفارس وبلاد الترك لنصرة إخوانهم في الشام لنفر مئات الآلاف منهم للجهاد في سبيل الله

(١) « هذه هي الصوفية » لعبد الرحمن الوكيل (ص ١٧٠).

(٢) انظر « طبقات الشعراوى » (١١/١).

(٣) « هذه هي الصوفية » لعبد الرحمن الوكيل (ص ١٧٢).

ولوفروا إذن على العرب والإسلام عصورةً مملوءة بالكفاح وقروناً زاخرة بالجهل والدمار .

وما غفلة الغزالي عن ذلك إلا لأنه كان في ذلك الحين قد انقلب صوفياً واقتنع على الأقل بأن الصوفية سبيل من سبل الحياة بل هي أسدى تلك السبيل وأسعدتها . . ويزعم المتصوفة أن لهم كرامات ولكنهم لم يظهروا هذه الكرامات للدفاع عن دينهم وأوطانهم فإذا كان بهؤلاء القوم مثل هذه الكرامات ومثل هذه الكرامات لم تكن منهم فلقد كان من الجنائية على الدين نفسه أن يسكتوا عن الفرنج الصليبيين في بلاد المسلمين وعن غيرهم من المغيرين الظالمين .

ولكن المتصوفة يعللون سكتهم ورضاهم بما ينزل بقومهم من المصائب بأن هذه المصائب عقاب من الله للمذنبين من خلقه فإذا كان الله قد سلط على قوم ظالماً فليس لأحد أن يقاوم إرادة الله أو أن يتافق منها»^(١) .

وهذه شهادة ثالثة للكتور زكي مبارك حيث قال بعد أن تحدث قليلاً عن الحروب الصليبية :

«أتدرى لماذا ذكرت لك هذه الكلمة عن الحروب الصليبية لتعرف أنه بينما كان بطرس الناسك يقضي ليه ونهاره في إعداد الخطب وتجييد الرسائل يبحث أهل أوروبا فيها على احتلال أقطار المسلمين كان الغزالي حجة الإسلام غارقاً في خلوته منكباً على أوراده المبتدةعة لا يعرف ما يجب عليه من الدعوة إلى الجهاد .

(١) «التصوف في الإسلام» للكتور عمر فروخ (ص ١٠٩) .

ويكفي أن نذكر أن الإفرنج لما قبضوا على أبي القاسم الرملي^(١) الحافظ يوم فتح بيت المقدس ونادوا عليه ليفتدي فلم يفده أحد ثم قتلوا وقتلوا معه من العلماء عدداً لا يحصيه إلا الله كما ذكر السبكي في طبقاته.

فأين هذه المواقف المخذولة للمتصرفه من موقف العالم الفقيه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى المشرف من هجوم التتار على دمشق فقد سارع لمقابلة ملكهم (قازان) على رأس وفد من الشاميين لإقناعه بالعدول عن دخوله دمشق فجعل يحدث هذا الملك بكل شجاعة مما أثار دهشهته .

ولما يئس منه سافر إلى مصر وحرض السلطان ابن النصر على الخروج إلى الشام والدفاع عنها بعد ما تخلى عنها فلبى طلبه والتقوى الجيshan في مرج الصفر قريباً من دمشق ونشبت معركة رهيبة اشتراك فيها الإمام ابن تيمية بعد أن ثبتَ المسلمين وبشرهم بالنصر فامتطى صهوة جواده وخرج إلى ميدان الحرب يحارب بكل شجاعة ويحرض جماعته على الصبر والقتال ودامت المعركة أربعة أيام صدق خلالها أهل الشام وجند مصر القتال حتى إذا جاء عصر اليوم الرابع انتصر جند مصر والشام وهزم جيش التتار شر هزيمة بعد ما كان يهدد الشرق والغرب»^(٢) .

ومن مبادئ الصوفية التي وضعوها لأنفسهم هو التكيف مع الزمان الذي

(١) هو مكي بن عبد السلام المقدسي (٤٣٢ - ٤٩٢) قال عنه السمعاني : كان ثقة قوياً ورعاً ضابطاً ، وكان مفتياً على مذهب الشافعي وكانت الفتوى تأتي إليه من شتى البلاد.
انظر ترجمته في «السير» (١٩/١٧٨) ، «شذرات الذهب» (٣٩٨/٣) ، «طبقات السبكي» (٥/٣٣٢).

(٢) انظر «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/١٩).

يعيشون فيه والدوران معه حيث دار وعدم المشي عكس الواقع المفروض بل يجب الخضوع للواقع سواء كان هذا الواقع موافقاً للإسلام أو مخالفًا له سواء كان المتحكم في بلاد الإسلام مسلمين أو كفاراً لأن الكل قدره الله تعالى .

ومما يدل على هذا قول عبد الوهاب الشعراوي حيث قال مقرراً مبادئ الصوفية :

« أخذ علينا العهد بأن نأمر إخواننا أن يدوروا مع الزمان وأهله كيف دار ولا يزدرون قط من رفعه الله عليهم ولو في أمور الدنيا وولاليتها وكل ذلك أدباً مع الله عز وجل الذي رفعهم فإنه ما يرفع أحداً إلا لحكمة ثم أي فائدة من ازدراء من ارتفع عليهم مع أن أحداً لا يسمع لهم وهذا العهد قل من يعمل به من الناس فيقولون عن المحتسب أو الوزير أو غيرهما : من أين لهؤلاء السفلة الفخامة علينا ونحن نعرف آبائهم؟! »^(١) .

ويقول الدكتور عمر فروخ :

« يقول الصوفية : إذا سلط الله على قوم ظالماً فليس لأحد أن يقاوم إرادة الله أو أن يتأنف منها »^(٢) .

وكتير من الطرق الصوفية هي عملاً للمستعمرين في العالم الإسلامي إلى عصرنا الحاضر وهم الذين مهدوا الطريق لاستعمار العالم الإسلامي من قبل الصليبيين .

(١) « التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق » (٣٠١/٢) نقاً عن « البحر المورود » (ص ٢٩٢) .

(٢) « التصوف في الإسلام » للدكتور عمر فروخ (ص ١٠٩) .

يقول الرئيس فيليب فونداس المستعمر الفرنسي :

لقد اضطر حكامنا الإداريون وجندنا في أفريقيا إلى تنشيط دعوة الطرق الدينية الإسلامية لأنها كانت أطوع للسلطة الفرنسية وأكثر تفهمها وانتظاماً من الطرق الوثنية «^(١)».

وقال مؤلفو كتاب تاريخ العرب الحديث والمعاصر تحت عنوان :

«المتعاونون مع فرنسا في الجزائر»

وتتألف هذه الفئة من بعض الشباب الذين تثقفوا في المدارس الفرنسية وقضى الاستعمار على كل صلة لهم بالعروبة يضاف إليهم بعض أصحاب الطرق الصوفية الذين أشاعوا الخرافات والبدع وبثوا روح الانهزامية والسلبية في النضال فاستعملهم الاستعمار كجواسيس ثم فئة من الموظفين والنواب والعسكريين الذين شاركوا الإدارة الفرنسية في أعمالها^(٢).

وقد كان أتباع الطريقة التيجانية وشيوخها من أكثر العلماء نفعاً لفرنسا في الجزائر وبعض الأقطار الأفريقية ففي عام (١٨٧٠م) استطاعت سيدة فرنسية تدعى «أورييلي بيكار» أن تتسلل إلى الزاوية التيجانية وتتزوج شيخها المدعو سيدى أحمد ولما توفي تزوجت أخاه فأصبحت السيدة المذكورة مقدسة عند التيجانيين وأطلقا عليها لقب «زوجة السيدين» وكانوا يتيممون بالتراب الذي تمشي عليه مع أنها بقيت كاثوليكية على دينها القديم وقد أنعمت فرنسا عليها بوسام الشرف .

وقالت الحكومة الفرنسية في أسباب منح هذا الوسام لأن هذه السيدة

(١) «الاستعمار الفرنسي في أفريقيا السوداء» (ص ٥٢).

(٢) «تاريخ العرب الحديث والمعاصر» (ص ٣٧٣).

قد أدارت الزاوية التيجانية الكبرى إدارة حسنة كما تحب فرنسا وترضى
وكتب للفرنسيين مزارع خصبة ومراعٍ كثيرة لولاهما ما خرجت من أيدي
العرب الجزائريين التيجانيين ولأنها ساقت إلينا جنود مجندة من أحباب
الطريقة التيجانية ومريديها يجاهدون في سبيل فرنسا صفاً كأنهم ببيان
(١) مرصوص .

وقد ساعد أتباع الطريقة التيجانية الجيوش الفرنسية بمختلف الوسائل
فكانوا يتتجسّسون لهم ويرسلون معهم الأدلة ويقاتلون إلى جانبهم وعد
مشايخهم ذلك واجبًا يملئه الشرف ويغون فيه الاحتساب من الله تعالى .
قال الشيخ محمد الكبير صاحب السجادة التيجانية الكبرى وخليفة
الشيخ أحمد التيجاني الأكبر مؤسس هذه الطريقة في خطبة ألقاها أمام رئيس
البعثة العسكرية الفرنسية في مدينة (عين ماض) المركز الأساسي للطريقة
الصوفية التيجانية وذلك بتاريخ ٢٨ ذي الحجة عام (١٣٥٠هـ) .

قال فيها : « إن من الواجب علينا إعانته حبيبة قلوبنا فرنسا ماديًا
ومعنوياً وسياسياً ولهذا فإنني أقول لا على سبيل المن والافتخار ولكن على
سبيل الاحتساب والشرف بالقيام بالواجب : إن أجدادي قد أحسنوا صنعاً في
انضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل إلى بلادنا وقبل أن تختل جيوشها الكرام
(٢) ديارنا » .

وقال الشيخ شقفة :

« ولم يقف الاستعمار في بلادنا ولا في مصر موقفاً عدائياً من
الصوفية بل كان يشجعها ويكرم شيوخها ويحسن استقبالهم ويسارع إلى

(١) « مخاري الولي الشيطاني » (ص ١٢) نقلًا عن « التصوف » لشقفة (ص ٢١٢) .

(٢) « تاريخ المغرب في القرن العشرين » لروم لاندو (ص ١٤٣) .

تحقيق مطالبهم «^(١)».

وقال الشيخ طنطاوي جوهري في كتابه «الجواهر في تفسير القرآن»:

«إن كثيراً من الصوفية قد تنعموا وعاشوا في رغد من العيش وأخذوا الناس عليهم المال من كل جانب وحببوا إليهم الثمرات وهوت إليهم القلوب لما ركز في النفوس من قربهم إلى الله فلما رأوا الفرنجة أحاطوا بال المسلمين لم يسعهم إلا أن يسلمو لهم القيادة ليعيشوا في أمن وسلام وهذا هو الذي حصل في أيامنا وذكره الفرنسيون في جرائدتهم قبل الهجوم على مراكش وقرأنا نحن فيها إذ صرحو بأن المسلمين خاضعون لمشائخ الطرق وأن الشرفاء القائمين في تلك البلاد ورجال الصوفية هم الذين يسلمونا البضاعة فعلى رجال السياسة أن يغدقوا النعم على مشائخ الطرق وعلى الشريف الذي يملك السلطة في تلك البلاد».

وقالوا هكذا بصرىح العبارة:

«إن هؤلاء جميعاً متعمدون بالعيش الهنيء ورغم المعيشة في ظلال جهل المسلمين وغفلتهم فمتى أكرمناهم وأنعمنا عليهم فهم يكونون معنا ويشاركونا في جر المغنم وبصرىح العبارة يكونون أشبه بالغربان والنسور والعقاب التي تأكل ما فضل من فرائس الأسد والنمور»^(٢).

والخلاصة مما سبق لنا من العبارات التي نقلناها عن المتصوفة أنفسهم والتي تدل دلالة صريحة واضحة على أنهم يرون الجهاد الأكبر هو جهاد النفس أما جهاد الأعداء فليس بأمر ذي أهمية بالإضافة إلى مقالات الكتاب

(١) «التصوف بين الحق والخلق» لشقة (ص ٢١٦).

(٢) «الجواهر في تفسير القرآن» للطنطاوي (٩/١٣٧ - ١٣٨).

ال المسلمين وغير المسلمين الذي أكدوا فيها تقاويس المتصوفة عن القيام بالجهاد في سبيل الله وتعاونهم مع المستعمر ندرك خطر كثير من رجال الطرق الصوفية على البلاد الإسلامية فإنهم لا يتقاويسون عن تعاونهم مع الاستعمار إذا ضمنت مصالحهم المادية الخاصة وهم علاوة على هذا فإنهم مستسلمون دائمًا للعدو فلا يحركون ساكنًا إذ شعارهم الصوفي :

« دع الخلق للخلق »^(١) ، « ليس في الإمكان أبدع مما كان »^(٢) .

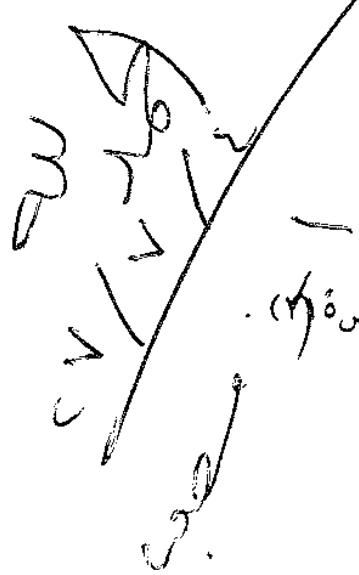
« لو اطلعتم على الغيب لا خترت الواقع » .

وقال علي برادة التيجاني :

« إن الكفار وال مجرمين وال فجرة وال ظلمة ممثلون لأمر الله تعالى ليسوا بخارجين عن أمره »^(٣) .

وإذا نظرنا إلى العبارات السابقة نرى بأنها عبارات خطيرة جدًا كلها تدعو إلى عدم مقاومة الكفار ومقارعتهم وذلك لأن مقاومتهم تعني الاعتراض على قضاء الله وقدره وأن الكفرة ما هم إلا ممثلون لأمر الله تعالى ولذا فلا يجوز مقاومتهم بل ينبغي الاستسلام لهم والخضوع للأمر الواقع مهما كان هذا الواقع نوعه سواء كانت السيطرة فيه للكفرة أو للMuslimين ليس هناك فرق بين الواقعين في المفهوم الصوفي ومعنى هذا هو تعطيل الجهاد كليًّا .

* * *



(١) ، (٢) « التصوف بين الحق والخلق » لشقة (ص ٤) .

(٣) « جواهر المعاني » لعلي براد (٢٢١/١) .

فَهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ

الصفحة

الفصل الثاني

انحرافاتهم في الخضر عليه السلام

٥١١	تمهيد :
	المبحث الأول : اعتقاد الصوفية وغيرهم بأن الخضر ولی وليس بنبی وأنه يجوز الخروج عن الشريعة للولي كما خرج الخضر عن شريعة موسى
٥١٢	المبحث الثاني : ادعاء الصوفية بأن الخضر حي إلى الآن وادعاؤهم الالتقاء به والتلقی عنه
٥٢٥	المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تدل على معتقدهم هذا
٥٢٧	المطلب الثاني : بيان بطلان معتقد الصوفية بحياة الخضر والتلقی عنده
٥٣١	

الفصل الثالث

انحرافاتهم تجاه الأولياء

٥٤٧	تمهيد :
	المطلب الأول : تعريف الولي مع ذكر المفهوم الصحيح لولایة الله بایجاز
٥٤٨	المطلب الثاني : ذكر النصوص التي تثبت بأن الصوفية يزعمون التلقی عن الله والعروج إليه وأن الولایة أفضل من النبوة
٥٥٢	المطلب الثالث : بيان بطلان هذا الادعاء وأنه لا وحي يتلقی بعد رسول الله ﷺ
٥٩٢	المبحث الثاني : اعتقادهم بأن هناك مجموعة من الأولياء لهم

الصفحة

الموضوع

القاب خاصة بهم يتصرفون في هذا الكون ويتحكمون فيه	٦١٣
المطلب الأول : مراتب الأولياء ووظائفهم وذكر نماذج من النصوص عنهم ثبت بأنهم يعتقدون بأن للأولياء تصرفاً في هذا الكون	٦١٥
أولاً : مراتب الأولياء عند الصوفية .. ثانياً : معاني هذه الألفاظ ووظيفة أصحاب كل مرتبة عند الصوفية ..	٦١٥
الخلاصة ..	٦١٧
ثالثاً : ذكر نماذج من نصوص من بطون كتب الصوفية التي الفها أئمة جهابذة عندهم ثبت لنا أنهم بالفعل يعتقدون أن الأولياء يتصرفون في الكون ..	٦٢٨
المطلب الثاني : موقف أهل الإسلام من هذه المراتب ومن يدعى التصرف لغير الله في هذا الكون ..	٦٥٩
الخلاصة ..	٦٨١
المبحث الثالث : اعتقادهم بأن الأولياء يعلمون الغيب ..	٦٨٤
المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي ثبت بأنهم يعتقدون بأن الأولياء يعلمون الغيب ..	٦٨٥
المطلب الثاني : بيان أن علم الغيب خاص بالله تعالى وحكم من يدعي الغيب ..	٦٩٦
أولاً : النصوص القرآنية التي تدل على اختصاص علم الغيب بالله سبحانه وتعالى ونفيه عن غيره كائناً من كان ..	٦٩٦
ثانياً : الأدلة من السنة على أن علم الغيب خاص بالله تعالى.	٧٢١
موقف علماء الإسلام من يدعى علم الغيب ..	٧٢٤

الموضوع

الصفحة

٧٢٦	الخلاصة
٧٢٧	المبحث الرابع: توجه الصوفية إلى الأولياء بالدعاء والاستغاثة ..
٧٢٩	المطلب الأول : ذكر النصوص التي تثبت بأنهم يتوجهون إلى
٧٢٩	شيوخهم بالدعاء والاستغاثة
٧٥٢	الخلاصة
٧٥٣	المطلب الثاني : حكم دعاء غير الله في الإسلام ..
	أولاً : الأدلة من القرآن الكريم التي تدل على أن دعاء غير
٧٥٣	الله شرك ..
٧٥٩	ثانياً : الأدلة من السنة المشرفة على أن دعاء غير الله شرك ..
٧٦٠	ثالثاً : أقوال العلماء في حكم دعاء غير الله ..
٧٧١	الخلاصة

الباب الرابع

انحرافاتهم في مفهوم الزهد والجهاد والقضاء والقدر والتوكل والجنة والنار

الفصل الأول

٧٧٩	انحرافهم في مفهوم الزهد
٧٨٠	المبحث الأول : تعريف الزهد ومراتبه والفهم الصحيح له ..
٧٨٠	تعريف الزهد في اللغة ..
٧٨٠	تعريف الزهد في الاصطلاح ..
٧٨١	أقسام الزهد ومراتبه والفهم الصحيح له ..
٧٩٠	المبحث الثاني : انحراف الصوفية في مفهوم الزهد ..
٧٩١	المطلب الأول : تعريفات الصوفية للزهد ..
	المطلب الثاني : عبارات أئمة التصوف التي تدل على أنهم يفهمون الزهد بأنه عبارة عن ترك الدنيا بالكلية

الموضوع——— الصفحة

	وتعذيب النفس بشتى أنواع التعذيب من الجوع والعرى والسهر والفقير
٧٩٣	
	بيان بطلان هذا المفهوم الصوفي وقوع الصوفية في الشحادة وسؤال الناس بسبب سوء فهمهم للزهد
٨٠١	
	عبارات الصوفية وحكاياتهم التي ثبت بأنهم مدحوا السؤال والشحادة وطبقوه في واقع حياتهم
٨١٣	
	حكايات عن الصوفية أنفسهم على أنهم بالفعل سألوا الناس
٨١٦	
	الخلاصة
٨٢٠	
	حكم السؤال في الإسلام
٨٢٤	
	نفور الصوفية عن الزواج وتنفير الناس عنه بحجة الزهد في الدنيا وسوء فهمهم للزهد
٨٢٤	
	أولاً : ذكر عباراتهم التي تدل على أنهم نفروا من الزواج بشتى الأساليب
٨٢٨	
	ثانياً : إثبات مشروعية النكاح بالكتاب والسنة وإجماع العلماء ١ - الأدلة من الكتاب على مشروعية النكاح
٨٣٢	
	٢ - الأدلة من السنة على مشروعية النكاح
٨٣٣	
	٣ - الإجماع
٨٣٥	
	حكم النكاح في الإسلام
٨٣٦	
	هل الأفضل النكاح أم التفرغ لعبادة الله
٨٤٤	
	الخلاصة
٨٤٩	

الموضوع

الصفحة

الفصل الثاني

انحرافهم في مفهوم الجهاد مع ذكر نماذج من مواقفهم من أعداء الأمة الإسلامية عبر التاريخ

٨٦١	المبحث الأول : مكانة الجهاد في سبيل الله في الإسلام
٨٦١	تمهيد
٨٦٤	المطلب الأول : تعريف الجهاد وحكمه
٨٦٤	أولاً : تعريف الجهاد
٨٦٧	ثانياً : حكم الجهاد في سبيل الله
٨٧٣	الخلاصة
٨٧٥	متى يكون الجهاد فرض عين
٨٨١	ثالثاً : فضل الجهاد في سبيل الله تعالى
	أولاً : الآيات التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين في
٨٨١	سبيل الله
	ثانياً : الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين
٨٨٤	والمرابطين في سبيل الله
	ثالثاً : نماذج من آقوال العلماء التي ذكروا فيها فضل الجهاد
٨٩١	في سبيل الله ورغبوا فيه
٨٩٦	الخلاصة
٨٩٨	المبحث الثاني : انحرافهم في مفهوم الجهاد و موقفهم من أعداء الأمة الإسلامية